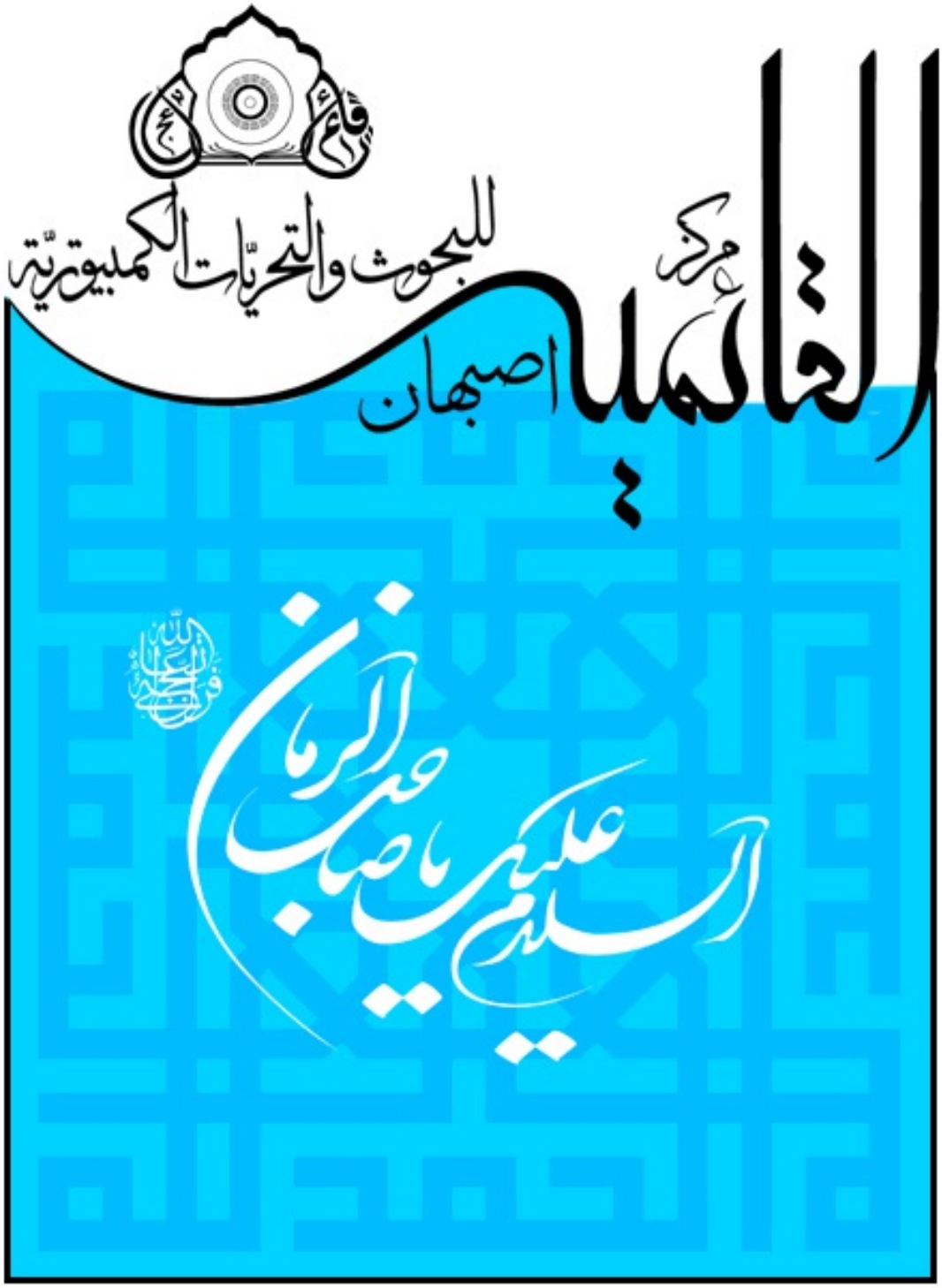


www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

# ميقات الحج

مجلة نصف سنوية تعنى بالشؤون الثقافية
والتاريخية والسياسية والاجتماعية للحج

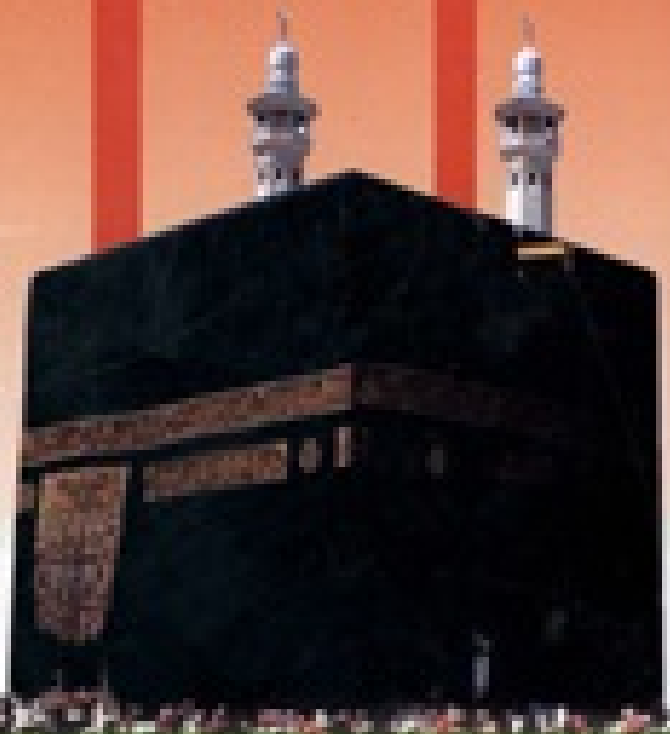

١٠


* الحج، رموز وحكم(٢) * حقيقة الإحرام في كلمات الفقهاء *
* من آيات الحج(٢) * فقهيات معاصرة في الحج(١) *
* الذكر في الحج * وظائف أمير الحاج *
* شخصيات من الحرمين الشريفين(١٩) حذيفة بن اليمان *
* الحج في گلستان السعدي الشيرازي *
* الرحلة الحجية لصاحب الذريعة آغا بزرگ الطهراني *

بسم الله الرحمن الرحيم

# دو فصلنامه « میقات الحج »

كاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبیوتریة

# الفهرس

الفهرس ----- ۵
میقات الحج المجلد۱۰ ----- ۶
اشارة ----- ۶
الحج فی احادیث الامام الخمینی قدس سره ----- ۶
الحجّ فی احادیث الامام الخامنئی ----- ۱۱
مفرحة الانام فی تأسیس بیت اللّه الحرام ----- ۱۳
قرن المنازل دراسة وتحقیق فی موضعه (۱) ----- ۴۷
لمحات فنیّة من آیات الحجّ ----- ۶۹
ضریح عبداللّه بن عبدالمطلب والد الرسول صلی الله علیه و آله ----- ۷۸
الشطر ----- ۹۱
من رحلات الحج الإیرانیة (۲) ----- ۱۲۵
مختاراتٌ شعریة ----- ۱۴۹
الحجّ عبر الحضارات والامم ----- ۱۵۸
مهمّات مشبوهة فی الدیار المقدّسة (۳) ----- ۱۸۹
شخصیات من الحرمین الشریفین (۸) عمار بن یاسر ----- ۲۱۶
المعلّقات ----- ۲۴۲
الوضع الاجتماعی فی الجزیرة العربیة ----- ۲۷۳
معجم ما کتب فی الحجّ والزیارة و المعالم المشرفه فی الحجاز (۷) ----- ۲۹۳
تعریف مرکز ----- ۳۲۰

# میقات الحج المجلد۱۰

## اشارة

عنوان و نام پدیدآور : میقات الحج[پیایند: مجله]

مشخصات نشر : تهران: منظمة الحج و الزیارة، ۱۴۱۷ ق. - = ۱۳۷۵ -

فاصله انتشار : شش ماه یکبار

یادداشت : عربی

فهرست‌نویسی براساس سال۳ شماره۵ سال۱۴۱۷ق.

یادداشت : این نشریه در بیروت نیز منتشر می‌شود

یادداشت : المدیرالمسؤول: محمد محمدی‌ری‌شهری

رئیس‌التحریر: علی قاضی‌عسکر

یادداشت : کتابنامه

ترجمه عنوان : Mighat al - haj

موضوع : حج -- نشریات ادواری

شناسه افزوده : محمدی ری‌شهری، محمد، ۱۳۲۵، -مدیر مسئول

Muhammadi Reyshahri, Muhammad

قاضی عسکر، سیدعلی، ۱۳۲۵، - سردبیر

شناسه افزوده : سازمان حج و زیارت

رده بندی کنگره : BP۱۸۸/۸

رده بندی د... : ۲۹۷/۳۵۷۰۵

ص:۱

## الحج فی احادیث الامام الخمینی قدس سره

ص:۲

ص:۳

ص: ۴

ص: ۵

العدد العاشر

الحج فی أحادیث الإمام الخمینی قدس سره

الحجُّ هو نداء لإیجاد وبناء المجتمع البعید عن الرذائل المادیة والمعنویة. الحجُّ ومناسکه هو تجلّی عظیم لحیاة کریمة ومجتمع متکامل فی هذه الدنیا. ومن ذلک المکان ومن ذلک الموقع الذی یتواصل فیه مجتمع المسلمین من أی قومیة کانوا ویصبحوا یداً واحدة، ینطلق أداء هذه الفریضة المبارکة، التی یجب أن یکون أداؤها وجوهرها توحیدیاً إبراهیمیاً محمدیّاً. إنّ الحج هو ساحة عرض ومرآةصادقة للاستعدادات والقابلیات المادیة والمعنویة للمسلمین، الحج کالقرآن یستفید منه المجتمع. فالمفکرون والعارفون بآلام الأمة الإسلامیة إذا ما فتحوا قلوبهم، ولم یهابوا الغوص عن قرب فی أحکامه وسیاساته الاجتماعیة، سیصطادون الکثیر منصدف هذا البحر، جواهر الهدایة والرشد والحکمة والحریة، وسیرتوون إلی الأبد من زلال حکمته ومعارفه، ولکن ماذا نفعل؟

وأقولها بألم وحزن: إن الحج أصبح مهجوراً کالقرآن وبنفس النسبة التی اختفی فیها هذا الکتاب- کتاب الحیاة والکمال والجمال- بسبب حجب النفس التیصنعناها

ص: ۶

بأيدينا، ودفنا هذا الكنز، كنز أسرار الخلق، فكذلك الحج أصبح أسيرَ هذا القدر، قدر أن الملايين من المسلمين يجتمعون كلّ سنة ويضعون أقدامهم محل قدم محمد وإبراهيم وإسماعيل وهاجر ولا يوجد أحد يسأل ماذا فعل إبراهيم ومحمد؟ ما هو هدفهما؟ ماذا طلبا منّا؟ وهذا ما لا نفكر فيه!

من المسلّم أن حجّاً دون معرفة ووعى ودون روح ودون حركة ونهوض، وحجّاً دون براءة، وحجّاً دون وحدة، وحجاً لا ينتج هدماً للكفر والشرك، ليس حجّاً. وخلاصة الأمر أنه يجب على جميع المسلمين السعى لأجل تجديد حياة الحج والقرآن وإعادتهما ثانية إلى ساحة حياتهم، وعلى المحققين المؤمنين بالإسلام أن يبينوا التفاسير الصحيحة والواقعية لفلسفة الحج، ويرموا فى البحر كلّ نسيج خرافات وادعاءات علماء البلاط..

وإننى اوصى جميع العلماء المحترمين والكتاب والمتحدّثين الملتزمين أن يوضّحوا لجميع المسلمين وخاصة الحجاج منهم أهداف هذه الفريضة المقدّسة..

كما أنى أوصيهم بتعليم الحجاج مناسك الحج وكيفية أدائها بشكلها الصحيح حتى يكون عملهم خالياً من الأخطاء، وعدم الاكتفاء بأننا أدينا الفريضة وأنجزنا الواجب كيفما كان، فإنّ الأخطاء فى هذه الفريضة تترك آثاراً واشكالات عليصحتها قد تكلفهم وقتاً وجهداً مضاعفاً لتصحيحها..

## الحجّ فی احادیث الامام الخامنئی

ص: ۷

الحجّ فی أحادیث الإمام الخامنئی

- مد ظله العالی-

أیّها الحجاج الکرام... امتنا الإسلامیة تمتلک الیوم أکثر مصادر النفط، التی تعدُّ بدون مبالغة شریان حیاة الحضارة العالمیة الراهنة، وهی الیوم موجودة فی أرض العالم الإسلامی، أکثر المناطق استراتیجیة فی العالم وتحت تصرّفکم کما أنّ القسم الأعظم من المصادر الأرضیة الضروریة لبناء العالم فی الحاضر والمستقبل تتوفر فی بلدان المسلمین، وأن خمس سکان العالم مسلمون، کما أنّ أکبر الأسواق الاستهلاکیة لمصنوعات البلدان التی فرضت نفسها علی المسلمین تکون فی بلدانکم، هذا وأنّ ثقافة المسلمین الغنیة العریقة وعلومهم ومعارفهم شکلت الدّفعة الأولی لاعتلاء الغربیین ذروةصرح علوم العالم المعاصر، فللمسلمین حقّ الحیاة علی علوم الغرب وحضارته... ومع کلّ ذلک لا یمتلک المسلمون الیوم علی الساحة العالمیة وفی معترک السیاسة الدولیة أیّ دور فی اتخاذ القرارات الکبری وفی تعیین النظام الدولی، وأفظع من ذلک فإنّ کثیراً من البلدان الإسلامیة تنهج فی سیاستها الوطنیة منهجاً ذیلیاً تابعاً، وتخضع لإحدی البلدان المستکبرة المتعنتة...

ص: ۸

حكوماتها عميلة، وضعيفة النفس، وشعوبها مضطهدة أو مغفلة، وعلماؤها ومثقفوها مصابون بالخوف والتغافل، وبحبّ البطر والراحة... وكانت النتيجة أن تبددت ثروات الأمة الإسلامية، وأصبح تعيين مكانتهم السياسية بإشارة القوى المستكبرة، وأن لا يحسب لعددهم وعدتهم حساب، وأن تحرم الأمة الإسلامية من قسم عظيم من إمكاناتها، وأن يستفيد أعداء الإسلام والمسلمين، من تلك الامكانات للاضرار بالإسلام والمسلمين بينما كان ينبغى أن تستفيد الأمة الإسلامية الكبرى من كلّ ما تمتلكه من طاقات لاستحصال ما تستحقه من عزّة واقتدار.

إنّ الأوضاع الراهنة للعالم الإسلامى والحوادث والمحن التى أذاقت المسلمين القهر والمرارة، كمأساة فلسطين المغتصبة وافغانستان وغيرها.. ووضع الأقليات المسلمة فى بعض البلدان الأوربية.. كلها شواهد ناطقة على هذه الحقيقة المرّة..

فعليكم أيها الحجاج الكرام أن تجعلوا فريضة الحج مؤتمراً تتداولون فيه تلك المشاكل والمحن، وتتدارسون فيه أفضل السبل لحلّها ولتوعية شعوبكم بكل ذلك..

فالأمة الإسلامية الكبرى تعدُّ أكبر سندٍ للعالم الإسلامى وأن الشعوب المسلمة بوحدتها وتلاحمها وتفاهمها وبما فيها من ثرواتٍ طبيعيةٍ وخيراتٍ كثيرةٍ..

تذيب قلب كل مستكبر وتصم إذنه وتقصم ظهره. والحج هذه الفريضة المباركة، يعرض لنا مظهراً جميلًا ونموذجاً رائعاً لهذا السند العظيم.

## مفرحة الانام فى تأسيس بيت اللّه الحرام

ص: ۹

مفرحة الأنام فی تأسیس (۱) بیت اللّه الحرام

تألیف: الشهید زین العابدین بن نور الدین علی الحسینی الکاشانی (۱۰۴۰ ه)/ تحقیق: محمد رضا الأنصاری القُمّی

تقدیم

هذه الرسالة تتحدث عن قضیة تاریخیة حدثت عام ۱۰۳۹ ه بمکة المکرمة وهی هطول أمطار غزیرة یوم الأربعاء التاسع عشر من شهر شعبان المعظّم، فتجمعت فی ودیان مکة وشعابها، ومن ثمّ توجّهت علی شکل سیول مدمرةصوب قلب مکة أی المسجد الحرام والکعبة المشرفة، فامتلأت ساحة المسجد الحرام وأروقته بمیاه السیول، بحیث عجز الناس عن الطّواف والصَّلاة، ثمّ ازدادت نسبة الماء حتی بلغت عتبة الکعبة الشریفة فدخلها مما سبّب فی تصدّع أرکانها، فانهارت وسقطت معها جدرانها، وعلی اثر هذا السیل قتل ۴۴۲ شخصاً بینهم ثلاثونصبیّاً مع معلمهم حیث کانوا متحلقین حوله فی المسجد الحرام یعلمهم القرآن. وبعد أن توقف اندفاع

---

۱- ۱ وردت کلمة «تأسیس» فی أصل المخطوطة، وکان الأولی أن تکون «تجدید بیت اللّه الحرام» فما حدث هو تجدید للبناء بعد أن هدّم لا تأسیس له.

ص: ۱۰

میاه السیولصوب المسجد الحرام، وتمّ إخلاء المسجد من الماء المتبقی فیه، شرعوا فی تقییم الخسائر، والسعی فی إعادة بناء البیت العتیق، فانتدب الباب العالی ناظراً لیشرف بنفسه وبمعاونة أمیر مکّة وقاضیها علی إعادة بناء البیت. وکان من حُسن حظّ مؤلف رسالتنا هذه وتوفیقه أنّه کان من المشارکین فی بناء الکعبة، وقد شرح فی رسالته تفاصیل الحدث بدقة وحسب الأیام، ثمّ تحدّث عن بناء الکعبة المشرّفة ومساهمته فی ذلک، وأنّه کیف تمکن بلباقة وذکاء أن یُدخِل نفسه وجماعة من المؤمنین ضمن المجموعة العاملة فی بناء البیت، هذا فضلًا عن أنّ المؤلف عقد فصلین تحدث فیهما بإسهاب عن الکعبة وما بداخلها وما یتعلق بها وبالمسجد الحرام من الأبواب والأساطین والمآذن والأرکان وسائر الأماکن المقدسة فیه کالحِجر ومقام إبراهیم وغیرها.

ومصنّف هذه الرسالة هوالمولی میرزا زین العابدین بن نور الدین علی الحسینی الکاشانی من علماء الإمامیة فی القرن الحادی عشر. هاجر من بلاده الی مکّة المکرمة، فاختار جوارها، وکان بیته مواجهاً لأحد أبواب المسجد الحرام ومقابلًا للکعبة. تتلمذ عند المولی محمد أمین الاسترابادی (رأس الأخباریین المتأخرین، والمنظِّر العنید للمدرسة الإخباریّة، ومؤلف کتاب الفوائد المدنیّة) وورد ذکره فی «ریاض العلماء» ج ۲/ ۳۹۹، و «حدیقة الشیعة» لعبدالحیّ الرضوی، کما نقل العلّامة المجلسی فی «بحار الأنوار» ج ۱۰۷/ ۱۴ إجازته الروائیة التی أعطاها لتلمیذه عبدالرزاق المازندرانی.

ومن المؤسف أنّ هذا السید الشریف، والعالم الجلیل، والمهاجر فی سبیل اللّه، والمجاور لبیته العتیق، والمشارک فی تجدید بناء قواعده، نالته ید الغدر والخیانة.. ممن کانوا یضمرون الحقد والبغضاء لمبدئه، فتوفی رحمه اللّه شهیداًصابراً محتسباً بمکّة المکرّمة، ومَن یخرج من بیتهِ مُهاجراً إلی اللّه ورسُولِه ثمَّ یُدرِکه الموت فقد وقع أجرُهُ علی اللّه.

اعتمدنا فی طبع هذه الرسالة علی نسخة فی (کتابخانة مجلس شورای اسلامی)

ص: ۱۱

[راجع فهرست مخطوطات کتابخانه مجلس شوری اسلامی ج ۱۲/ ۷۰] وهی من الورقة ۴۲ لغایة ۵۷ بخط نستعلیق من خطوط القرن الحادی عشر.

ولهذه الرسالة عدة ترجمات الی اللغة الفارسیّة [مخطوط رقم ۸۶ فی کلیة الآداب- بجامعة طهران (۱)، مخطوط رقم ۸۱۳۳ مکتبة السید المرعشی بقم] ولها تحریر ثانٍ باللغة العربیة کتبه فتح اللّه بن مسیح اللّه وسمّاه ب (أبنیة الکعبة). ویبدو أنّ ناسخ رسالتنا هذه لم یکن یُجید العربیّة، فقد وقع فی هفوات کثیرة خاصة فیما ذکره من أشعار لم نعثر علی مصدرها، حاولنا قدر الإمکان إزالة العُجمة عنها.

---

۱- ۱ قام بنشرهاصدیقنا المحقق الفاضل الشیخ رسول جعفریان فی میراث اسلامی ایران، دفتر أولص ۳۹۲- ۳۶۷.

ص: ۱۲

الحمد للّه‌الذی جعل بیته الحرام بین جبالٍ خَشنةٍ، وأمر عباده بالحجّ به (کذا) لیحیی مَن حیَّ من المطیعین بمناسکهم الحسنة عن بیّنة، ویَهلِکَ من هَلَکَ من المتمردین بعقیدتهم الفاسدة عن بیّنة، وصلّی اللّه علی سیّدنا محمّد، المبعوث علی حین فترة من الرُّسل من الأزمنة، وآله المعصومین الذین مَن تبعهم جعله اللّه من أصحاب المیمنة.

أمّا بعدُ: فلمّا کان إدخال السرور علی المؤمنین مِن السعادة العُظمی، کما رُویت أحادیث کثیرة فی «أصول» الکلینی فی باب (إدخال السرور علی المؤمن) وأنا أروی طرفاً منها:

حدّثنی سلطان المحققین والمدقّقین الشیخ محمد أمین الاسترابادی- رحمه اللّه- بأسانیده الصحیحة وطرقه المضبوطة فی مضانها عن ثقة الإسلام محمد [بن] یعقوب الکلینی، عن عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زیاد، ومحمد بن یحیی، عن أحمد بن محمد بن عیسی، جمیعاً عن الحسن بن محبوب، عن أبی حمزة الثمالی قال:

«سمعت أبا جعفر علیه السلام یقول: قال رسول اللّهصلی الله علیه و آله: مَنْ سَرَّ مؤمناً فقد سَرّنی، ومَنْ سرّنی فقد سرّ اللّه» (۱).

وعن عبیداللّه بن الولید الوصّافی قال: «سمعتُ أبا جعفر علیه السلام یقول: إنّ فیما ناجی اللّه به عبده موسی علیه السلام قال: إنّ لی عباداً أبیحهم جنّتی وأحکّمهم فیها.

قال: یاربّ ومَن هؤلاء الذین تبیحهم جنّتک وتُحکّمهم فیها؟

قال: مَن أدخل علی مؤمن سروراً.

ثمّ قال: إنّ مؤمناً کان فی مملکته جبّارٌ، فولع به فهرب منه الی دار الشرک، فنزل برجلٍ من أهل الشرک، فأظلّه وأرفقه وأضافه. فلما حضره الموت أوحی اللّه عز وجل إلیه: وعزّتی وجلالی لو کان فی جنتی مسکنٌ لأسکنتک فیها، ولکنّها مُحرمة علی من مات بی مشرکاً، ولکن یانار هیدیه ولا تؤذیه، ویؤتی برزقه طرفی النهار.

---

۱- ۱ الکافی ۲: ۱۸۸.

ص: ۱۳

قلتُ: مِنَ الجنّة؟

قال: من حيث ما شاء اللّه» (۱).

وعن محمد بن يحيى، عن محمد بن جمهور، قال: كان النجاشى- وهو رجلٌ من الدهاقين- عاملًا على الأهواز وفارس، فقال بعض أهل عمله لأبى عبداللّه عليه السلام: إنّ فى ديوان النجاشى علىّ خراجاً، وهو مؤمن يدين بطاعتك، فإن رأيت أن تكتب لى اليه كتاباً.

فقال: فكتب اليه أبو عبداللّه عليه السلام:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم، سرّ أخاك يسرك اللّه».

قال: فلمّا أورد الكتاب عليه وهو فى مجلسه، فلمّا خلى ناوله الكتاب فقال له:

هذا كتاب أبى عبداللّه عليه السلام!

فقبّله ووضعه على عينيه وقال له:

ما حاجتك؟

قال: خراجٌ علىّ فى ديوانك.

فقال له: وكم هو؟

قال: عشرة آلاف درهم.

فدعا كاتبه وأمره بأدائها عنه، ثمّ أخرجه منها وأمر أن يثبتها له لقابل.

ثمّ قال له: سررتك؟

قال: نعم جُعلتُ فداك.

ثمّ أمر له بمركبٍ وجاريةٍ وغُلامٍ، وأمر له بتخت ثيابٍ، فى كلّ ذلك يقول له:

هل سررتك؟

فيقول: نعم جُعلت فداك.

فكلما قال: نعم زاده حتى فرغ، ثم قال له: أحمل فراش هذا البيت الذى كنت جالساً فيه حين دفعتَ اليّ كتاب مولاى الذى ناولتنى فيه، وارفع إليَّ حوائجك.

قال: ففعل، وخرج الرّجلُ الى أبى عبداللّه عليه السلام، فحدّثه الرجل بالحديث على جهته، فجعل يسرُّ بما فعل.

فقال له الرجل: يابن رسول اللّه كأنّه قد سرّك ما فعل بى؟

فقال: إىواللّه، لقد سرّ اللّهَ ورسولَه» (۲).

وإظهار معجزة المعصومين عليهم السلام من المقصد الأقصى، [ف] أردتُ أن ادخل السرور على المؤمنين، وإظهار معجزاتهم التى ظهرت منهمصلوات اللّه عليهم سنة ألف وأربعين فى تأسيس الكعبة المشرفة- زيدت مهابتها- فكتبتُ هذه الرسالة مشتملة على ثلاثة

---

۱- ۱ الكافى ۲: ۱۸۹- ۱۸۸.

۲- ۲ الكافى ۲: ۱۹۱- ۱۹۰.

ص: ۱۴

فصول وخاتمة وسمّيتها ب «مفرحة الأنام فى تأسيس بيت اللّه الحرام» وأرجو من كرم اللّه أن يجعلها سبباً لمرضاته عنّى وعن جميع المؤمنين، بجاه محمدٍ وآله الطيبين.

***

الفصل الأول: فى سبب سقوط الكعبة المعظّمة- زادها اللّه مرتبةً وتعظيماً- وكيفية بنائها.

الفصل الثانى: فى علة بناء الكعبة فى الأرض، وبدء الطواف بها، وذكرصفة الكعبة المشرفة، وطولها وعرضها وارتفاعها من خارجها وداخلها وسقفها وأساطينها، وغلظ جدارها، وبابها وسلميها الداخل والخارج، والحِجر، والميزاب، والحَجَر الأسود، والحطيم، والمستجار، وكسوتها الخارجة والداخلة، وشاذروانها، ومطافها، والمقام والمنبر.

الفصل الثالث: فى ذكرصفة المسجد الحرام، وأبوابه وأسمائها، وأساطينه، وما فيه من القباب فيصحن المسجد، وفى رواقه، وصفة زمزم المكرّم.

الخاتمة: فيصفة الأمكنة المشرّفة التى بمكة المعظمة- سوى ماذكر- مثل المولد الشريف لسيد المرسلينصلى الله عليه و آله، ومولد سيّدة نساء العالمينصلوات اللّه عليها، وعلامة مرفقه الشريف فى الحَجَر المبنىّ، وذكر الجَبانتين المُعلّى والشبيكة، وما فى المُعلّى من قبور أهل الصلاح، والكلام على نثرها وسجعها يوم الأربعاء سابع شوال عام ألف وأربعين.

وألتمس من إخوان الصَّفا وخلّان الوفاء إذا نظروا فيها ورأوا خللًا يُصلحونه، ويذكروننى بالخير، فإنّ الإنسان محلُّ الخطإ والنسيان، إلّامن عصمه اللّه فى كلّ امئٍ، وجَلّ من لا فيه عيبٌ وعُذر، وحسبنا اللّه ونعم الوكيل.

*** الفصل الأول

(فى سبب سقوط الكعبة المعظمة- زيدت مهابتها- وكيفيّة بنائها)

اعلم ياأخى وفّقك اللّه وإيّاى فى الدارين، أنّ نهار الأربعاء التاسع عشر

ص: ۱۵

من شهر شعبان المعظّم سنة تسع وثلاثين بعد الألف أمطرت السماء بمكّة المعظمة- زادها اللّه شرفاً وتعظيماً- ودخل سيلٌ عظيمٌ فى المسجد الحرام، وامتلأ المسجد الى أن دخل الماءُ فى جوف الكعبة طول إنسان مربوع القامة وشبرٍ واصبعين مضمومتين، وأنا الذى قستُ الماءَ بطولى، حيث دخلتُ الكعبة بعد سقوطها. وكانَ عَرشُه عَلى الماء (۱)

وخرب بيوتاً كثيرةً، وأهلك من الناس كبيرهم وصغيرهم أربعمائة واثنتين وأربعين نسمةً تخميناً- واللّه أعلم- من جملتهم معلّم أطفال مع ثلاثين طفلًا فى نفس المسجد، لأنه كانَ فيصُفةٍ مرتفعة فى أصل جدار من جدرانه، ولمّا دخل السيل من أبواب المسجد ماقدر على الخروج مع أطفاله، ورجا نقصان السيل، وآخر الأمر ما قدر أحدٌ من خارج المسجد يصل اليهم حتى غرقوا. نعوذ باللّه من شرور أنفسنا.

ثمّ فتحوا دربَ خروجِ الماء من باب إبراهيم، وخرج السيل وبقى الماء حوالى البيت الشريف الى (۲)... الآدمى.

ودخلتُ يوم الخميس نهار عشرين من الشهر المذكور، ورأيت المطاف خالياً من الطائفين بسبب ماء السيل الذى حواليه، فدخلتُ فى الماء وطفتُ بالبيت الشريف سبعة أشواط، فلمّا دعوتُ فى الحطيم [و] أردتُ أن أصلى ما لَقيتُ مكاناً اصلّى فيه؛ لأنّ كل واحدٍ من مقام إبراهيم وحِجر إسماعيل- عليهما السلام- والمطاف كان ممتلئاً من ماء السيل، فطلعتُ (۳) المنبر فصليّتُ ركعتى الطواف عليه، ولمّا نزلتُ من المنبر سقطت الكعبة الشريفة تمام العرض الشامى، وطول وجه الكعبة الى الباب تقريباً، وطول ظهرها الى قريب من النّصف تخميناً، وكنتُ آخر طائفٍ بالبيت الشريف،...

فتعجبتُ وقلتُ فى نفسى سبحان اللّه هذه إشارة عجيبة من المعصومين عليهم السلام لأن تجديد الأساس كان من سيّد العابدين والزاهدين على بن الحسين زين العابدين عليهما السلام (۴)(۵) فكان انتهاء قيام جداره بطواف عبدٍ من عبيده زين العابدين بن نور الدين الحسينى والحمد للّه.

---

۱- ۱ هود: ۷.

۲- ۲ بياض فى الأصل.

۳- ۳ يقصد أنه اعتلى المنبر.

۴- ۴ يشير المصنف الى بناء الكعبة الشريفة أيام عبدالملك بن مروان حيث هدّمها الحجاج حين حاصر المسجدالحرام لإخراج ابن الزبير حيث كان متحصنا فيه، وحينما أراد الحجاج إعادة بناء الكعبة طلب من الإمام على ابن الحسين زين العابدين عليهما السلام أن يتصدى لبنائها، فوضع الإمام الأساس وأمر الناس أن يحفروا حتى انتهوا الى موضع القواعد، قال لهم على بن الحسين عليهما السلام: تنحوا فتنحوا فدنا منها وغطّاها بثوبه ثم بكى ثم غطاها بالتراب بيد نفسه ثم دعا الفعلة فقال: ضعوا بناءكم، فوضعوا البناء، فلمّا ارتفعت حيطانها أمر بالتراب فقلّب فألقى فى جوفه، فلذلكصار البيت مرتفعاً يصعد اليه بالدرج» هذا ما رواه الشيخ الكلينى بسنده فى «الكافى» فى كتاب الحج ۴: ۲۲۲.

۵- ۴ يشير المصنف الى بناء الكعبة الشريفة أيام عبدالملك بن مروان حيث هدّمها الحجاج حين حاصر المسجدالحرام لإخراج ابن الزبير حيث كان متحصنا فيه، وحينما أراد الحجاج إعادة بناء الكعبة طلب من الإمام على ابن الحسين زين العابدين عليهما السلام أن يتصدى لبنائها، فوضع الإمام الأساس وأمر الناس أن يحفروا حتى انتهوا الى موضع القواعد، قال لهم على بن الحسين عليهما السلام: تنحوا فتنحوا فدنا منها وغطّاها بثوبه ثم بكى ثم غطاها بالتراب بيد نفسه ثم دعا الفعلة فقال: ضعوا بناءكم، فوضعوا البناء، فلمّا ارتفعت

حیطانها أمر بالتراب فقلّب فألقی فی جوفه، فلذلکصار البیت مرتفعاً یصعد الیه بالدرج هذا ما رواه الشیخ الکلینی بسنده فی «الکافی» فی کتاب الحج ۴: ۲۲۲.

ص: ۱۶

وكنت قبل هذه القضيّة قرأتُ فى كتاب الحجِّ من كتاب الكلينى فى باب (ورود تُبّع...) حديث تأسيس على بن الحسين عليهما السلام الكعبة المشرفة، وخطر ببالى أنّ الشيعة- رضى اللّه عنهم- كانت تفتخر بأنّ مؤسس الكعبة الشريفة بعد إبراهيم عليه السلام كان النبيّصلى الله عليه و آله وبعد النبيّصلى الله عليه و آله كان على بن الحسين عليهما السلام فإذا جاء رجلٌ من عند سلطان الروم وبنى الكعبة الشريفة ينسَدُّ بابُ هذا الافتخار عن الشيعة... واجتهدتُ اجتهاداً عظيماً، و [كنت] أقول عسى تبنى [البيتَ] بدراهم المؤمنين بأيّةِ حيلة تكون، واحاول مع شريف مكّة المعظمة، حتى أرضيه بأن نبنيها ظاهراً باسم سلطان الروم (۱)، وباطناً بمال أخى فى اللّه وسلطان العارفينصدر الدين على (۲)، الملقب بمسيح الزمان- أطال [اللّه] بقاه، وبلّغه غاية ما يتمناه- لحسن ظنى به، ويكون لى طريقٌ الى أساسها، وكلّما أرضيه يجىء الناس يخوّفونه من سلطان الروم، حتى وقف على البناء، وأُرسل الخبرُ الى مصر وقسطنطينية، فلمّا سمعوا أرسلو رجلين وكيلًا من جهة السلطان ومباشراً، وشرعوا يوم الثلاثاء الثالث من جمادى الثانى «الآخرة» سنة ألفٍ وأربعين فى هدم بقية جدران البيت الشريف، فحثنى داعى الشوق وغلبة الوجد، ودخلت معهم فى الشُّغل (۳).

واللَّهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المُصْلِح (۴)

، وسألت اللّه أن يمنحنى حُسن الأدب فى ذلك المحل العظيم، ويُلْهِمنى ما يستحقه مِنَ الإجلال والتعظيم، وأن يرزقنى منه القبول والرضا والتَّجاوز عمّا سَلَف ومضى، وكنتُ فى بعض الأوقات أجلسُ فى وسط الكعبة الشريفة وأتلو القرآن، فلمّا رآنى الوكيل والمباشر والبنّاؤون والفَعَلة اعتقدوا فىَّ اعتقاداً عظيماً ببركة المعصومين عليهم السلام وكلّ كلامٍ أقول لهم من جهة البيت الشريف يقولون: سمعاً وطاعةً، حتّى هدموا بقية جدران البيت إلّاالحَجَر الفوقانى الذى على الحجر الأسود، والحَجَر الذى تحته، فرأيت الفعلة يدوسون بأرجلهم على الحَجَر الفوقانى الذى على الحجر الأسود، فقلتُ للمباشر: الوقوف على الحجر الفوقانى وقوفٌ على الحجر

---

۱- ۱ يقصد به الخليفة العثمانى فقد كانت العرب تسمّى بلاد الأناضول وتركيا الحالية باسم الروم.

۲- ۲ لم نعثر على ترجمته فى المصادر الموجودة.

۳- ۳ أى أقدمت على العمل فى بناء البيت مع بقية العمال.

۴- ۴ البقرة: ۲۲۰.

ص: ۱۷

الشريف بواسطة، فينبغى أن يُمنع الركنُ من الدّوس بأن تجعله خارجاً عن محطّ أقدام المشتغلة، فقال: بسم اللّه، فطلبتُ ألواح الخشب وجعلنا الزاوية خارجاً عن محل تردد الفَعَلة، فانسترت (۱) الزاوية بخمسة ألواح من الخشب عدد آل العباء عليهم السلام (۲)(۳)فخطر ببالى أنّ هذه إشارة من آل العباء عليهم السلام بأنّهم يحفظون الحَجَر الأسود... وذكرتُ لبعض الصالحين هذه الإشارة، وآخر الأمرصار كما خطر ببالى والحمد للّه.

فلما فرغوا من هدم الجُدران لقينا أساس الجدران الثلاثة فى غاية الاستحكام، ودخلوا فى الاساس من جهة العرض الشامى الذى فيه الميزاب قريب ذراع وربع، وأخرجوا الصخور العظيمة، والذى احتاج الى التغيير غيّروه، وليلة الأحد الثانى والعشرين من الشهر المذكور وقع القول بأنّ غداً فى الصبح يشرعون فى التأسيس، وكنتُ أنا أُفكر تلك الليلة وأقول فى نفسى: ياربّ وقت الصبح إذا حضر أشراف مكّة والقاضى وشيخ الحرم ووكيل السلطان والمباشر وعلماء مكة... كيف يكون حالى حين التأسيس؟ وأتضرع الى من له الحول والقوة، وأناجى بهذه الابيات:

بالبيت، بالحرم الشريف، بزمزم بالحِجر والميزاب والأستار

بمقام إبراهيم مع ما حوله بالركن إلّا... سيد الأحجار

بالمروة العُظمى فضلًا بالصَّفا بفضيلة المسعى وجرى الجار

بمنى بجميع المشاعر كلّها بالواقفين بموقف الأخيار

بمحمدٍ بوصيّه وبنيّه بأئمة النجباء والأبرار أسألك أن تجعلنى مؤسساً لبيتك الحرام، وقمتُ سحر تلك الليلة، واغتسلتُ غسل دخول الكعبة ودخلتُ المسجد، وصلّيتصلاة الليل وصلاة الصبح، فرأيتُ المباشر دخل الكعبة مع جماعة قليلة من البنّائين وليس معهم أحدٌ من أهل المناصب، حتى الوكيل، كأنَّ اللّه سبحانه وتعالى قيّدهم فى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً (۴)

فدخلتُ معهم، فقال المباشر: ياسيّد

---

۱- ۱ أىاخفيت وسترت.

۲- ۲ أشارة الى الحديث المشتهر بحديث الكساء وقد رواه الخاصة والعامة عن جابر بن عبداللّه الأنصارى رضى الله عنه ومفاده أن النبيصلى الله عليه و آله أحسّ فى بدنه الشريف ضعفاً فأمر فاطمة عليها السلام فغطّاها بكساء يمانى، ودخلت هى وزوجها وابناها الحسن والحسين تحت الكساء فنزل الأمين جبرائيل فأوحى الى النبيصلى الله عليه و آله قوله تعالى: إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. راجع: مسند أحمد بن حنبل ۶: ۳۲۳، ۱: ۳۳۰، ۷: ۱۳۰. فضائل الصحابة ۲: ۶۳۲ ح ۱۰۷۷ و ۲: ۶۷۲ ح ۱۱۴۹، ۲: ۶۸۵ ح ۱۱۷۰.

۳- ۲ أشارة الى الحديث المشتهر بحديث الكساء وقد رواه الخاصة والعامة عن جابر بن عبداللّه الأنصارى رضى الله عنه ومفاده أن النبيصلى الله عليه و آله أحسّ فى بدنه الشريف ضعفاً فأمر فاطمة عليها السلام فغطّاها بكساء يمانى، ودخلت هى وزوجها وابناها الحسن والحسين تحت الكساء فنزل الأمين جبرائيل فأوحى الى النبيصلى الله عليه و آله قوله تعالى: إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. راجع: مسند أحمد بن حنبل ۶: ۳۲۳، ۱: ۳۳۰، ۷: ۱۳۰. فضائل الصحابة ۲: ۶۳۲ ح ۱۰۷۷ و ۲: ۶۷۲ ح ۱۱۴۹، ۲: ۶۸۵ ح ۱۱۷۰.

۴- ۳ الحاقة: ۳۲.

ص: ۱۸

العابدين اقرإ الفاتحة.

فرفعت يدى وقرأت الفاتحة، بعدها دعوتُ بالدعاء المسمّى بدعاء سريع الإجابة، الذى رواه محمد بن يعقوب الكلينى فى (أصول الكافى) فى كتاب الدعاء وهو هذا:

«اللهم إنّى أسألك باسمك العظيم، الأعظم، الأجلّ، الأكرم، المخزون، المكنون، الحقّ، البرهان المبين، الذى هو نورٌ على نور، ونورٌ من نور، ونورٌ فى نور، ونورٌ على نور، ونورٌ فوق كلّ نور، ونورٌ على كلّ نور، ونور يُضىء به كُلّ ظُلمة، وتكسرُ به كلّ شدة، وكلّ شيطان مريد، وكلّ جبار عنيد، ولا تقرُّ به أرضٌ، ولا تقوم به سماءٌ، ويا من يؤمن به كلّ خائف، ويُبطل به سِحرُ كلّ ساحر، وبغى كلّ باغ، وحسد كلّ حاسد، ويتصدّع لعظمته البرُّ والبحر، ويستقر به الفلك حين يتكلم به الملك فلا يكون للموج عليه سبيل، وهو اسمك الأعظم، الأجلّ، الأكرم، النور الأكبر الذى سمّيت به نفسك، واستويت به على عرشك، واتوجَّه إليك بمحمدٍ وأهل بيته، وأسألك بك وبهم أن تُصلّى على محمدٍ وآل محمد».

ودعوتُ... وأخذتُ حَجَر الركن المبارك الغربى وهو الآن فى داخل الأساس، وجاء رجلٌ من المؤمنين اسمه محمد حسين من أهل أبرقوه (۱)بطاسٍ من النّورة وكبّ (۲) فى الأساس، وفرشتُ تلك النُّورة بيدى، وقلتُ:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم، اللهم ثبّت دولة محمدٍ وآل محمد، وعجّل فرجهم»

وحطّيت (۳) ذلك الحَجَر فى زاوية الركن الشريف الغربى فى أساس إبراهيم عليه السلام والحمد للّه.

وشرعت فى البناء، وقلتُ أوّل شروعى:

«اللهم إنىاشهدك وملائكتك المقربين بأنى أشركتُ معى جميع المؤمنين والمؤمنات، أحيائهم وأمواتهم، والذين فى أصلاب الرجال، وفى بطون الامهات الى يوم الدين فى عملى هذا»، واغتنمت الفرصة، وللّه دَرُّ القائل:

تمتّع إن ظفرتَ بنيل قرب وحصّل ما استطعت من ادخار

---

۱- ۱ مدينة من أعمال شيراز ببلاد فارس.

۲- ۲ وكبّها أىأدارها.

۳- ۳ وضعت.

ص: ۱۹

فقد وسعت أبواب التدانى وقد قربت للزوار دارى

وقد بنيت نسيمات بنجد فطب واشرب بكاسات لبارى

فودّع أهل نجدٍ قبل بُعد فما نجدٌ ولم تُحلل بدار

أقولُ لمن لم يمرَّ بأرض نجدٍ ويظفر مِنْ رُباها بالديار

تزوّد من شميم عرار نجدٍ فما بعد العشية من عرار واشتغلت الى نصف النهار، وحطّيت أحجاراً كثيرة حتى ارتفع تمام جدار العرض الشامى من أصل الأساس قريب ثلاثة أذرع، فلمّا قضيتُ من ذلك الوطر، ومتَّعتُ عينى من ذلك الأساس بالنظر لاتحف بوصفه المشتاقين، وأنشر من طيّب أخباره فى المحبّين، وقع الكلام... بأنّ الذى أسس الكعبة مجتهدُ الرافضة، فلمّا سمعتُ هذه الحكاية قلتُ: «موتوا بغيضكم ما لكم من علاج، قد كان ما كان» فقلّلت المدخلَ؛ لأنّ الذى يُفهم من حديث على بن الحسين عليه السلام الآتى ذكره نفس التأسيس فقط، لا بناء الجدران (۱)، فاحضر بعض الأوقات وأغيب بعضها حتى وصل العمل الى الركن الذى فيه الحَجَر الأسود يوم التاسع من رجب، هذا وأنا أتّقى وما أدخل معهم فى الشغل، فذكرتُ لبعض أشراف بنى حسن- هو شريك سلطنتهم- وقلتُ له: أحضر الكعبةَ عسى أن تمنعهم من أن يرفعوا الحَجَر، والهمتُ فى ذلك اليوم بقراءة الدعاء المبارك السّيفى، فلمّا قرأت سبعاً وعشرين مرةً وصل الىّ الخبر بأنْ لما كشفوا الحجر تخيّل لهم كأنّه تنينٌ عظيم يريد أن يأكلهم، ودخل السيد على بن بركات- أيده اللّه تعالى- وهو من أكابر أشراف بنى حسن ومنعهم أيضاً وقال لهم لا تشيلوه (۲)!

فالحاصل، منع المعصومون عليهم السلام (الآخرين) أن يرفعوا الحَجَر الأسود، وأعطانا اللّه بركاتهم عليهم السلام منصب التأسيس هذا عطاؤنا فَامْنُنْ أو أمسِكْ بغَير حِساب (۳)

، وكانَ حَقًّا علينا نَصْرُ المؤمنين (۴)

.

ويوم الثانى والعشرين من رجب هذا المذكور علّقوا الباب الشريف،

---

۱- ۱ أىنفهم من الحديث الذى رواه الكلينى عن بناء أساس البيت الشريف على يد سيدنا الامام زين العابدين عليه السلام هو أن كلمة تأسيس البيت يطلق على بناء القواعد فقط دون الجدران.

۲- ۲ أىلا ترفعوه.

۳- ۳ص: ۳۹.

۴- ۴ الروم: ۴۷.

ص: ۲۰

ويوم الثالث عشر من شعبان بعد رجب أدخلنا أعمدة سقف بيت اللّه الحرام، ويوم الخامس عشر دخلتُ الكعبة ووضعت فى باطن جدارها أربعةً من الأحجار: وضعت حجراً فى نفس زاوية الحَجَر الأسود، وحجراً فى الحطيم، وحجراً فى مولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام (وهو بعيد عن زاوية الحَجَر بثلاثة أذرع من جهة الركن اليمانى تخميناً، واللّه أعلم) وحجراً قرب زاوية الركن اليمانى.

ويوم الثامن عشر من هذا الشهر أدخلنا ألواحاً بين أعمدة السّقف ورُكِّبت مع الأعمدة، ويوم التاسع عشر من شعبان المذكور رُكّبَ ميزاب الرّحمة، ويوم الثانى من شهر رمضان المعظم بعد شعبان المذكور المبارك شرعوا فى عمل الرّخام فى سطح الكعبة الشريف، ويوم التاسع منه ابتدأوا فى شغل رخام باطن جدران الكعبة وأرضها، وفى يوم الأربعاء التاسع والعشرين منه تمّ العمل، و [يوم] الجمعة آخر الشهر، أعنى شهر رمضان المذكور دخل الخلقُ الكعبة. والحمد للّه.

فأول التأسيس الى آخر البناء ثلاثة أشهر وخمسة أيام. وموافقة ابتداء هذا الأساس مع أساس على بن الحسين زين العابدين عليه السلام وهو أساس العرض الشامى الذى رماه الحجّاج بالمنجنيق؛ لأن أساس الجدران الثلاثة على حالها الأوّل، وموافقة اسم العبد الذليل مع اسم شريفٍ على بن الحسين زين العابدين عليهما السلام، وكمال ضعفه، وقلة حيلته... مع هذا يؤسس بيت [اللّه] الحرام، لاشك فى أنّ هذا معجزة من معجزات المعصومين عليهم السلام لإدخال السرور على محبّيهم كى يفرحوا ويذيعوا (۱) فى التواريخ والتصانيف حتى بهذا الخبر من كان فى أصلاب الرجال، ويتيقَّنوا بأنّ المعصومين عليهم السلام ليسوا غافلين عن حال رعيتهم فى كلّ أوانٍ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ والمُؤمِنُونَ (۲)

.

ونُشرّف هذا الفصل بالحديث الشريف الذى فيه ذكر تأسيس على بن الحسين عليه السلام [الذى] رواه ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكلينى فى (كتاب الحج) فى باب (ورود تُبّع) عن عدّة من

---

۱- ۱ فى الأصل: يؤخروا وهو خطأ.

۲- ۲ التوبة: ۱۰۵.

ص: ۲۱

أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن أبی عُمیر، عن أبی علیصاحب الأنماط، عن أبان بن تغلب قال:

«لمّا هَدّم الحجّاجُ الکعبة فرّق الناس ترابها، فلمّاصاروا الی البناء فأرادوا أن یبنوها خرجت علیهم حَیّة فمنعت النّاس البناء، حتّی هربوا فأتوا الحجّاج فأخبروه، فخاف أن یکون قد مُنع بناؤها، فصعد المنبر ثم نشد الناس وقال:

أنشد اللّه عبداً عنده مما ابتلانا به علمٌ لما أخبرنا به.

قال: فقام الیه شیخٌ فقال: إن یکن عند أحدٍ علمٌ فعند رجلٍ رأیته جاء الی الکعبة فأخذ مقدارها ثم مضی!

فقال الحجاج: من هو؟

فقال: علی بن الحسین علیهما السلام.

فقال: هو معدنُ ذلک، فبعث الی علی بن الحسین علیه السلام فأتاه فأخبره ما کان من منع اللّه إیّاه البناء.

فقال له علی بن الحسین علیه السلام:

یاحجّاج! عمدتَ الی بناء إبراهیم وإسماعیل فألقیته فی الطریق وأنمیته، کأنک تری أنه تراثٌ لک، اصعد المنبر وأنشد الناس أن لا یبقی أحدٌ منهم أخذ منه شیئاً إلّاردّه.

قال: ففعل وأنشد الناس أن لا یبقی منهم أحدٌ عنده شی إلّاردّه فردّوه، فلمّا رأی جمیع التراب علی بن الحسین علیه السلام فوضع الأساس وأمرهم أن یحفروا منه فتغیّبت عنهم الحیّة، وحفروا حتی انتهوا الی مواضع القواعد.

قال لهم: تنحّوا، فتنحوا فدنا منها فغطّاها بثوبه ثم بکی، ثمّ غطّاها بالتراب بید نفسه، ثمّ دعا الفعلة فقال:

ضعوا بناءکم فوضعوا البناء، فلمّا ارتفعت حیطانها أمر بالتراب فقلب فی جوفه، فلذلکصار البیت مرتفعاً یُصعد الیه بالدرج» (۱).

الفصل الثانی

«علة بناء الکعبة المشرفة، وبدء الطواف بها، وفضلها، وذکرصفة الکعبة المُعظّمة، وطولها وعرضها وارتفاعها من خارجها وداخلها، وسقفها وأساطینها وغلظ جدارها، وبابها وسلمیها الداخل والخارج،

---

۱- ۱ الکافی ۴: ۲۲۲.

ص: ۲۲

والحِجْر، والميزاب، والحَجَر الأسود، والحطيم، والمستجار، وكسوتيها الخارجة والداخلة، وشاذروانها، ومطافها، والمقام، والمنبر».

ولنزيّن هذا الفصل بأحاديث المعصومين عليهما السلام:

روى محمد بن يعقوب الكلينى رحمه الله فى أول كتاب الحج من «الكافى» فى باب (بدء البيت والطواف) بسنده عن أبى عبداللّه عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال:

«... أمّا بدء هذا البيت، فإنّ اللّه تبارك وتعالى قال للملائكة: إنى جاعلٌ فى الأرضِ خَليفةً (۱)

فردّت الملائكة على اللّه عزوجل أتَجْعَلُ فيها مَن يُفسِدُ فيها وَيَسفِكُ الدِّماءَ (۲)

فأعرض عنها، فرأت أن ذلك من سخطه فلاذت بعرشه، فأمر اللّه ملكاً من الملائكة أن يجعل له بيتاً فى السماء السادسة يُسمى الضراح بازاء عرشه فصيّره لأهل السماء، يطوف به سبعون ألف ملكٍ فى كلّ يوم لا يعودون ويستغفرون. فلما أن هبط آدم الى سماء الدنيا أمره بمرمّة هذا البيت وهو بإزاء ذلك، فصيّره لآدم وذريته كماصيّر ذلك لأهل السماء...» (۳).

وبسنده عن أبى خديجة قال: «إن اللّه عزوجل أنزل الحجر لآدم عليه السلام من الجنة، وكان البيت دُرّة بيضاء، فرفعه اللّه عزّوجلّ الى السماء وبقى أسّه وهو بحيال هذا البيت يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملكٍ لا يرجعون إليه أبداً، فامر اللّه عزوجل إبراهيم وإسماعيل ببنيان البيت على القواعد» (۴).

وبسنده عن أبى عبداللّه عليه السلام قال:

«إنّ اللّه عزّوجل دحا الأرض من تحت الكعبة الى منى، ثم دحاها من منى الى عرفات، ثم دحاها من عرفات الى منى، فالأرض من عرفات، وعرفات من منى، ومنى من الكعبة» (۵).

وبسنده عن أبى عبداللّه عليه السلام قال:

«إنّ اللّه تبارك وتعالى جعل حول الكعبة عشرين ومائة رحمة منها: ستون للطائفين، وأربعون للمصلّين، وعشرون للناظرين» (۶).

والأحاديث فى فضل الكعبة كثيرة فمَن أرادها فليرجع الى كتاب الكلينى رحمه اللّه وأدام منفعته للمؤمنين الى يوم الدين، بحقّ محمدٍ وآله الطاهرين.

---

۱- ۱ البقرة: ۳۰.

۲- ۲ البقرة: ۳۰.

۳- ۳ الكافى ۴: ۱۸۷- ۱۸۸، الضراح: بضم الضاد المعجمة ثمّ الراء والحاء المهملة: البيت المعمور، انظر الصفحة نفسها فى الكافى.

۴- ۴ الكافى ۴: ۱۸۸- ۱۸۹.

۵- ۵ الكافى ۴: ۱۸۹.

۶- ۶ الكافى ۴: ۲۴۰.

ص: ۲۳

اعلم يا أخى أيّدنى اللّه وإياك، أن الكعبة المشرفة- زيدت مهابتها- بعض جدرانها أطول من بعض ولها طولان وعرضان:

أما الطول الأول: من الركن العراقى- وهو الذى فيه الحَجَر الأسود- الى الركن الشامى، وهو خمسة وعشرون ذراعاً، وهو وجهها وفيه بابها.

وأمّا الطول الثانى: فمن الركن اليمانى الى الركن الغربى، وهو خمسة وعشرون ذراعاً، وهو ظهرها وفيه بابها المسدود.

وأما عرضها الأول: فمن الركن الشامى الى الركن الغربى، وهو إحدى وعشرون ذراعاً، وعليه الميزاب.

وأمّا عرضها الثانى: فمن الركن اليمانى الى الركن العراقى، وهو إحدى وعشرون ذراعاً وشبر.

وأمّا ارتفاعها فى الهواء: فثلاثون ذراعاً، والسقفُ منها على كمال سبع وعشرين ذراعاً، وهو على ثلاثة أعمدة غلاظ فى جدار الطول، على ثلاث أساطين مُصطّفة ما بين عرضيها، ولها سقفٌ ثانٍ لكن ليس [له] عملٌ إلّالربط أستارها الظاهرة.

وأما طولها من داخلها: فالأول: هو الوجه فسبع عشرة ذراعاً.

وأما عرضها الأول: وهو الشامى فخمس عشرة ذراعاً.

وأما الثانى: وهو الظهر فثمانية عشر ذراعاً.

وأما ارتفاعها فى الهواء: فسبعة وعشرون ذراعاً وربع ذراع، فاثنتان وعشرون ذراعاً الى السقف الاول الذى عليه العمل، وخمسة وربع ذراع الى السقف الثانى الذى ليس عليه عمل.

وأما غلظ جدرانها الأصليّة الخالية من الرخام: فأربعة أشبار وأربع أصابع مضمومة فى بطن الجدران، فى كلّ قامةٍ لوحٌ من الخشب عريضٌ متين لحفظ الجدار فى خمسة مواضع. وحجارته من الخارج منحوتة ضخمة على عادة بناء الأقدمين.

وأمّا بابها: فطوله سبعة أذرع ونصف، مصفحٌ بالفضة، مطليٌ

ص: ۲۴

بالذهب، منقشٌ بنقش عجيب، وفيه أربعٌ [حَلَقٍ] من الفضة، فالعليا منهاسمسة مشبكة مستديرة مع بعض استطالة، وهى فى العظم والغلظ متوسط.

وأمّا السُّلقى: فكسائر الحَلَق مقدار غلظ الإصبع، وبينهما قفل حديد مُذَّهب متوسط الكبر له ثلاث زرر فضةٍ غلاظ، وعلى دوره حلق حديد ثمانية، أربع فى الشق الأيمن، وأربع فى الشق الأيسر لربط الأستار التى حوله.

وأما عتبته: فحجرٌ أزرقٌ.

وأمّا سُلّمها: فالخارج سبع ادراج، وهو من الخشب الصنوبرى مُحلّى بصفائح النحاس والحديد، تجرى على أربع بكرات نحاس، وطوله على قدر ارتفاع الباب فى الجدار، وعرضه على قدر عرضه أيضاً.

وأما الداخل: فهو فى عرضها الشامى قريباً من الركن، عليه جدار رخامٍ يستره وله بابان:

الأول: من أسفل الى وسطه.

والآخر: من أعلاه الى سطحها.

وعدد درجه: تسع وعشرون درجة مستديرة كالمنارة.

وأما سطحها: فمرخمٌ أيضاً.

وأما حِجر إسماعيل عليه السلام: فالجدار القصير المستدير كنصف دائرة المقابل العرض الشامى، وفيه قبر هاجر أمِّ إسماعيل عليه السلام وشُبّر وشُبير ابنى هارون ابن عمران عليهما السلام كما ورد فى الأحاديث الشريفة، وارتفاع جداره ذراعان ونصف، وعرضه مثل ذلك. وطول سعته من جدار عرض الكعبة الى جدار طرفى الحِجر المقابل لجدار العرض الذى فيه الميزاب ستة عشر ذراعاً ونصف الذراع، وعرض سعته من طرفه الى طرفه الآخر عشرون ذراعاً. وله فجوتان وهما باباه، وسعة كلّ واحدٍ منهما ذراعان ونصف، وهو مرخمٌ كلّه- وجداره كذلك- برخام أبيض وأكحل وأحمر وأخضر، قطعٌ ووصلٌ عجيبٌ، وفى وسطه قريباً من جدار العرض حيث ينزل ماء الميزاب رخامة خضراء مائلة الى الصفرة مستديرة كالمحراب، وعن يمينها وشمالها محاريب الى طرفيها المتوازيين الى الركن الشامى والمغربى.

ص: ۲۵

وأما ميزاب الكعبة: فهو قطعة خشبٍ عليهصفائح الفضة المذهبة من أوله الى آخره، وطوله أربعة اذرع ونصف، وعرضه ثلثا ذراع، وارتفاعه مثل ذلك.

وأما الحجر الأسود: المغروز فى الركن العراقى فطوله فى الظاهر نصف شبر، وعرضه شبر، وارتفاعه فى الجدار ثلاثة أذرع. وطوله الأصلى الذى فى باطن الجدار ثُلثا ذراعٍ بذراع عمل البنائين، وعلى عرضه الذى فى داخل الجدار وثائق ثلاث من فضة فى ثلاثة مواضع، وعلى طوله الذى فى الجدار دائرة من الفضة لحفظ الخدش الذى فيه. وعلى طوله وعرضه فى الخارج أيضاً فضة دائرة.

وأمّا الحطيم: فهو ما بين باب الكعبة الى الحجر الاسود، وهو أفضل بقاع الأرض، وفيه قبلت توبة آدم عليه السلام.

وأما المستجار: فهو فى مقابل الحطيم، ظهر الكعبة، من الباب المسدود الى الركن اليمانى.

وأما كسوتها الخارجة المعظمة: فأربعة أرباع، وكلّ ربعٍ على جدار من جدرانها الأربعة، وكلّ ربعٍ جُزءَان.

وأما ربع وجهها جزءٌ منه سبع شقق، وجزءٌ منه ثمانى شقق.

وأما ربع ظهرها فمثل ذلك.

وأما ربع عرضها الشامى ففى كلّ جزء من جزئه أيضاً ست شقق، وعرض الشقة ذراع وثلثا ذراع.

وأما شققها: أربعٌ وخمسون شقة من الحرير الخالص الأسود، مكتوب عليه (اللَّه ربّى، لا إله إلّااللَّه، محمّدٌ رسول اللَّه) محبرة محابراً شبه الدلل (والتحبير هو التخليط) وعلى قدر ثلثى ارتفاعها طراز مخيط بخيوط الفضة المذهبة، دائرة عليها كالمنطقة، عرضه كعرض الشقة، مكتوبٌ عليه: إنّ أوّلَ بيتٍ وُضِعَ للنّاسِ... (۱)

وكلّ آية فيها ذكر البيت، واسم السلطان، وتاريخ عملها.

وهذه الأرباع والأجزاء مُبطّنة بخامٍ أبيض يجمعها إزارٌ من القطن أبيض متوسطة الغلظة، وكذلك شريطها الذى أوثقها من أعلاها وأسفلها.

وأما وثيقتها من أعلاها: ففى حَلَقٍ وخشب معرضته فى ثلثى الذى وصفناه فيما تقدّم.

---

۱- ۱ آل عمران: ۹۶.

ص: ۲۶

وأمّا وثيقتها من أسفلها: ففى حلقٍ متوسطة الغلظة مغروزة على ظهر الشاذروان، وعددها سبع وأربعون حلقة، وفى ربع الوجه البرقع وهو الستر الذى على الباب، وهو قطعتا حريرٍ أسود عرض الشّقة، طوله من أعلى الباب الى أسفل الجدار، عليه نقوشٌ وخواتيم عجيبة ومحاريب وقناديل شُغل الإبرة بخيط الفضّة الخالصة المُذَّهبة وغير المُذَّهبة، حتى طمست الحرير، ولم يظهر إلّاكأنه منسوجٌ، ومكتوبٌ على حواشيه: قُلْ هُوَ اللَّهُ أحدٌ ولإيلافِ قُرَيشٍ وآية لقدصدَقَ اللَّهُ رسُولَه الرُّؤيا بالحَقّ (۱)

.

وأما كسوتها الباطنة: فى تخريمتها وتبطينها وتزريرها وتوثيقها كالظّاهرة، غير أنّها ليست بموثقة من أسفلها، ولونها أبيض، وأسماء الصحابة مكتوبة عليها، وكسوةالأساطين والسقف مثلها.

وأما شاذروانها الأصلى المحيط:

فارتفاعه ثُلثا شبرٍ وعرضه نصف ذراع، وفى كتب الشافعية مذكورة قصة وهى: «أنّ السيل هدم الكعبة قبل مبعث النبيّصلى الله عليه و آله بعشرين سنة، فأعادت قريش عمارتها على البنيّة التى عليها اليوم؛ ولم يجدوا من الأموال الطيّبة ما يفى بالنفقة فتركوا من جانب الحِجر بعض البيت وأخّروا الركنين الشاميين عن قواعد إبراهيم عليه السلام وضيّقوا عرض الجدار الذى بين الركنين [الحَجَر الأسود] والشامى الذى يليه، وبقى من الأساس الذى كان مرتفعاً وهو الذى يُسمى شاذروان».

وأنا لا اعتقد بهذا القول؛ لأن الشيخ الصدوق محمد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّى رحمه الله روى فى أول كتاب الحج من كتاب (من لا يحضره الفقيه) عن المعصومين عليهم السلام هذه العبارة الشريفة هكذا:

(وما فى الحِجر شىء من البيت ولا قلامة ظُفرٍ) (۲).

وعلى ظهر شاذروانها جُصٌّ مسندٌ الى جدارها ارتفاع... قدصُفت عليه ألواح رخامٍ طولها ذراع ونصف، فصار لأجل ذلك محدوداً كلّه لا تثبت عليه رجلٌ إلّاعند الباب.

وأما مطافها: فهو مفروش

---

۱- ۱ الفتح: ۲۷.

۲- ۲ من لا يحضره الفقيه ۲: ۱۹۳.

ص: ۲۷

بالرُّخام، وعلی دوره أساطین مستدیرة لاستدارته، عددها ثلاث وثلاثون أسطوانة، وعلی کلّ واحدة قبةصغیرة، وعلی بعض القبة هلالٌ وکلاهما منصفر، وبین کلّ اسطوانتین میل حدید، وطرفاه مغروزان فی الاسطوانتین اللتین علی طرفه، ومعلّق علی هذا المیل سبعة قنادیل تُسرج فی اللیالی، وسعة دوره مائتان وثمان عشرة ذراعاً، سعته من الرکن العراقی الی طرفه المنتهی الی قبة زمزم سبع وثلاثون ذراعاً، وسعته من الرکن الشامی الی طرفه الذی قرب المقام ثلاث وثلاثون ذراعاً، وسعته من الرکن الغربی الی المحیط المقابل له خمس وثلاثون ذراعاً.

وأما مقام ابراهیم علیه السلام: فحجرٌ مربع طول... (۱) طوله ذراع، وعرضه قدر نصف ذراع، وارتفاعه قدر ثلثی ذراع، فیه الآیات البیّنات موضع قدمی إبراهیم الخلیل علیه السلام وهو مواجه لوجه البیت، بل مائل عن البیت الی جهة الیمین للداخل قلیلًا، وفی زمان إبراهیم علیه السلام کان لاصقاً بالکعبة فحوّلته قریش، فردّه رسول اللّهصلی الله علیه و آله فحوّله عمر فی خلافته الی مکان کفار قریش کما روی رئیس الطائفة الشیخ الطوسی- طاب ثراه- فی کتاب (التهذیب) فی زیادات الحج بسنده عن عبداللّه بن میمون القدّاح، عن جعفر، عن أبیه علیهما السلام قال: «کان المقام لازقاً بالبیت، فَحوّله عُمر» (۲).

ونحن مأمورون من المعصومین علیهم السلام بأن نُصلّیصلاة الطواف الواجب فی المکان الذی فیه الآن حتی یظهر المهدی علیه السلام.

وعلیه قبّة منصفائح الحدید طولها قدر ذراعین وثلثی ذراع، وعرضها قدر ذراعین ونصف، لها بابصغیر علیه قفل من حدید وعلیها کسوة حریر.

وهی منقوشة أیضاً کنقش البرقع إلّا أنها أخفُّ نقشاً منه، مکتوب علی جوانبها: إنّ أوّلَ بیتٍ وُضِعَ للنّاس... (۳)

وکلّ آیةٍ فیها ذکر البیت واسم السلطان، وهذه القبة فی وسط قبةٍ أخری منقوشة بالذهب، وبین أساطینها شبابیک حدید، ولها هلالٌ مذهبٌ عجیب، وعلی بابها رواقٌ علی أسطوانتین، وبابها أحد شبابیکها وهو

---

۱- ۱ بیاض قدر کلمة.

۲- ۲ التهذیب ۵: ۴۵۴.

۳- ۳ آل عمران: ۹۶.

ص: ۲۸

فى رواقها وعليه قفل، وعلى الرواقصُفَّةٌ مزخرفة مذهّبة عجيبة، وعلى سطحها و سطح الرواق ألواح رصاص بين كلّ لوحٍ ولوحٍ تاليه ضلع، شغل عجيب متقن لم أر مثله، وارتفاع هذه القبة ورواقها ارتفاع جيّد متوسط، وطولها ستة أذرع وعرضها خمسة أذرع.

وأما المنبر: فعالٍ ضخمُ الهيكل، من الرخام الأبيض، عدد درجاته ست عشرة درجة، وعلى جوانبه خواتم من نفس الجنس (۱)، وعلى درجته العليا قبّة عجيبة على أربع اسطوانات على هيئة الشكل الصنوبرى، مذهبة وعلى رأس القبّة شبكة فيها لفظتا (الجلالة) و (محمد) مشبكة بشكل رأس الراية، وعلى الدرجة السفلى بابٌ من الصفر عليه شراريف حسان من الصفر.

*** الفصل الثالث

فى ذكرصفة المسجد الحرام، وأبوابه وأسمائها وأساطينه، وما فيه من القباب فيصحن المسجد، وما على رواقه، وصفة زمزم المكرم، والصفا والمروة.

اعلم أيّها الأخ اللبيب، جعلنى اللّه وإياك فى جوار المعصومين عليهم السلام أن المسجد الحرام أيضاً بعض جوانبه أطول من بعض، وهو متسع مُحصَّبٌ إلّاخلف المقام، وحيث يوقف درجة البيت والمنبر، وبين يدى زمزم فإنه مفروش مرّخم، وطوله أربعمائة ذراع، وعرضه مائتان وسبعون ذراعاً سوى الزيادتين الآتى ذكرهما، وجدرانه عالية، وشراريفه بادية، وفى كلّ ركنٍ من الأربعة منارةٌ طويلةٌ، وما بين جدار العرض الذى فى مقابل وجه الكعبة أيضاً منارتان، وما بين جدار الطول الذى فى مقابل العرض الشامى الذى فيه الميزاب أيضاً منارة، والكعبة فى وسط المسجد كالعروس، وجملة عدد منائر المسجد سَبعُ منائر، وفيه زيادتان خارجتان من تربيعه:

فالأولى فى الطول المقابل للعرض الشامى.

والثانية فى جانب عرضه لظهرها.

وأما أبوابه: فتسعة عشر باباً.

---

۱- ۱ فى المخطوط: الجسد وهو خطأ والصحيح ما أثبتناه.

ص: ۲۹

الباب الأول: باب السلام وله ثلاثة منافذ.

الباب الثانی: باب الدریبة وله مدخلٌ واحد.

الباب الثالث: باب السُّویقة، وهو فی الزیادة الأولی، له أیضاً ثلاثة منافذ.

الباب الرابع: باب الفهود، وهو فی الزیادة الأولی وله مدخلٌ واحد.

الباب الخامس: باب العجلة، وهو مشهور بباب الباسطیة وله مدخلٌ واحد.

الباب السادس: باب السُّدة وله مدخلٌ واحد، ولجنبه من جهة الیمین بیت الفقیر، ومتصلٌ به مسکنی وله شبابیک تجاه الکعبة الشریفة، والحمدللّه الذی جعلنی من جیران بیته الحرام.

الباب السابع: باب العُمرة وله مدخلٌ واحد.

الباب الثامن: باب إبراهیم، وهو فی الزیادة الثانیة وعلیه قصرٌ عالٍ، وله مدخلٌ واحد.

الباب التاسع: باب حزورة، وهو فی الزیادة الثانیة وعلیه قصر عالٍ، وله مدخلٌ واحد الی حزورة، وعوام الناس یُسمونه عزورة بالعین المهملة، وهو غلطٌ؛ لأنصاحب «النهایة» ذکر فی کتابه حزورة بالحاء المهملة (۱)، وذکر حدیث عبداللّه بن الحمراء أنه سمع رسول اللّهصلی الله علیه و آله وهو واقفٌ بالحزورة من مکّة، وهو موضع عند باب الحنّاطین.

روی رئیس الطائفة محمد بن الحسن الطوسی رحمه الله فی کتاب (التهذیب) الحدیث هکذا: الحسن بن سعید، عن عبداللّه بن سنان، عن أبی عبداللّه علیه السلام قال: «خَطّ إبراهیم علیه السلام بمکّة ما بین الحَزورة الی المسعی» (۲) وله مدخلان.

الباب العاشر: باب أمّ هانی، له مدخلان.

الباب الحادی عشر: باب الرحمة، وله مدخلان.

الباب الثانی عشر: باب المجاهدیة، وله مدخلان.

الباب الثالث عشر: باب جیاد، وله مدخلان.

الباب الرابع عشر: باب الصَّفا، وله خمسة منافذ.

الباب الخامس عشر: باب البغلة، وله مدخلان.

---

۱- ۱ النهایة ۱: ۳۸۰.

۲- ۲ التهذیب..

ص: ۳۰

الباب السادس عشر: باب بازان، وله مدخلان.

الباب السابع عشر: باب أمير المؤمنين، وإمام المتّقين، ويَعسوبُ المسلمين، وقائد الغُرّ المحجّلين، قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، أسد اللّه الغالب، على بن أبى طالب عليه السلام وله ثلاثة منافذ.

الباب الثامن عشر: باب العباس، وله ثلاثة منافذ.

الباب التاسع عشر: باب الجنائز، وله مدخلان.

فجملة منافذه ومداخله تسع وثلاثون.

وأمّا أساطينه التى هى خارجة عن الجدار، خمسمائة أسطوانة، ففى طوله المقابل لعرضها اليمانى ثلاثةصفوف، وفى طوله المقابل لعرضها الشامى- وفيه الزيادة الأولى كما تقدم- ثلاثةصفوف أيضاً، وفى بعضه أربعة. وفى عرضه المقابل لوجه الكعبة ثلاثةصفوف، و فى عرضه المقابل لظهرها ثلاثةصفوف أيضاً.

فجملة الخمسمائة فى هذه الصفوف الإثنى عشر، والتى غير خارجة تقرب من ستين أسطوانة، واللّه أعلم.

وأما الذى فيصحن المسجد من القباب فثلاث:

القبة الأولى: قبة العباس رضى الله عنه وهى مربعة حسنة البناء، ولها شراريف، ولها ستة شبابيك حديد من جهاتها، وملصقٌ الى ظهرها قبةصغيرة قد ضمّها تربيعاً حتيصارتا كالقبة الواحدة لم يفترقا إلّافى المدخل. وفى وسطها حوضٌ مستدير متوسط العظم من ألواح رخام مضلّعة بالرصاص، وفى وسطه قصبة لدخول الماء.

القبة الثانية: قبة الفراشين، وهى مربعة أيضاً، ولها ستة شبابيك، وفى زاويتها الشرقية حجر فيه أثر قدم النبيصلى الله عليه و آله واللّه أعلم.

القبة الثالثة: قبة زمزم، وهى مر بعة عالية، و لها ثمانية شبا بيك حديد من جهاتها الثلاث، وسقفها منفرجٌ وملصق اليها من جهتها التى تقابل باب الصَّفا فيه [فتحة]صغيرة مستطيلة، لها ثلاثة شبابيك حديد وعلى سطح الكبير رواق مزخرف، يؤذنونفيه، وعليهقبةٌلها هلال، وله درجٌ أوله عند الباب وآخره على

ص: ۳۱

عجزالقبة، وفى‌رأس الدرج بابصغيرٌ.

وأمّا بئر زمزم: وهو فى وسط هذه القبة أى‌الكبيرة، وطوله أربعون ذراعاً وعليه خرزة من ألواح رصاص لها أضلاع، بين كلّ ضلع منها والآخر لوح رخام، وعلى دوريها طوقان من حديد بينهما أميال من حديد، بين كلّ ميلين لوحٌ من نحاس مستديرة كاستدارتها، وارتفاع هذه الخرزة ذراعٍ وثُلثا ذراع، وعرضها شبرٌ وثلاثة أصابع، ودورها عشرون ذراعاً، وهى عظيمة الهيكل، هائلة المنظر، وعليه بكراتٌ فى الخشبتين المغروزتين، أحد طرفيهما فى جدار الباب، وطرفهما الآخر فى الجدار المقابل له، الذى ينتهى اليه طرف المطاف، وعلى الخشبتين خشبتان اخريان لتغليق البكرات.

وأمّا القباب اللّاتى على رواق المسجد: مائة وعشرون قبة، واللّاتى على الزيادتين إحدى وثلاثون قبة، ست عشرة فى الأولى، وخمس عشرة فى الثانية.

وأما الأمكنة المُبتدعة (۱) لكلّ إمام فلا حاجة الى ذكرها.

وأما الصّفا: كما روى عن المعصومين عليهم السلام أن المصطفى- آدم- نزل عليه؛ لأن اللّه تعالى قال فى كتابه العزيز: إنّ اللَّهَ اصْطَفى آدمَ وَنوحًا وَآلَ إبراهيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلى العالمين (۲)

وعليه بيوت لأهل مكّة.

وفى أصل الجبل دكوك مبنية وثلاثة من العقود المتصلة بعضها الى بعض:

الدّكة الأولى: لها ثلاث دُرج.

والثانية: لها أربع دُرج.

والثالثة: لها أربعُ دُرج.

والرابعة: لها درجتان.

وأما المروة: أيضاً جَبَلٌ نزلت عليه حواء عليها السلام ووجه تسميته هو أنّ المرأة نزلت عليه، كما روى أيضا عنهم عليهم السلام، وعليه أيضاً بيوت أهل مكّة، وفى أصل الجبل دكّة واحدة أرفع من أرض المسعى بدرجتين.

وبين الصّفا والمروة سوق للعطّارين وغيرهم، ليس عليه سقف، ومن وقف على الصفا يرى المروة وبالعكس.

ومن الصفا الى المروة خمسمائة وثلاثون خطوة إنسان معتدل القامة.

---

۱- ۱ كانت توجد فى المسجد الحرام أربعة محاريب مُسماة بأسماء المذاهب السُّنية الأربعة، يُصلّى فى كلّ واحدٍمنها إمامٌ يُنسب الى أحد المذاهب، ويُصلّى خلفه أتباع مذهبه، وحسبما روى المؤرخون فإن الصلاة جماعةً فى المسجد الحرام كانت تُعدّ من المهازل، التى تُضحك الثكلى، فإن أئمة المذاهب كانوا يقيمون الجماعة فى وقت واحد. فيكبر لركوع الشوافع، فيرفع الحنفى رأسه من السجدة الأولى أو الثانية، أو يكبّر للمالكى فيسجد الحنبلى أو يركع. أو هكذا يصحّ أن تؤدى الصلاة، التى هى عمود الدين فى هذه البقعة المقدسة، التى جعلها اللّه سبحانه وتعالى رمزاً للتوحيد والوحدة فى العقيدة والعبادة؟!

۲- ۲ آل عمران: ۳۳.

ص: ۳۲

الخاتمة

«فهى فى ذكرصفة الأماكن الشريفة المطهرة غير المشاعر العظيمة، منها المولد الشريف السيد البشر وشفيع المحشر، والمولد الشريف لسيدة النساء. والحَجَر الذى فيه علامة مرفقهصلى الله عليه و آله. والجبّانتان المعلّى والشبيكة».

اعلم يا أخى هدانى اللّه وإياك أنّ المولد الشريف لسيد البشر، والشفيع فى المحشر، هو روضةٌ عالى البناء مزخرفٌ، له بابان وله محرابٌ فى الركن القبلى، ومسقط رأسهصلى الله عليه و آله قريبٌ منه، وهو حفرةصغيرة، عليه قبّة عود مربعةصغيرة، مفرجة الجوانب، عليها كسوة كتانٍ، شُغل الإبرة، قطع ووصل عجيب (۱).

وأما مولد أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغُرّ المُحجَّلين علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى المكان الذى هو مشهورٌ بمكّة فغلطٌ؛ لأن مولده الشريف نفس الكعبة الشريفة (۲)(۳)(۴)، ذكره أبو منصور الطبرى فى كتاب (إعلام الورى) (۵) هكذا:

«ولد أمير المؤمنين عليه السلام بمكّة فى البيت الحرام يوم الجمعة الثالث عشر من شهر اللّه الأعظم رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة، ولم يولد قطّ فى بيت اللّه تعالى مولودٌ سواه، لا قبله ولا بعده، وهذه فضيلةٌ خَصّه اللّه تعالى بها إجلالًا لمحلّه ومنزلته، وإعلاءً لرتبته. وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وكانت من رسول اللّهصلى الله عليه و آله بمنزلة الامّ، وربىّ فى حجرها، وكانت من سابقات المؤمنات الى الإيمان، وهاجرت معه الى المدينة، وكفّنها فى قميصه يدرأ به عنها هوامَّ القبر، وتوسّد فى قبرها؛ لتأمن بذلك من ضغطة القبر، ولقّنها الإقرار بولاية ابنها- كما اشتهرت- فكان أمير المؤمنين عليه السلام هاشميّاً من هاشميين، وأوّل من ولده هاشم مرتين».

وأمّا مولد سيدة نساء العالمين، البتول (۶)، امّ الأئمة النقباء النجباء فاطمة الزهراء عليها السلام فهو روضة عليه

---

۱- ۱ هذه البقعة التى ولد فيها سيد البشرصلى الله عليه و آله كانت مئات السنين مزاراً يتبرك الناس بها، ويشكرون اللّه سبحانه وتعالى على هذه النعمة التى خصّهم بها. لكن بعد أن استولت جماعة حاولت جاهدة اطماس جميع آثار السلف الصالح فى الحرمين الشريفين، فقد اقدمت على هدم مجموعة كبيرة من المساجد وبيوت الصحابة والتابعين وحوّلتها الى مواقف للسيارات أو مزابل، ومما هدمته مولد النبيصلى الله عليه و آله حيث بقيت خربة سنوات طوال، ثم بعد أن واجهوا استنكار المسلمين، حولوها الى مكتبة عامة.

۲- ۲ إنّ المنقب فى التاريخ والحديث جِدّ عليم بأن فضيلة ولادة على بن أبى طالب عليه السلام فى جوف الكعبة من الحقائقالتى تطابق على اثباتها الرواة وتضافر النقل لها وتواترت الاسانيد اليها. قال الحافظ أبو عبداللّه الحاكم النيسابورى المتوفى سنة ۴۰۵ ه فى المستدرك على الصحيحين فى باب مناقب حكيم بن حزام ۳: ۴۸۳، عن مصعب بن عبداللّه: «أنّ أمّ حكيم ولدته فى الكعبة، ضربها المخاض وهى فى جوفها ولم يولد قبله ولابعده فى الكعبة أحد». قال الحاكم: وَهَم مصعب فى الحرف الأخير، وقد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين على بن ابى طالب- كرم اللّه وجهه- فى جوف الكعبة». وقد وافقه على ذلك جماعة من افذاذ أهل السنة مثل المحدّث الدهلوى والكنجى الشافعى وشهاب الدين الآلوسى المفسّر وغيرهم من اعيان أهل السنة، هذا فضلًا عن اتفاق الامامية والشيعة واجماعهم على ذلك. وقد أصدر كثير من الاعلام رسائل وكتباً حول هذا الموضوع، منها كتاب علىٌّ وليد الكعبة للمحقق الاديب الشيخ محمد على الاردوبادى، الذى جمع فيه أقوال القدماء والمتأخرين وآراءَهم فى هذا المجال. راجع أيضاً: «الكافى ۴: ۳۷۶، التهذيب ۶: ۱۹، ومستدرك الحاكم ۳: ۱۸۰، مناقب ابن المغازلى ۶: ۲، مناقب الخوارزمى: ۱۲ و ۱۳، اسد الغابة ۵: ۵۱۷، الرياض النضرة ۳: ۱۰۴، الفصول المهمة: ۳۰ و ۳۱...».

۳- ۲ إنّ المنقب فى التاريخ والحديث جِدّ عليم بأن فضيلة ولادة على بن أبى طالب عليه السلام فى جوف الكعبة من الحقائق‌التى تطابق على اثباتها الرواة وتضافر النقل لها وتواترت الاسانيد اليها. قال الحافظ أبو عبداللّه الحاكم النيسابورى المتوفى سنة ۴۰۵ ه فى المستدرك على الصحيحين فى باب مناقب حكيم بن حزام ۳: ۴۸۳، عن مصعب بن عبداللّه: «أنّ أمّ حكيم ولدته فى الكعبة، ضربها المخاض وهى فى جوفها ولم يولد قبله ولابعده فى الكعبة أحد». قال الحاكم: وَهَم مصعب فى الحرف الأخير، وقد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين على بن ابى طالب- كرم اللّه وجهه- فى جوف الكعبة. وقد وافقه على ذلك جماعة من افذاذ أهل السنة مثل المحدّث الدهلوى والكنجى الشافعى وشهاب الدين الآلوسى المفسّر وغيرهم من اعيان أهل السنة، هذا فضلًا عن اتفاق الامامية والشيعة واجماعهم على ذلك. وقد أصدر كثير من الاعلام رسائل وكتباً حول هذا الموضوع، منها كتاب علىٌّ وليد الكعبة للمحقق الاديب الشيخ محمد على الاردوبادى، الذى جمع فيه أقوال القدماء والمتأخرين وآراءَهم فى هذا المجال. راجع أيضاً: «الكافى ۴: ۳۷۶، التهذيب ۶: ۱۹، ومستدرك الحاكم ۳: ۱۸۰، مناقب ابن المغازلى ۶: ۲، مناقب الخوارزمى: ۱۲ و ۱۳، اسد الغابة ۵: ۵۱۷، الرياض النضرة ۳: ۱۰۴، الفصول المهمة: ۳۰ و ۳۱....

۴- ۲ إنّ المنقب فى التاريخ والحديث جِدّ عليم بأن فضيلة ولادة على بن أبى طالب عليه السلام فى جوف الكعبة من الحقائق‌التى تطابق على اثباتها الرواة وتضافر النقل لها وتواترت الاسانيد اليها. قال الحافظ أبو عبداللّه الحاكم النيسابورى المتوفى سنة ۴۰۵ ه فى المستدرك على الصحيحين فى باب مناقب حكيم بن حزام ۳: ۴۸۳، عن مصعب بن عبداللّه: «أنّ أمّ حكيم ولدته فى الكعبة، ضربها المخاض وهى فى جوفها ولم يولد قبله ولابعده فى الكعبة أحد». قال الحاكم: وَهَم مصعب فى الحرف الأخير، وقد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين على بن ابى طالب- كرم اللّه وجهه- فى جوف الكعبة. وقد وافقه على ذلك جماعة من افذاذ أهل السنة مثل المحدّث الدهلوى والكنجى الشافعى وشهاب الدين الآلوسى المفسّر وغيرهم من اعيان أهل السنة، هذا فضلًا عن اتفاق الامامية والشيعة واجماعهم على ذلك. وقد أصدر كثير من الاعلام رسائل وكتباً حول هذا الموضوع، منها كتاب علىٌّ وليد الكعبة للمحقق الاديب الشيخ محمد على الاردوبادى، الذى جمع فيه أقوال القدماء والمتأخرين وآراءَهم فى هذا المجال. راجع أيضاً: «الكافى ۴: ۳۷۶، التهذيب ۶: ۱۹، ومستدرك الحاكم ۳: ۱۸۰، مناقب ابن المغازلى ۶: ۲، مناقب الخوارزمى: ۱۲ و ۱۳، اسد الغابة ۵: ۵۱۷، الرياض النضرة ۳: ۱۰۴، الفصول المهمة: ۳۰ و ۳۱...».

۵- ۳ إعلام الورى بأعلام الهدى للشيخ أبى على الفضل بن الحسن الطبرسى، من أعلام القرن السادس الهجرى.

۶- ۴ البتول: أى المنقطعة الى اللّه تعالى عن الدنيا.

ص: ۳۳

شراريف فى قبلة الرواق، فيه محرابٌ وفى مؤخره قبة عالية متوسطة العِظم، على رأسها هلال نحاسٍ، بابها قبلى وفضلها مروىّ، يقال لها «قبة الوحى»، ومسقط رأسها عليها السلام فى مخزنٍ مستطيل عن يمين الداخل [الى] القبة، وهى حفرةصغيرة، وعليه قبّة أصغر من قبّة أبيهاصلى الله عليه و آله.

وأما علامة مرفقهصلى الله عليه و آله فأنواره لائحة، ومعجزة للناظرين واضحة، وهو حفرةصغيرة فى حجر قد بنى فى جدار دارٍ، وارتفاعه ذراعان.

وكلّ ما وصفناه فى رسالتنا هذه من الأذرع فمتوسط ذراع الآدمى إلّازمزم والحَجَر الأسود فإنهما بذراع العمل المتعارف بين البنائين.

وأما المُعلّى: جبّانة عظيمة قد دفن فيها ما لا يُحصى من أهل الكرامات والمقامات، من أهل البلد والآفاق.

فالمشهور اليوم من القبور التى عليها الاتفاق:

قبر سيدة النساء بعد بنتها، وفريدة دهرها، والمعتنية للخيرات، المطمئنة لقلب الرسول حين أتاها مُفاجَأً بأول النزول، وزوجة سيّد المرسلين، امّ سيّدة نساء العالمين، جَدّة الأئمة المعصومين عليهم السلام خديجة الكبرى بنت خويلد عليها السلام.

والمشهور عندنا قبر جدّ رسول اللّهصلى الله عليه و آله سيّدنا عبدالمطلب، وعبد مناف، وعمّه ومعينه أبو طالب- رضى اللّه عنهم.

وقبر سيد الصّالحين، نصير الدين حسين، وقبر سلطان المحقّقين والمدقّقين استادای فى فنّ الرِّجال والأحاديث الشريفة والنحو ملا محمد أمين الاسترابادى- طاب ثراه- وميرزا محمد الاسترابادى- رحمهم اللّه تعالى.

ومن تفضّلات ربّى الرحيم فى هذه السنة لما توفى ثمرة فؤادى السيّد أبو جعفر محمد الباقر مع والدته، وأخوه علىّ نزلَ من بطن أمّه حيّاً ثم ماتت أمّه- رحمهما اللّه- بسبب عدم خروج المشيمة، ومات علىٌّ بعد أُمّه- رحمهم اللّه وأسكنهم [الجنّة] بعلىّ وولده- [دفنتهم فى] ثلاثة من القبور من الموضع الذى يقف الناس به ويقرأون الفاتحة لخديجة الكبرى عليها السلام قبالصندوقها،

ص: ۳۴

دفنتُ فى واحد من القبور الثلاثة:

امّ السيد أبو جعفر سكينة بيگم- رحمها اللّه- التى كانت معينتى فى طلب العلم بمكة المعظمة.

وفى القبر الثانى دفنتُ ثمرة فؤادى سيد أبو جعفر محمد الباقر، الذى قرأ فى مدة خمس سنين وتسعة [أشهر] القرآن الى نصف سورة «إنّا فَتَحنا» وقرأ الأمثلة وبعضاً من التصريف للزنجانى، يقرب نصفه.

والثالث: بنيته لنفسى ودخلت فيه وقرأت التلقين مع بعض سور من القرآن وأودعت فيه، وأرجو من اللّه أن يجعل ذلك التَّلقين كافياً، فإن كان ظهر سيدنا ومولانا وإمامناصاحب العصر والزمان وخليفة الرحمان-صلوات اللّه عليه- فلا حاجة الى ذلك القبر أيضاً، ومَا تَدرى نَفسٌ بأىّ أرضٍ تَمُوتُ (۱)

.

وأما الشبيكة: فهى جبّانة عظيمة أيضاً قد دفن فيها ناس كثير، لكن ليس فيها من مشاهير القبور المعتمدة عندنا شىء.

نصيحة: أيها المؤمنون أنصح نفسى وإياكم، اجتهدوا فى تعمير دار الآخرة بزيارة هذه الأماكن المشرّفة وغيرها من أفعال الخير؛ لأن الآخرة دار القرار، وفيها الأنبياء والمرسلون، والأولياء والصالحون، وحسن أولئك رفيقاً.

وذكر على بن إبراهيم، عن الشيخ محمد بن يعقوب الكلينى- رحمهما اللّه- فى تفسيره فى سورة لقمان، عن أبى عبداللّه عليه السلام يحدّث لحمّاد قال:

«فوعظ لقمان بآثار حتى تفطّر وانشق، وكان فيما وعظ به: ياحمّاد الى أن قال: يا بُنى إنك منذ سقطتَ الى الدنيا استدبرتها واستقبلتَ الآخرة، أنت تسير إليها أقرب إليك من دارٍ أنت عنها متباعد» (۲).

ولنختم الخاتمة بأسامى جماعة من المؤمنين الذين اشتغلوا فى الكعبة:

محمد الحسين المذكور، وسيد أحمد ابن محمد معصوم، ومحمد على بن عاشور وأبوه، وحسن بن عبداللّه السمنانى المكّى، ودرويش حيدرالكشميرى، وميرزا خان الكشميرى، والحاج حسن على الأردبيلى، والحاج معصوم بيك التبريزى، وحاجى محمد شفيع

---

۱- ۱ لقمان: ۳۴.

۲- ۲ بحار الأنوار ۱۳: ۴۱۱ ح ۲.

ص: ۳۵

التبریزی وولـده إبراهیم بیک، والشـیخ طائف رفیع ولـدی أبو جعفر، وإسـماعیل ابن شـهید أوغلی، والشـیخ عبـد علی، وعبدان للفقیر مفلح ونافع.

وألهمنی اللّه تعالی لتاریخ هذا التأسیس الشریف اقتباساً من الآیة الشریفة وإذْ یَرفَعُ إبراهیمُ القَواعِدَ مِنَ البیتِ (۱)

هذا رفع اللّه تعالی قواعد البیت.

*** تَمَّصورة ما کتب رحمه اللّه تعالی، والحمد للّهالذی وفقنا لإتمام هذه الرسالة الشریفة.

---

۱- ۱ البقرة: ۱۲۷.

ص: ۳۶

مخطوط

ص: ۳۷

الهوامش:

ص:۳۸

ص: ۳۹

## قرن المنازل دراسة وتحقيق فى موضعه (١)

ص: ۴۰

قرن المنازل دراسة وتحقيق فی موضعه (۱)

علی ابراهیم المبارک البحرانی

قرن المنازل أحد المواقیت، التی وقتها رسولُ اللَّهصلی الله علیه و آله لأهل الآفاق، وهو المیقات المهم بالنسبة لنا أهل المشرق، إذ إنّه الواقع علی طریقنا إلی مکة، ولما رأیت اختلاف إخواننا فی موضع هذا المیقات، رأیت أن أبحث هذه المسألة بحثاً جغرافیاً، حاولتُ فیه أن أثبت أن قرن المنازل هو المسمی الآن بالسیل الکبیر حسب ما سأعرضه من القرائن، وإنی أسأل الله أن ینفع به المؤمنین.

أصل اشتقاقه:

یحتمل فی اشتقاق قرن المنازل عدّة احتمالات:

الأول: أن القرن: الجبل الصغیر أو المنفرد.

قال ابن فارس فی معجم مقاییس اللغة (۱) نقلًا عن الأصمعی: القرن: الجبل الصغیر المنفرد، وقال الحموی (۲): وقرن (بالسکون) ومعناه یأتی فی اللغة علی معانی: القرن: الجبل الصغیر.

الفیروزآبادی (۳): والقرن... والجبل الصغیر أو قطعة تنفرد من الجبل.

---

۱- ۱ معجم مقاییس اللغة.

۲- ۲ معجم البلدان، یاقوت الحموی ۴/ ۳۳۲.

۳- ۳ القاموس المحیط، محمد بن یعقوب الفیروزآبادی ۴/ ۳۶۵.

ص: ۴۱

القاضی عیاض (۱): وهو قرن أیضاً غیر مضاف، وأصله الجبل الصغیر.

أما إضافته للمنازل فلعله کما قال الشیخ الفضلی (۲): إنه القرن الوحید الواقع فی منازل الطریق بین مکة والطائف المار بالنخلة الیمانیة.

لکن الذی یبعد هذا الاحتمال ما سیأتی من أن قرن المنازل لیس جبلًا بل هو اسم الوادی أو القریة، وهما معروفان حتی الآن بهذا الاسم، إلا أن یقال: إنّ تسمیة القریة والوادی باسم قرن المنازل؛ لوجود قرن فیها أو قریباً منها.

الثانی: من اقتران المنازل إذ هو المنزل الذی یقرن عنده منازل الطریق القادم من نجد والطائف ومنازل الطریق القادم من العراق، فیجتمع عنده الحجاج کما سمی حج القران بذلک؛ لاقتران الحج بالعمرة، أو لاقتران الحج بالهدی، ویقال: قرن بین الحج والعمرة.

ویؤید هذا ما ورد من اختلاف الروایات فی أن قرن المنازل میقات لأهل نجد، وبعضها أنه میقات لأهل الطائف، وبعضها أنه میقات لإهل الیمن.

ویؤید هذا أیضاً ما حکاه الحموی فی معجم البلدان (۳)عن تعلیق القابسی:

مَن قال: قرن بالإسکان أراد الجبل المشرف علی الموضع، ومَن قال: قرن بالفتح أراد الطریق الذی یفترق منه، فإنّه موضع فیه طرق مختلفة مفترقة.

ویؤید ذلک ما ذکره الحموی فی معجم البلدان أیضاً (۴) نقلًا عن أبی زید الکلابی: نخلة وادی من الحجاز بینه وبین مکة مسیرة لیلتین، إحدی اللیلتین من نخلة یجتمع بها حاج الیمن وأهل نجد ومن جاء من مثل الخط وعمان وهجر ویبرین والیمن، فیجتمع حاجهم بالوباءة وهی أعلی نخلة وتسمی الیمانیة.

قال ابن السکیت فی شرح قول المتلمس (۵):

لن تسلکی سبل البوباة منجدة ما عاش عمرو وما عمرت قابوس قال: البوباة: ثنیة فی طریق نجد علی قرن ینحدرصاحبها إلی العراق.

---

۱- ۱ معجم البلدان، یاقوت الحموی ۴/ ۳۳۲.

۲- ۲ میقات الحج العدد ۵، السنة الثانیة ۱۴۱۷ ه.ص ۸۵.

۳- ۳ معجم البلدان، یاقوت الحموی ۴/ ۳۳۲.

۴- ۴ معجم البلدان، یاقوت الحموی ۵/ ۲۷۸.

۵- ۵ معجم البلدان، یاقوت الحموی ۱/ ۵۰۶.

ص: ۴۲

وقال البلادى (۱): البوباة: علم معروف وهى أرض ميثاء داث منصدر نخلة اليمانية، تشرف عليها من الشرق بلدة السيل الكبير، وهى كئود فى الصعود سهلة فى النزول، تعرف اليوم باسم البهيتة.

وقال (۲): وحدّد الأقدمون البوباة بأنّها على طريق الطائف من مكة المكرمة، وأنّها منصدر نخلة اليمانية، وقالوا: تخرج منها على قرن المنازل، وكلّها تحديداتصحيحة.

قال [البلادى]: تعرف اليوم بالبُهيتة: تقع فيصدر نخلة اليمانية تخرج منها على السيل الكبير، وهو ميقات أهل نجد، وكان يعرف بقرن المنازل.

وقال دهيش (۳): وأصل النخلة اليمانية وادٍ رأسُه من البوباة (البُهيتة) اليوم عند بلدة قرن المنازل (السيل الكبير) إلى قرية الزيمة..

ضبط اللفظ:

قال الجوهرى فى الصحاح (۴): والقَرَن: موضع وهو ميقات أهل نجد ومنه أويس القرنى.

والصحيح هو السكون كما نصّ عليه أغلبية أهل اللغة، وغلّطوا الجوهرى فى تحريكه وفى نسبته إلى أويس القرَنى، وسنذكر جملة من أقوالهم حتى يتضح ذلك:

المصباح المنير (۵): قال الجوهرى: هو بفتح الراء وإليه ينسب أويس القرنى وغلطوه به، والصواب فى الميقات السكون، قال عمر بن أبى ربيعة:

ألَم تسأل الربع أن ينطقا بقرْن المنازل قد أخلقا؟ مراصد الاطلاع (۶): وقرن بالتحريك آخره نون ميقات أهل نجد ومنه أويس القرنى، قاله الجوهرى، وغيره يقول بسكون الراء.

مختار الصحاح (۷): والقرن بالتحريك موضع وهو ميقات أهل نجد ومنه أويس القرنى، قلت: هو فى التهذيب بسكون الراء نقله عن الأصمعى.

النهاية لابن الأثير (۸): قرن المنازل هو اسم موضع يحرم منه أهل نجد، وكثير

---

۱- ۱ أودية مكة، عاتق بن غيث البلاديص ۱۸۱.

۲- ۲ معالم مكة التاريخية والأثريةص ۴۴.

۳- ۳ تعليقته على كتاب أخبار مكة للفاكهى ۵/ ۹۸.

۴- ۴صحاح اللغة، الجوهرى.

۵- ۵ المصباح المنير، أحمد بن محمد المقرى الفيوميص ۵۰۱.

۶- ۶ مراصد الإطلاع،صفى الدين البغدادى ۳/ ۱۰۸۲.

۷- ۷ المختار منصحاح اللغةص ۴۲۰.

۸- ۸ النهاية لابن الأثير.

ص: ۴۳

ممن لا يعرف يفتح راءه وإنما هو بالسكون.

معجم البلدان للحموى (۱): قال الجوهرى: قرَن بالتحريك ميقات أهل نجد ومنه أويس القرنى، وقال الغورى: هو منسوب إلى بنى قرن، وغير الجوهرى يقوله بسكون الراء.

القاموس للفيروزآبادى (۲): وغَلَطَ الجوهرى فى تحريكه ونسبة أويس القرنى إليه؛ لأنّه منسوب إلى قرَن بن ردمان بن ناجية بن مراد أحد أجداده.

الحموى (۳): والقرْن: قال الأصمعى: جبل بعرفات، وقال الغورى: هو ميقات أهل اليمن والطائف يقال له قرن المنازل، وقال القاضى عياض: قرن المنازل وهو قرن الثعالب بسكون الراء: ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة...

ورواه بعضهم بفتح الراء وهو غلط إنما قَرَن قبيلة من اليمن.

لسان العرب (۴): وهو اسم موضع يحرم منه أهل نجد، وكثير ممن لا يعرف يفتح راءه، وإنما هو بالسكون أيضاً.

تاج العروس (۵): وقرن المنازل ميقات أهل نجد، وهى بلدة عند الطائف أو اسم الوادى كلّه، وغلط الجوهرى فى تحريكه، قال شيخنا: هو غلط لا محيد عنه، وإن قال بعضهم: إنّ التحريك فيه لغة هو غير ثبت، قلت: وبالتحريك وقع مضبوطاً فى نسخ الجمهرة وجامع القزاز كما نقله ابن برى عن ابن القطاع عنهما، وقال ابن كثير: وكثير ممن لا يعرف يفتح راءه وإنما هو بالسكون، وغلط الجوهرى أيضا فى نسبة سيد التابعين راهب هذه الأمة أويس القرنى إليه؛ لأنه منسوب إلى قرَن بن درمان بن ناجية بن مراد أحد أجداده.

تنبيه:

كلام تاج العروس: (وبالتحريك وقع مضبوطاً فى نسخ الجمهرة وجامع القزاز، كما نقله ابن برى عن ابن القطاع عنهما.). مخالف لما نقله لسان العرب عن ابن برى، قال فى اللسان (۶): والقَرَن: موضع وهو ميقات أهل نجد ومنه أويس

---

۱- ۱ معجم البلدان، ياقوت الحموى ۴/ ۳۳۱.

۲- ۲ القاموس المحيط، الفيروزآبادى ۴/ ۳۶۵.

۳- ۳ معجم البلدان، ياقوت الحموى ۴/ ۳۳۲.

۴- ۴ لسان العرب، ابن منظور ۱۱/ ۱۴۳.

۵- ۵ تاج العروس.

۶- ۶ لسان العرب، ابن منظور ۱۱/ ۱۴۳.

ص: ۴۴

القرنی، قال ابن بری: قال ابن القطاع: قال ابن درید فی الجمهرة والقزاز فی الجامع:

قرْن: اسم موضع.

ویحتمل هنا احتمالان:

الأول: أنّ تاج العروس قد نقله عن ابن منظور فأخطأ فی النقل، فحینئذ یکون المرجع هو کلام ابن منظور وهو السکون.

الثانی: أنّه نقله عن ابن بری بواسطة غیر ابن منظور، فحینئذ یکون نقله معارضاً لنقل ابن منظور فیتساقطان، فلا یحصل لنا علم بوجود قائل بالتحریک غیر الجوهری.

وقد ذکرنا أقوال العلماء فی تغلیطه وفی کشف اللثام (۱) والجواهر (۲) نقلًا عنه: اتفق العلماء علی تغلیطه فیهما أیفی تحریکه، وفی نسبة أویس القرنی إلیه.

صفته:

اختلفت أقوال العلماء واللغویین فی بیان ماهیة قرن المنازل، هل هو قریة أو وادی أو جبل أو موضع:

الأول: أنّه قریة:

صبح الأعشی: (ت ۱۲۸ ه) (۳): ذکر فی طریق مصر إلی مکة: قال ابن خرذابة: ثم من مکة إلی بئر ابن المرتفع، ثم إلی قرن المنازل قریة عظیمة.

الحسن بن محمد المهلبی (۴): قرن قریة بینها وبین مکة أحد وخمسون میلًا..

وبینها وبین الطائف ذات الیمین ستة وثلاثون میلًا.

ابن فارس فی معجم مقاییس اللغة (۵): وقرن المنازل میقات أهل نجد وهی بلدة عند الطائف أو اسم الوادی کلّه.

الفیروزأبادی فی القاموس المحیط (۶): قرن جبل مطل علی عرفات، وومیقات أهل نجد، وهی بلدة عند الطائف أو اسم الوادی کلّه.

الشیخ أحمد رضا (۷): قرن المنازل قریة عند الطائف أو اسم الوادی کلّه.

---

۱- ۱ کشف اللثام ۱/ ۳۰۶.

۲- ۲ جواهر الکلام ۱۸/ ۱۱۳.

۳- ۳صبح الأعشی، القلقشندی ۵/ ۴۳.

۴- ۴ معجم البلدان، یاقوت الحموی ۴/ ۳۳۲.

۵- ۵ معجم مقاییس اللغة، ابن فارس.

۶- ۶ القاموس المحیط، الفیروزآبادی ۴/ ۳۶۵.

۷- ۷ معجم متن اللغة، الشیخ أحمد رضا.

ص: ۴۵

الزبیدی (۱): وقرن المنازل میقات أهل نجد، وهی بلدة عند الطائف أو اسم الوادی کلّه.

البلادی (۲): لکن قرن المنازل علَمٌ مشهور فی کتب الأدب، وهو ما یعرف الیوم باسم السیل الکبیر، بلدة عامرة علی الطریق بین مکة والطائف المار بالنخلة الیمانیة وهو میقات أهل نجد.

الثانی: أنه اسم للوادی کلّه:

وقد مرّ عن ابن فارس فی معجم مقاییس اللغة والفیروزابادی فی القاموس والزبیدی فی تاج العروس والشیخ أحمد رضا فی معجم متن اللغة.

وفی معجم البلدان ومرصد الاطلاع (۳) قال: والنخلة الیمانیة تصب فی قرن المنازل، وهو یکشف عن کونه وادیاً.

الثالث: أنه جبل

عن الأصمعی (۴): قرن جبل مطل علی عرفات.

المطرزی فی المغرب (۵): والقرن میقات أهل نجد جبل مشرف علی عرفات.

الفیومی (ت ۷۷۰) فی المصباح المنیر (۶): وقرن بلاسکون أیضاً میقات نجد، وهو مشرف علی عرفات.

مراصد الاطلاع لصفی الدین عبد المؤمن البغدادی (ت ۷۳۹) (۷): قرن المنازل جُبیل قرب مکة یحرم منه حاج نجد.

حاشیة الجامع الصحیح (۸) للملا علی: قوله قرن المنازل: هو جبل مدور أملس کأنّه بیضة مشرف علی عرفات.

الرابع: أنه موضع

فی الصحاح للجوهری (۹): القرن موضع وهو میقات أهل نجد.

ابن الأثیر (۱۰): قرن المنازل هو اسم موضع یحرم منه أهل نجد.

معجم مقاییس اللغة لابن فارس (ت ۳۹۵) (۱۱): والقرن موضع وهو میقات

---

۱- ۱ تاج العروس.

۲- ۲ أودیة مکة، عاتق بن غیث البلادیص ۱۸۰.

۳- ۳ معجم البلدان، یاقوت الحموی ۵/ ۲۷۷، مراصد الإطلاعصفی الدین البغدادی ۳/ ۱۳۶۴.

۴- ۴ معجم البلدان، یاقوت الحموی ۴/ ۳۳۲، لسان العرب، ابن منظور ۱۱/ ۱۴۳.

۵- ۵ المغرب، المطرزی.

۶- ۶ المصباح المنیر، الفیومیص ۵۰۱.

۷- ۷ مراصد الاطلاع، عبد المؤمن البغدادی ۳/ ۱۰۸۲.

۸- ۸ حاشیة الجامع الصحیح ۴/ ۴.

۹- ۹صحاح اللغة، الجوهری.

۱۰- ۱۰ النهایة، ابن الأثیر.

۱۱- ۱۱ معجم مقاییس اللغة، زکریا بن فارس.

ص: ۴۶

أهل نجد.

مختار الصحاح لمحمد بن أبى بكر الرازى (ت ۶۶۶) (۱): والقرن بالتحريك موضع، وهو ميقات أهل نجد.

لسان العرب لابن منظور (ت ۷۱۱) (۲): عن بن شميل: القرن موضع، وهو ميقات أهل نجد.

وقال: قال ابن برى: قال ابن القطاع، قال ابن دريد فى كتاب الجمهرة والقزاز فى كتابه الجامع: وقرن اسم موضع... وفى حديث المواقيت: أنّه وقت لأهل نجد قرناً، وفى رواية قرن المنازل وهو اسم موضع يحرم منه أهل نجد.

تحقيق الأقوال:

إنّ الموضع أعم من الوادى والقرية، فلا يتعارض مع الأقوال الأخرى، أما إطلاقه على الجبل فغير متعارف، إلا إذا سمى المكان كلّه باسم ذلك الجبل، وقد أطلقوا عليه موضعاً؛ لعدم معرفة ماهيته.

أما القول الأول والثانى فيمكن الجمع بينهما بأن كثيراً من البلدان تسمى باسم الوادى، الذى هى فيه أو يسمى الوادى باسمها، كما تسمى البحور والبحيرات بأسماء المدن الواقعة عليها، فيقال بحيرة أرومية فى إيران، وبحيرة فكتوريا فى تركيا، وبحر عمان، وبحر فارس، وخليج العقبة، ومن أمثلة تسمية المدن بأسماء الوادى ما قاله البلادى (۳) تعقيباً على قول البكرى بأن وادى رابغ من مر، قال البلادى: وأما أسفله فكان يسمى رابغاً واد كثير المياه والغابات، ولما قامت تلك البلدة (رابغ) على مصبه سميت رابغاً باسم الوادى فنسى اسم الوادى فأطلق عليه اسم مر.

وكذلك ينبع سميت باسم الوادى، فإنّ ينبعاً وادى فحل كثير العيون والنخيل غرب المدينة (۴).

ومن القرى التى سميت باسم الوادى المحيط بها ما قاله حمد الجاسر (۵): بدا:

---

۱- ۱ مختار الصحاح، محمد بن أبى بكر الرازى.

۲- ۲ لسان العرب، ابن منظور ۱۱/ ۱۴۲.

۳- ۳ أودية مكة ص ۱۵۰.

۴- ۴ أودية مكة ص ۱۴۵.

۵- ۵ المناسك ص ۷۱.

ص: ۴۷

قرية فى واد يعرف بهذا الاسم.

تانه: الوادى الثانى الرئسى من روافد وادى الليث.. وفيه قريه وسوق بنفس الاسم (۱).

بلدة الليث: على مسافة ۱۸۵ كيلومتراً من مكة، سميت باسم الوادى (وادى الليث) (۲).

وسرف سميت باسم الوادى وادى سرف، والزبارة سميت باسم وادى الزبارة، والمضيق باسم وادى المضيق، ومر باسم وادى مر، وأمثال ذلك كثير.

وعلى هذا فإنّ قرن المنازل يمكن أن يكون اسماً للقرية واسماً للوادى، فلا تنافى بين القولين، بل الذى نستظهره أنّ العطف بمعنى أو، ولكن نحتاج إلى التحقيق فى أنّ الميقات هل هو القرية أم الوادى كلّه، وهذا يترتب عليه كون الإحرام عما زاد عن القرية من الوادى لا يكون إحراماً من الميقات، لو قلنا بأنّ الميقات هو القرية، وكونه من الميقات، لو قلنا إنّ الميقات هو الوادى كله.

أما كونه جبلًا فالأصل فيه كلام الأصمعى، فإنّه قال: (القرن جبل مطل على عرفات)، وهو لا يدل على كون قرن المنازل جبلًا مطلًا على عرفات؛ لأن قرناً بدون إضافة تطلق على عدة مواضع وجبال، بعضها واقع فى تلك المنطقة، منها:

قرن المنازل الذى هو الميقات، واقع قرب النخلة اليمانية، ومنها: قرن الثعالب وهو جبل أو موضع فى منى، ومنها: قرن البوباة وهو واد يجيء من السرات، وقرن الذهاب وهو موضع ذكره معجم البلدان والقاموس ولم يحددا مكانه، وقرن غزال، قال فى القاموس ومعجم البلدان: ثنية معروفة، وقرن ظبى: ماء فوق السعدية وقيل جبل لبنى أسد بنجد، وقرن معية: من مخاليف الطائف، وقرن أبى ريش: موضع فى ظهر جبل قعيقعان، وقرن مصقلة وهو قرن ذكره الفاكهى، وقال: وهو قرن قد بقيت منه بقيه بأعلى مكة فى دبر دار أبى سمره، قرن القرط وهو بذنب أجيادين كما ذكر الفاكهى، وقرن شها ب ذكره الفاكهى، مشرف على ماجل بن

---

۱- ۱ المناسكص ۷۷.

۲- ۲ المناسكص ۶۶- ۶۸.

ص: ۴۸

طارق، القرن الأحمر وهو واقع كما قال الفاكهی دون محسر علی یمین من خرج من مكة (۱).

وكذلك یطلق قرن علی عدّة حصون فی الیمن منها قرن عشار وقرن بقل، كمایطلق قرن علی عدّة مواضع فی غیر منطقة مكة والطائف (۲)، فلا یدل كلام الأصمعی علی أن مراده هو قرن المنازل.

وأما من جاء بعده فلم أجد مَنصرح بأنّ قرن المنازل جبل مشرف علی عرفات إلّاما عن المطرزی فی المغرب (۳) وتبعه الفیومی فی المصباح (۴) حیث قال المطرزی: والقرن میقات أهل نجد: جبل مشرف علی عرفات، والملا علی فی حاشیة الجامع الصحیح (۵): قرن المنازل جبل مدور أملس كأنه بیضة مشرف علی عرفات، والظاهر أنهما قد توهما أن القرنَ الذی قال عنه الأصمعی: إنّه جبل مطل علی عرفات هو قرن المنازل، ولم أجد هذا الوصف لقرن المنازل فی غیر حاشیة الجامع، ولعله أخذه مما ذكره أصحاب اللغة فی معنی قرن بأنّه الجبل الصغیر أو القطعة تنفرد من الجبل والحجر الأملس النقی، فإنهم ذكروا هذه المعانی للفظ من باب الاشتراك اللفظی، لاصفات للقرن الذی هو المیقات، نعم قال یاقوت الحموی (۶): مقص قرن: جبل مطل علی عرفات عن الأصمعی وأنشد:

وأصبح عهدها بمقص قرن فلاـ عین تحس ولاـ أثار وقال فی مقص قرن: جبل مطل علی عرفات ذكره فی قرن، وأنشد ابن الأعرابی لابن عم خداش بن زهیر عن الأصمعی:

وكائن قد رأیت من أهل نجد دعاهم رائد لهم فساروا

فأصبح عهدهم كمقص قرن فلا عین تحس ولا أثار

فانك لا یضیرك بعد حول أظبی كان خالك أم حمار قال: فإنّ قرناً جبلصعب أملس لیس فیه أثر ولا مقص، یقال قرن مقص

---

۱- ۱ انظر معجم البلدان، یاقوت الحموی ۴/ ۳۳۲، ۳۳۳.

۲- ۲ انظر معجم البلدان، یاقوت الحموی ۴/ ۳۳۳.

۳- ۳ المغرب، المطرزی.

۴- ۴ المصباح المنیر، أحمد بن محمد المقری الفیومیص ۵۰۱.

۵- ۵ حاشیة الجامع الصحیح.

۶- ۶ معجم البلدان، یاقوت الحموی ۵/ ۱۷۵.

ص: ۴۹

للأثر، يريد يقص فيه الأثر، ولعلّ من نقل أنّ قرناً جبل مطل على عرفات قد اشتبه عليه قول الأصمعى، أو أنّ الأصمعى أراد أنّ مقص قرن، ومقص قرن هو ما يعرف اليوم باسم القرين، وجبل الرحمة وجبل عرفات (۱).

أماصاحب مراصد الاطلاع (۲) فإنّه قال: قرن: بالفتح ثم السكون قيل: هو سبعة أودية، وقيل جبل مطل بعرفات، نعم قال: مقص قرن: مطل على عرفات تبعاً لياقوت الحموى فى معجم البلدان.

وبعد أن تبين أنّ القائل: إنّه جبل يطل على عرفات هو المطرزى فى المغرب، وتبعه الفيومى فى المصباح دون غيرهما من أصحاب اللغة، وعلى خلاف أكثر أهل اللغة، الذينصرحوا بأنّ قرن المنازل هو قرية أو وادٍ أو موضع.

ويحتمل فى كلام المطرزى سقوط الواو العاطفة وأنه أراد: والقرن ميقات أهل نجد، وجبل مشرف على عرفات من باب ذكر المعانى المترادفة لمعنى القرن، كما فى عبارة الفيروزآبادى (۳) حيث قال: قرن جبل مشرف على عرفات، وميقات أهل نجد وهى بلدة عند الطائف، أو اسم الوادى كلّه، وبعد سقوط الواو من كلام المطرزى إما نسياناً منه أو من النساخ جرى عليه من تبعه كالفيومى وغيره. وليس ذلك بدعاً فإنّ الجوهرى غلط فى المقام غلطتين اتفقوا على تخطئته فيهما وهما تحريك قرن، ونسبة أويس القرنى إليه، فتكون للفيومى غلطتان أيضا أحدهما أنّ قرن المنازل هو قرن الثعالب، والأخرى أنّه جبل مشرف على عرفات، وما ذلك إلّا لعدم التدقيق والنقل بلا تحقيق.

منشأ التوهم:

ولن نتعرض إلى أوهام الفقهاء وأهل الحديث فإنّهم يرجعون كما هو الظاهر من كلامهم إلى أهل اللغة، فمثلا قال حسين بن محمد سعيد بن عبد الغنى المكى الحنفى فى حاشيته الموسومة ب (إرشاد السارى إلى مناسك الملا على القارى (۴) عند قوله: وهى قرية عند الطائف، قال: قال فى المغرب: وقرن ميقات أهل نجد) جبل

---

۱- ۱ ميقات الحج العدد ۵، السنة الثالثة ۱۴۱۷ ه،ص ۸۸.

۲- ۲ مراصد الاطلاع، عبد المؤمن البغدادى ۳/ ۱۰۸۲۲، ۱۲۹۹.

۳- ۳ القاموس المحيط، الفيروزآبادى ۴/ ۳۶۵.

۴- ۴ المناسك للملا على القاريص ۵۵، ميقات الحج العدد ۵، السنة الثالثة ۱۴۱۷ هص ۸۸.

ص: ۵۰

مشرف علی عرفات، ومثله فی المصباح.

وقال البلادی (۱): والغریب أنّی رأیت منسکاً یقول: إنّ قرن المنازل جبل مشرف علی عرفات، وهذا خطأ فادح.

ولعل منشأ الاشتباه هو الخلط بین قول الأصمعی: قرن جبل مطل علی عرفات، وما ورد فی بعض الروایات من أنّ النبیّصلی الله علیه و آله قد وقت لأهل نجد أو الطائف قرناً، ففسر قرن فی کلام النبیصلی الله علیه و آله بما ذکره الأصمعی، ثم قید قرن بالمنازل للجمع بین ماورد فی الروایات مطلقاً وما ورد مقیداً.

والأمر الآخر الذی یمکن أن یکون منشأ لهذا الاشتباه هو الخلط بین قرن المنازل وقرن الثعالب حیث عدّه جماعة بأنهما واحد.

وأصل هذا التوهم ما حکی عن القاضی عیاض (۲) من أنّ قرن المنازل هو قرن الثعالب، وتبعه ابن الأثیر (۳)، ثم ابن منظور فی لسان العرب (۴)، ثمصفی الدین عبد المؤمن البغدادی فی مراصد الاطلاع (۵)، فقالوا: قرن المنازل هو اسم موضع یحرم منه أهل نجد، ویسمی أیضاً قرن الثعالب. ثم جاء الفیومی (۶) فقال:

وقرن المنازل میقات أهل نجد، وهو جبل مشرف علی عرفات، ویقال له قرن الثعالب، فوقع فی خطأین، أحدهما کونه مطلّاً علی عرفات، وقد تقدم أن منشأ هذا هو کلام الأصمعی مع ضمیمة ما ورد فی الأحادیث من أن قرناً میقات أهل نجد، وقد تقدم بیانه، والخطأ الثانی هو قوله: إنّ قرن المنازل هو قرن الثعالب الذی منشأه کلام القاضی عیاض.

قرن المنازل وقرن الثعالب:

قد تقدم فی تعاریف بعض اللغویین أن قرن المنازل هو قرن الثعالب. وقلنا:

بأن هذا خطأ منشأه کلام القاضی عیاض، ولتوضیح هذا الخطإ نذکر شاهدین:

الأول: ما ذکره العلماء والمحققون فی عدم اتحادهما.

الثانی: تحدید موقع قرن الثعالب.

---

۱- ۱ کتاب أودیة مکة، عاتق بن غیث البلادیص ۹.

۲- ۲ معجم البلدان، یاقوت الحموی ۴/ ۳۳۲.

۳- ۳ النهایة، ابن الأثیر.

۴- ۴ لسان العرب، ابن منظور ۱۱/ ۱۴۳.

۵- ۵ مراصد الاطلاع، عبد المؤمن البغدادی ۳/ ۱۱۰۸۲.

۶- ۶ المصباح المنیر، أحمد بن محمد المقری الفیومیص ۵۰۱.

ص: ۵۱

أقوال العلماء فی عدم اتحاد القرنین:

۱- شرح السیوطی علی النسائی (۱):

حکی الرویان عن بعض قدماء الشافعیة: أن المکان الذی یقال له قرن موضعان: أحدهما فی هبوط، وهو الذی یقال له قرن الثعالب؛ لکثرة ما یأوی إلیه من الثعالب، فظهر أن قرن الثعالب لیس من المواقیت.

۲- فی ریاض المسائل وکشف اللثام والجواهر (۲): وعن بعضهم أن قرن المنازل غیره، وأنّه جبل مشرف علی أسفل منی بینه وبین مسجدها ألف وخمسمائة ذراع.

۳- معجم متن اللغة (۳): قرن المنازل قریة عند الطائف أو اسم الوادی کلّه وهو میقات أهل نجد. وقرن الثعالب موضع قرب مکة.

۴- ما ذکره ملحس (۴) بعد قول الفاکهی الآتی، قال ملحس: قلنا: وقد وهم بعض الکتاب فجعلوا قرن الثعالب وقرن المنازل واحداً، والحقیقة أنهما مختلفان اسماً ومکاناً، فقرن الثعالب هو من منی، وقرن المنازل هو میقات أهل نجد واقع فی النخلة الیمانیة.

۴- قال حمد الجاسر فی تعلیقة کتاب مقتطفات من رحلة العیاشی (۵): هنا خلط بین قرن الثعالب وقرن المنازل، فالأول جبل مطلّ علی عرفات ولیس بمحل الإحرام. وأما الثانی فقرن المنازل وهو ما یعرف الآن باسم السیل. والمؤلف یقصد وادی قرن.

الثانی: تحدید موقع قرن الثعالب:

۱- الفاکهی فی أخبار مکة (۶): ومن مسجد منی إلی قُرین الثعالب ألف وخمسمائة ذراع وثلاثون ذراعاً.

وقُرین الثعالب: جبل مشرف علی أسفل منی، بینه وبین مسجدها ألف وخمسمائة ذراع، ویُقال له قرین الثعالب؛ لکثرة ما کان یأوی إلیه من الثعالب.

---

۱- ۱ شرح السیوطی علی النسائیص ۱۲۲.

۲- ۲ ریاض المسائل ۶/ ۲۹۰، کشف اللثام ۱/ ۳۰۶، جواهر الکلام ۱۸/ ۱۱۳.

۳- ۳ معجم متن اللغة.

۴- ۴ تعلیقته علی کتاب أخبار مکة للأزرقی ۲/ ۱۸۵.

۵- ۵ مقتطفات من رحلة العیاشی ماء الموائد حمد الجاسرص ۱۰۹.

۶- ۶ أخبار مکة، الفاکهی ۴/ ۲۸۲.

ص: ۵۲

۲- ذكر الفاكهى (۱) فى عدد الأميال من المسجد الحرام إلى الموقف بعرفة وموضعها:... وموضع الميل الثالث عند مأزمى منى، وموضع الميل الرابع دون الجمرة الثالثة التى تلى مسجد الخيف بخمسة عشر ذراعاً، وموضع الميل الخامس وراء قرين الثعالب بمئة ذراع، وموضع الميل السادس حدّ جدار حائط محسر.

۳- قال الأزرقى فى ذرع منى والجمار ومأزمى منى إلى محسر (۲) ومن مسجد منى إلى قرين الثعالب الف ذراع وخمسمائة وثلاثون ذراعاً.

۴- قال فى ذكر الأميال التى بين المسجد الحرام وموضع الإمام بعرفات وذكر مواضعها (۳): وموضع الميل الخامس وراء قرين الثعالب بمائة ذراع، وموضع الميل السادس فى جدار حائط محسر.

۵- الأغانى (۴) فى ذكر الهدنة بين المختار بن عوف الأزدى وعبد الواحد بن سليمان قال: منزل أبو حمزة بقرن الثعالب من منى.

۶- ما تقدم عن الرياض وكشف اللثام والجواهر (۵) بلفظ القيل بأنه جبل مشرف على أسفل منى، بينه وبين مسجدها ألف وخمسمائة ذراع، فإنه إشارة إلى وجود قائل وإن لم يذكره.

۷- قال البلادى فى معجم معالم الحجاز (۶): وقرن الثعالب كان بمنى، أكيمةصغيرة ثم أزيلت.

۸- حاشية أخبار مكة لعبد الملك دهيش (۷) تعليقاً على حديث ذكره الفاكهى مسنداً إلى عائشة أنّها قالت لرسول اللّهصلى الله عليه و آله: هل أتى عليك يوم كان أشدّ عليك من يوم أحد؟ قالصلى الله عليه و آله: ولقد لقيت من قومك، وكان أشدّ مالقيت منهم يوم العقبة أن عرضت نفسى على ابن عبد يليل... فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مغموم على وجهى، فلم استفق إلّابقرن الثعلب...

قال المحقق فى الحاشية على الكتاب: قرن الثعالب سألت عنه الشريف محمد ابن فوزان الحارثى، فأخبرنى أنّه القرن الذى يقابل ريع البابور من الشمال، وقد

---

۱- ۱ أخبار مكة، الفاكهى ۵/ ۵۱، ۵۲.

۲- ۲ أخبار مكة، الأزرقى ۲/ ۱۸۵.

۳- ۳ أخبار مكة، الأزرقى ۲/ ۱۸۹.

۴- ۴ الأغانى لأبى الفرج الاصفهانى ۲۲/ ۲۲۸.

۵- ۵ رياض المسائل ۶/ ۱۹۰، كشف اللثام ۱/ ۳۰۶، الجواهر ۱۸/ ۱۱۳.

۶- ۶ نقله عنه الفضلى، ميقات الحج العدد ۵، السنة الثالثة ۱۴۱۷ ه،ص ۸۸.

۷- ۷ حاشية أخبار مكة للفاكهى، عبد الملك بن عبداللّه بن دهيش ۴/ ۲۸۱.

ص: ٥٣

أزيل رأسه وسوى بالشارع الموازى لجسر الملك خالد حتيصار أشبه بهضبة من الهضاب، ويطلق عليه اليوم (ربوة) ويرى على طرفه الغربى الشارع القادم من جسر الملك خالد.

ويرجح كلام الفاكهى والأزرقى على غيرهما ممن قالوا باتحاد الموضعين لأمرين:

الأول: قدم عصرهما.

الثانى: قربهما من هذه البقاع من سكان مكة، وقد كتبا فى تاريخ مكة وجغرافيتها.

كما أنّ البلادى ودهيشاً كليهما من أهل مكة، وقد قال المثل: أهل مكة أدرى بشعابها.

وقد تبين مما تقدم أمور:

الأول: أنّ قرن الثعالب جبل فى منى، ومن المعلوم أن منى جزء من الحرم، فلا يمكن أن يكون هو الميقات.

ثانياً: أنّ ما بين قرن الثعالب إلى مسجد منى ١٥٠٠ ذراع، وهو أقل من نصف الكيلو متر، فيكون مخالفاً لما سيأتى فى تحديد قرن المنازل- أنّه على يوم وليلة من مكة، أو على مرحلتين، وبينه وبين مكة واحد وخمسون ميلًا، وأنّه على بعد ٩۴ كيلومتراً... الخ.

الجبل المشرف على عرفات:

تقدم الكلام فى أنّ دعوى أنّ قرن المنازل هو جبل مشرف على عرفات جاء اشتباهاً من بعض اللغويين، خلطاً بين كلام الأصمعى وما ورد فى الأحاديث المحدّدة لميقات أهل نجد من أنّه قرن وقرن المنازل، وقد بينا هذا الالتباس ومنشأه.

ويؤيد أن قرن المنازل ليس هو الجبل المطل على عرفات ما سيأتى فى تحديد المسافة بين مكة وقرن المنازل، وأنّها تقرب من ۹۴ كيلومتراً، أو واحد وخمسين

ص: ۵۴

میلًا، فکیف یکون مطلًّا علی عرفات مع هذه المسافة الطویلة؟ وما سیأتی من أنّه یصب فیه النخلة الیمانیة، وهی واقعة شمال شرق مکة، بینها وبین مکة وادی حنین ویدعان.

أما قرن الثعالب فقد مرّ أنّه جبل مشرف علی أسفل منی، بینه وبین مسجد الخیف ألف وخمسمائة ذراع، وبین منی وعرفات ما یقرب من خمسة أمیال. فقد ذکرالأزرقی فی ذرع المسافات بین المسجد إلی حدّ الحرم: أنّه من مسجد منی إلی مسجد المزدلفة میلان، ومن مسجد مزدلفة إلی مسجد عرفة ثلاثة أمیال وثلاثة آلاف وثلثمائة وتسعة عشر ذراعاً.

کما أنّ تعریفه بأنّه جبل مشرف علی عرفات من التعریف بالأخفی، إذ الأولی بأن یقال: مشرف علی منی أو علی وادی محسر.

احتمالات أخری:

مما تقدم نعلم أنّ الجبل الذی ذکره الأصمعی بأنّه «قرن جبل مشرف علی عرفات» لیس هو قرن المنازل ولا قرن الثعالب، فما هو القرن الذی یمکن أن یکون مراداً للأصمعی؟

هناک احتمالات أخری:

القرن الواقع فی وادی محسر:

قد أطلق لفظ قرن مطلقاً بدون تقیید علی جبل فی منی، قال الحربی (۱): فإذاصعدت (أی فی وادی محسر) فأنت حینئذ فی الخروج من الوادی، ثم إذا علوت فهناک من یمینک وأنت ذاهب من منی إلی عرفات فوق جبل یأتی، فذلک آخر وادی محسر، فإذا جاوزت آخر ذلک القرن فأنت فی المزدلفة.

ثم قال (۲): هذا القرن الذی وصفت لک عن یمین الذاهب إلی عرفات هو أول المزدلفة وآخر وادی محسر.

ثم قال (۳): فإذا جاوزت المأزمین حتی تخرج منها إلی الفضاء، فذلک الفضاء

---

۱- ۱ المناسک، للحربیص ۵۰۵.

۲- ۲ المناسک، للحربیص ۵۰۶.

۳- ۳ المناسک، للحربیص ۵۰۷.

ص: ۵۵

أول المزدلفة، وأنت جائى من عرفات إلى حيال القرن الذى وصفت لك، والآن وأنت مقبل من عرفات عن يسارك.

وعن جريج (۱) قلت لعطاء: أين محسر؟ وأين يبلغ من جمع؟ وأين يبلغ الناس بمنازلهم من محسر؟ يعنى بمبيتهم بجمع المزدلفة، فقال عطاء: لم أرهم يختلفون بمنازلهم القرن، يعنى لا يتجاوزون، قال عطاء: وهو أقرب قرن فى الأرض من محسر عن يمين الذاهب، الذى يأتى من مكة عن يمين الطريق، قال: ومحسر إلى ذلك القرن يبلغه وينقطع إليه، قال عطاء: لا أحب أن ينزل أحد أسفل من ذلك القرن تلك الليلة يعنى ليلة جمع.

وقال الفاكهى فى أخبارمكة (۲): مسنداً إلى ابن عباس قال: جمع من مفضى المأزمين إلى القرن الذى خلف وادى محسر.

وعن عطاء: إلّاأنّه قال: حتى يبلغ القرن الأحمر دون وادى محسر، على يمين من خرج من مكة.

وهذا الجبل وإن سمّى قرناً إلّاأنّه لا يشرف على عرفات؛ لبعده عنها فإنه مشرف على وادى محسر والمزدلفة.

جبل كرا:

قال الشيخ القطبى فى منسكه (۳): وهو جبل فيه بعض القرى بقرب الطائف، وبه مزارع وبساتين ويجلب منها الفواكه إلى مكة.

وقال القاضى عيد فى شرح المناسك (۴): وهذا الجبل يسمى عند أهل مكة وأهل تلك النواحى (كرا) بفتح الكاف والراء المهملة.

ويوافق ما ذكره الشارح (ره) ما فى القاموس حيث قال فى تعداده معنى (قرن): جبل مطلّ على عرفة، والحجر الأملس النقى، ميقات أهل نجد، وهو قرية عند الطائف، أو اسم الودى كلّه.

أقول: ما استشهد به من كلام القاموس لا يتم؛ لأنصاحب القاموس إنما ذكر عدّة معانى ل (قرن)، ثم بعد أن قال: وميقات أهل نجد. فسّرها بقوله وهى قرية

---

۱- ۱ المناسك، للحربيص ۵۰۷.

۲- ۲ أخبار مكة، الفاكهى ۴/ ۳۱۱.

۳- ۳ نقله عنه الفضلى فى مجلة ميقات الحج العدد ۵، السنة الثالثة ۱۴۱۷ ه،ص ۹۲.

۴- ۴ نقله عنه الفضلى فى مجلة ميقات الحج ع ۵، السنة الثالثة ۱۴۱۷ ه،ص ۹۲.

ص: ۵۶

قرب الطائف.

ومثل هذا الخلط ما حصل منصاحب مرآة الحرمين (۱)كما سيأتى حيث خلط بين بحرة الواقعة فى طريق جدة- مكة وبين بحرة الرعاء الواقعة فى ليّة جنوب وغرب الطائف، التى مرّ بها رسول اللّهصلى الله عليه و آله فى مسيره ومنصرفه من غزوة الطائف، حتى ألجأه هذا الخلط والاشتباه الذى وقع فيه إلى التشكيك فى سيرة ابن هشام وكتب المؤرخين.

والذى ألجأ القاضى إلى هذا التفسير ما تقدم من وصف الميقات بأنّه جبل مشرف على عرفات، وبعضهم بأنّه قرية قرب الطائف، وأراد أن يجمع بين هذه الأوصاف ولا يمكن ذلك، ففسر الجبل بجبل كرا والقرية بالهدا.، لكن جبل كرا لا يسمى قرناً حيث لا تنطبق عليهصفات القرن، التى هى الجبل الصغير المنفرد إضافة إلى بعد المسافة بين جبل كرا وبين عرفات.

جبل الرحمة الواقع فى عرفات

وقد احتمل الفضلى (۲) أنّه الجبل الذى ذكره الأصمعى أنّه يطلّ على عرفات، وأيد هذا الاحتمال بأمور:

الأول: انطباق الوصف الذى جاء فى كتب اللغة لمعنى القرن، وهو الجبل الصغير المنفرد.

الثانى: أنّه الجبل المشرف على عرفات، فهو وإن كان فى عرفات إلّاأنّ الذى يصعد على الجبل يطلّ ويشرف على عرفات.

الثالث: ما ورد فى الحديث أنّهصلى الله عليه و آله وقف على طرف القرن الأسود.

الرابع: ما ذكره ياقوت الحموى فى معجم البلدان: مقص قرن جبل مطل على عرفات، فقد ذكر البلادى (۳)(۴) أن مقص قرن هو جبل الرحمة (جبل عرفات).

* قرن النابت فى عرفات

قال الفاكهى (۵): فى ذكر الأميال: وموضع الميل الثانى عشر خلف المقام

---

۱- ۱ مرآة الحرمين، إبراهيم رفعت باشا ۱/ ۲۶، ۲۷.

۲- ۲ مجلة ميقات الحج العدد ۵، السنة الثالثة ۱۴۱۷ ه،ص ۸۸.

۳- ۳ معجم معالم الحجاز، عاتق غيث البلادى نقله عنه الفضلى فى مجلة ميقات الحج العدد ۵، السنة الثالثة ۱۴۱۷ ه،ص ۸۸.

۴- ۳ معجم معالم الحجاز، عاتق غيث البلادى نقله عنه الفضلى فى مجلة ميقات الحج العدد ۵، السنة الثالثة ۱۴۱۷ ه،ص ۸۸.

۵- ۴ أخبار مكة، الفاكهى ۵/ ۵۳.

ص: ۵۷

حيث يقف الإمام عشية عرفة على قرن يقال له النابت، بينه وبين موقف رسول اللّه عشرة أذرع.

وقال: حدثنا... محمد بن عبد الله عبيد بن عمير قال: وقف رسول الله على النابت أمام الجبل الذى يسمى اللآل.

* الجبل الذى فى وادى عرنة:

ويحتمل أن يكون هوالجبل الـذى على حـدّ عرفة فى بطن عرنة، روى الفاكهى (۱) عن الزبير بن أبى بكر بسـند متصل إلى ابن عباس قال: حدّ عرفة الجبل المشرف على بطن عرنة إلى جبال عرفة.

* جبل كبكب:

قالصاحب معجم البلدان (۲): جبل خلف عرفات مشـرف عليها قيل: هو الجبل الأحمر الذى تجعله فى ظهرك إذا وقفت بعرفات، وقال الأصمعى: ولهذيل جبل يقال له كبكب، وهو مشرف على موقف عرفة.

أقول: الواقف بعرفات إن كان مستقبلًا القبلة (۳) لا يكون جبل كبكب فى خلفه، بل يكون على يمينه، قال الفاكهى فى أخبار (۴)مكة: وكبكب جبل على يمين الإمام إذا وقفت بعرفة، ثم إنّ جبل كبكب لا يسمى قرناً؛ لعدم انطباق أوصاف القرن عليه فهو جبل كبير.

وهـذه الثلاثـة هى المحتملـة فى القرن المطـل على عرفات دون غيرها مما ذكرناه، وهناك جبال أخرى قريبـة من عرفات ومطلـة عليها يحتمل أن يكون أحدها.

---

۱- ۱ أخبار مكة، الفاكهى ۵/ ۶، ۷.

۲- ۲ معجم البلدان، ياقوت الحموى ۴/ ۴۳۴.

۳- ۳ أخبار مكة للفاكهى ۵/ ۴۰: قـال ابن جريـج: فقلت لعطاء: أرأيت الموقف بعرفـة أحقٌ على الناس أن يوجّهواإلى البيت؟ قال: أما إذا وجهتَ نحو الحرم فحسبك، الحرم كلّه قبلة ومسجد، ثم تلا علىَّ «فول وجهك شطر المسجد الحرام» البقرة: ۱۴۴، قال: فالحرم كلّه قبلة.

۴- ۴ أخبار مكة، الفاكهى ۵/ ۱۱.

ص: ۵۸

الهوامش:

ص: ۵۹

ص:۶۰

ص:۶۱

## لمحات فنيّة من آيات الحجّ

ص: ۶۲

لمحات فنيّة من آيات الحجّ

د. محمود البستانى

يُلاحَظ: أنّ النصّ القرآنى الكريم يعتمد ثلاثة أنماطٍ من التعبير:

التعبير العلمى. التعبير الفنّى. التعبير الذى يلفّق بينهما...

وإذا أخـذنا بنظر الاعتبـار أنّ التعـبير العلمى يتنـاول المعرفـة الإنسانيـة والطبيعيـة البحتـة، بمـا أنّهـا حقـائق تعتمـد الملاحظـة والعرض والاسـتدلال العقلى (أى: اللغـة التى تعتمد المنطق والأرقام، التى لا تتدخل فيها عناصـر الخيال أو العاطفة) حينئذٍ فإنّ التعبير الفنّى يظلّ على عكسه تماماً حيث يعتمد اللغة التخيلية والعاطفية... هذا فى نطاق التجربة البشرية...

وأمّا فى نطاق النصّ الشـرعى (كالقرآن الكريم ونصوص المعصومين عليهم السلام) فإنّ اللغات الثلاث (اللغة العلمية، اللغة الفنّية، اللغة الجامعـة بينهمـا) تجـد سبيلهـا فى النصّ المشـار إليه. وبمقـدورنا ملاحظـة ذلـك فى الظواهر التى يتناولها القرآن الكريم، حيث يتناول الظواهر الفيزيائيـة أو الكيميائيـة وغيرهما من المعرفـة (الطبيعيـة) بلغـة (الفن) فى بعض النصوص، والأمر كـذلك حيث يتناول الظواهر العقائدية أو

ص: ۶۳

الأخلاقية أو التاريخية.

والأمر كذلك حين نتّجه إلى نصوص المعصومين عليهم السلام، حيث نجد أن الإمام عليّاً عليه السلام مثلًا، يتناول ظواهر علمية تتصل بنشأة الكون وفق لغة فنّية تعتمد عناصر إيقاعية (كالسجع أو التجنيس أو توازن العبارة...) وعناصرصورية (كالتشبيه أو الاستعارة أو الرمز...).

طبيعياً، السياق هو الذى يحدّد فيما إذا كانت اللغة العلمية أو الفنّية أو اللغة الملفّقة بينهما، هى اللغة الأشدّ تأثيراً فى المتلقى، وهو أثر لا يفسح لنا المجال الآن بتفصيل الكلام عنه، بقدر ما تجدر الإشارة إليه فحسب..

*** فى ضوء هذه الحقائق يمكننا أن نتّجه إلى بعض النصوص القرآنية الكريمة «بالنسبة إلى إحدى الممارسات العبادية، وهى الحجّ» لملاحظة (اللغة الفنّية) التى يستخدمها النصّ فى هذا الميدان.

ومن البين أنّ اللغة الفنّية تعتمد جملة عناصر لفظية وإيقاعية وصورية وبنائية...، إلّاأننا نكتفى بأحد العناصر وهو عنصر «الصورة»...

أى: العبارة المركّبة التى ترصد العلاقة بين ظاهرتين؛ لاستخلاص ظاهرة ثالثة، وهذا كالتشبيه والاستعارة والتمثيل والرمز....

ونقف أوّلًا مع: قوله تعالى: (الحجُّ أشهر معلومات فَمن فرضَ فيهن الحجَّ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحجّ وما تفعلوا من خير يعلمه اللَّه وتزودوا فإنّ خير الزاد التقوى واتقون يا أُولى الألباب) (۱)

.

(فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا اللَّه كذكركم آباءَكم أو أشدّ ذكراً...) (۲)

.

(حُنفاء للَّهغيرَ مشركين به ومَن يُشرك باللَّه فكأنّما خرّ من السماء فَتَخطَفُهُ الطيرُ أو تهوى به الريحُ فى مكانٍ سحيق) (۳)

.

النصوص المتقدّمة تتضمّن مجموعة من (الصور): الاولى منها نطلق عليها

---

۱- ۱ البقرة: ۱۹۷.

۲- ۲ البقرة: ۲۰۰.

۳- ۳ الحجّ: ۳۱.

ص: ۶۴

(الصورة التمثيلية) وأمّا الاخريان فيتضمنانصورتين (تشبيهيتين) الاولى منهما قد اعتمدت أداة التشبيه (الكاف) والاخرى قد اعتمدت أداةً تشبيهية اخرى هى (كأنّ).

المهم: نقف عند الصورة (التمثيلية) أوّلًا، وهى:

* قال تعالى: (وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى).

النصّ المتقدّم ينطوى عليصورة مألوفة كلّ الإلفة، حيث نعرف تماماً بأن الصور قد تكون مضبّبة يحتاج المتلقّى خلالها إلى بذل جهدٍ فكرى وعصبى؛ ليدرك العلاقة بين طرفى الصورة وبين الدلالة المستخلصة منها، وبعضها يتّسم بالضبابية الخفيفة والممتعة بحيث تتطلّب جهداً بسيطاً؛ لإدراك العلاقة ودلالتها، وبعضها يتّسم بالطرافة، وبعضها يتّسم بالإلفة؛ كما هو الملاحظ بالنسبة إلى الصورة التى نحن فيصددها... طبيعياً، يستخدم القرآن الكريم جميع الأنماط التى أشرنا إليها ما عدا النمط الأوّل (المضبّب تماماً) لأنّ ذلك يستتلى جهداً مضنياً يتنافى مع هدف (توصيل) الدلالة إلى المتلقّى، ومن ثم، فإنّ السياق هو الذى يحدّد ما إذا كان الأمر يتطلّب الصورة المضبّبة الممتعة، أو الطريفة، أو المألوفة...

الصورة المألوفة التى نواجهها، تنطوى على دلالة عميقة بطبيعة الحال،...

إنّها تتحدّث عن (التقوى) فيما تجسّد التقوى هدفاً ما بعده من هدف بالنسبة إلى ممارسة الإنسان لمهمّته العبادية فى الحياة، بصفة أن اللّه تعالى ما خلق الجنّ والإنس إلّا ليعبدوه، والعبادة المطلوبة ليس هى مجرّد أدائها، بل بلوغ الدرجة الأعلى منها، تبعاً لما تقرّره الآية الكريمة: (ليبلوكم أيّكم أحسنُ عملًا...) (۱)

، أى: إنّ المطلوب من الممارسة العبادية هى (الأجود) وليس (الجيّد) فحسب، وهذا ما استهدفه النصّ القرآنى الكريم فى الصورة التمثيلية، حيث تجسّد (التقوى)- كما هو بيّن- (أحسن) العمل أو القمّة منه، فانتخب ظاهرة (الزاد) ليربط بينها وبين (التقوى)...

ونتساءل: لماذا (الزاد) دون غيره من الظواهر؟

---

۱- ۱ هود: ۷.

ص: ۶۵

واضح، أن (الزاد) هو المادة التى تمدّ الإنسان بالحياة، وهو ممّا يفتقر إليه باستمرار، وليس فى أوقات أو مراحل أو حالات خاصّة... وإذا كانت المهمّة العبادية للإنسان هى: مهمّة (استمرارية) منذ أن يقع عليه التكليف إلى آخر عمره، حينئذٍ فإنّ انتخاب ظاهرة استمرارية (الزاد) تتناسب مع إبراز مفهوم (التقوى) تماماً. فالتقوى مطلوبة فى الحالات والأزمنة جميعاً (كالغذاء الذى نحتاجه فى الحالات والأزمنة جميعاً).

من زاوية اخرى: نلاحظ أنّ (الزاد) لا ينحصر أثره هنا فى الحياة الدنيا، بل ينسحب علىالحياة الأخروية، أى: بقدر مايتزوّد الإنسانبالتقوى: يترك أثره على الحياة المقبلة وهذا هو الجديد والطريف فى الصورة... فالنصّ لم يعتمد (الزاد) من حيث كونه مادّة تمدّ الإنسان بالعطاء الدنيوى فحسب، بصفة أنّ مَن يتّق اللّه تعالى يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لايحتسب دنيوياً، بل تجاوزه إلى الع طاء الأخروى، حيث تمدّه (التقوى) باستمرارية حياته الأخروية من أعلى درجات الإشباع.

وهذا ما يفسّر لنا انتخاب ظاهرة (الزاد) دون غيرها من الظواهر (كالأكل) مثلًا، حيث إنّ الأكل أو الشرب يمدّان الإنسان بالحياة، إلّاأنّ ذلك ينحصر فى الحياة الدنيا. أما الزاد فبالرغم من كونه يتناول ظاهرتى (الأكل والشرب) إلّاأنّه- من جانبٍ آخر- وهذا هو المهمّ فى الصورة: يجسّد مفهوماً آخر لظاهرة تناول الغذاء، ألا وهى (تهيئته) فكما أنّ المسافر مثلًا يحتاج إلى (الراحلة والزاد) للإفادة منهما فى رحلته لاحقاً، وليس آنياً فحسب... كذلك (الزاد) بالنسبة إلى ممارسة (التقوى) حيث يستهدف النصّ لفت النظر إلى (تهيئة) الزاد للإفادة منه آنياً ولاحقاً بالنحو الذى أوضحناه.

إذن: أمكننا أن ندرك- ولو سريعاً- أهمّية هذه الصورة (التمثيلية) المتّسمة بالبساطة، إلّاأنّها اكتسبت دلالات عميقة كما لاحظنا.

***

ص: ۶۶

* قال تعالى: (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا اللّه كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً...).

الصورة التى نواجهها الآن، تنتسب- كما قلنا- إلى (التشبيه)،... والتشبيه نمطان: مجازى وواقعى، ويُقصد بالأول ما تُرصد به العلاقة بين طرفين لا واقع لهما كتشبيه السفن بالجبال فى قوله تعالى: (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) (۱)

حيث لا علاقة واقعية بينهما، وهذا بعكس التشبيه الواقعى وهو التشبيه الذى نحن فيصدده (فاذكروا اللّه كذكركم آباءكم...) حيث إنّ استحضار دلالةٍ ما (كذكر اللّه تعالى) فى الذهن وممارسة ذلك لفظياً، أو استحضار (ذكر الآباء) فى الذهن وممارسته لفظياً أمرٌ واقعى، لم تُستحدَث علاقة مجازية بينهما...

من زاوية اخرى، ينشطر التشبيه إلى نمطين: التشبيه المتكافئ وهو ما يتكافأ طرفاه فى الدلالة على شىءٍ ما، كالتشبيه الذى لاحظناه بالنسبة إلى السفن والجبال، أو تشبيه (ذكر اللّه تعالى) بذكر الآباء، حيث يتماثل أو يتساوى طرفا التشبيه دون تفاوت بينهما... وأمّا النمط الآخر من التشبيه فيمكن تسميته ب (التشبيه المتفاوت) وهو ما يشير إلى (الأعلى) أو (الأدنى) من الطرف الآخر، وهو قوله تعالى (أو أشدّ ذكراً)، حيث أشار النصّ إلى أن يذكر اللّه تعالى بنحو (أشدّ) من ذكر الآباء، أى: أعلى درجة منه... المهم: أنّ الآية الكريمة (فاذكروا اللّه كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً) تنطوى على نمطى التشبيه: المتكافئ والمتفاوت، ومن ثم فإنّ الأهمّ من ذلك هو ملاحظة الأسرار الفنية وراء النصّ التشبيهى المذكور...

تقول النصوص المفسّرة بما مؤدّاه: إنّ الناس كانوا إذا فرغوا من الحج، ذكروا آباءهم ومفاخرهم؛ لذلك أمرهم اللّه تعالى بأن يذكروا اللّه تعالى على نحو ذِكرهم لآبائهم أو أشدّ ذكراً...

سرّ ذلك، أن الحاجة إلى (تأكيد الذات) من جانب، والحاجة إلى (الانتماء الاجتماعى) من جانب آخر، مضافاً إلى الأعراف الاجتماعية التى تغذّى الحاجتين

---

۱- ۱ الرحمن: ۲۴.

ص: ۶۷

المـذكورتين، حيث إنّ (الـذات) تتسع لتشـمل كلَّ ما يتصل بها من قريب أو بعيـد، ومنه: المجد النسبى (ذكر الآباء والأجداد)، وحيث إنّ (الانتماء الاجتماعى) يتسع ليشمل كلّ فرد أو مؤسسة يرتبط بها الشخص: الآباء، الاسرة، القرابة، القبيلة...

نقول: إنّ الحاجتين المـذكورتين تفسّـرانلنا سـرّ التشبيه المشار إليه من حيث كونه قـد انتخب (ذكر الآباء) دون أنماط الذكر الاخرى؛ نظراً لإلحاحهما بالنسـبة إلى دوافع الإنسان المتنوّعـة... لكن: بما أنّ ذكر اللَّه تعالى لا يمكن أن يقاس بـذكر الآباء خاصّـة لمن يمتلك وعياً عبادياً جادّاً، حينئـذٍ فإنّ النصّ التشبيهى المذكور أردف التشبيه المتكافئ بالتشبيه المتفاوت، فقال (أو أشدّ ذكراً) بصـفة أن عظمة اللَّه تعالى ونعمه التى لا تحصى لا يمكن أن تُقاس بمجد الآباء وفضلهم...

**** قال تعالى: (حُنفاء للَّهغيرَ مشركين به ومَن يُشرك باللَّه فكأنّما خرّ من السماء فَتخطَفُهُ الطيرُ أو تهوى به الريحُ فى مكان سحيق). تشـير النصوص المفسّـرة إلى أن التشبيه المـذكور، يومئ إلى أنّ المشـرك لا يملك لنفسه حيلـة فهو هالك لا محالة، أو أن بُعده عن الحقّ كبعد الساقط من السماء...

ومع أن هـذا النمط من التـذوّق الفنّى للصورة ينطوى (من حيث الحصـيلة النهائية للشـرك) على الصواب، إلّاأنّ الأسـرار الفنّية الكامنة وراء هذا التشبيه لا تزال مجهولة لم يهتد الأقدمون ولا المعاصـرون إلى اسـتكناه دلالاته الفنّية، فالملاحظ أنّ قسـماً من النصوص الفنّية وسواها قد اهتدى الأقدمون إلى كشف أسـرارها، والبعض الآخر لم تسمح الثقافة الموروثة آنئذٍ بالكشف عنها؛ نظراً لمحدودية المناخ الثقافى آنئـذ (كما هو ملاحظ مثلًا فى سـكوت الأقـدمين عن الحديث عن الأسـرار الفنّية لقصـص القرآن) والقسم الآخر من النصوص الفنّية قد اهتدى المعاصـرون إلى كشـفها بالنسـبة إلى الجيل السابق منهم، والقسم الآخر قد اهتدى الجيل الحالى إلى كشـفه، مما يعنى أنّ قسماً آخر لا يزال ينتظر جيلًا جديداً يمتلك

ص: ۶۸

أدوات فنّية جديدة؛ ليكتشف بها أسرار الفن...

والمهم هو: أن نشير إلى جملة نقاط، منها:

- أن ننتبه إلى أنّ التشبيه الذى نحن فيصدده قد اعتمد أداة (كأن)، ولابد من أن يكون انتخاب النصّ لهذه الأداة دون غيرها منطوياً على سرّ فنّى، فالملاحظ (وهذا ما رصدناه فى استخدام القرآن الكريم لأدوات التشبيه) أنّ أدوات التشبيه الثلاث المعروفة (الكاف) (مِثْل) (كأنّ) تضطلع كلّ منها بوظيفة خاصة، فإذا كان طرفا التشبيه يتماثلان فى السمات المشتركة بينهما إلى درجة كبيرة تتجاوز المتوسط، حينئذٍ فإنّ الأداة (مِثْل) هى التى تستخدم فى هذا المجال، وهذا ما نجده فى الصورة التشبيهية التى رسمها القرآن الكريم بالنسبة الى أحد ابنى آدم عليه السلام عندما قتل أخاه وجهل كيفية مواراته، حيث شاهد غراباً (يبحث فى الأرض) (۱)

فقال: (يا ويلتى أَعجزتُ أن أكون (مثل) هذا الغراب..) (۲)

فالملاحظ هنا أن طرفى الصورة يتماثلان إلى درجة كبيرة تتجاوز المتوسط، حيث إنّ الإنسان والطائر متماثلان جنساً، ومواراتهما فى الأرض يتماثلان، وهكذا؛ لذلك استخدمت أداة التشبيه (مثل)،...

وأمّا إذا كانت درجة التشابه متوسطة المدى كما هو الغالب فى التشبيهات القرآنية، استخدم أداة (الكاف).

وأمّا إذا كانت دون درجة الوسط، فإنّ الأداة (كأنّ) هى تضطلع برسم الصورة، وهذا ما نجده فى التشبيه الذى نحن فيصدده. فالشرك باللَّه عملية (فكرية)، وأمّا السقوط من الجو، وخطف الطير، وإلقاء الريح إيّاه فى مكان سحيق، فظواهر (مادية) كما هو بيّن؛ لذلك استُخدمت الأداة (كأنّ) نظراً للسمات المتفاوتة بين الطرفين... طبيعياً، أن السياق هو الذى يحدّد استخدام هذه الأداة أو تلك، وأمّا نسبة السمات المشتركة كثرت أو ضؤلت لا دخل لها فى جعل التشبيه متميّزاً عن التشبيه الآخر؛ لأنّ المهم هو: اقتناص أحد وجوه الشبه والتركيز عليه، حتّى إنّه ليمكن القول: إنّ التشبيه قد يصل إلى ذروة قيمته الفنّية (فى تجارب البشر)

---

۱- ۱ المائدة: ۳۱.

۲- ۲ المائدة: ۳۱.

ص: ۶۹

من خلال اقتناص سمة واحدة، إلّاأنّها ذات إثارة وطرافة...

وأيّاً كان الأمر، فإنّ النصّ الصورى قد تحدّث عن الشرك باللَّه تعالى فى سياق المطالبة بأن يكون الحُجّاج (حنفاء للَّهغير مشركين به)، سواء أكان المقصود من ذلك (وفقاً للنصوص المفسّرة) الإشراك فى تلبية الحجّ، أو مطلق الشرك، وسواء أكان ذلك فى نطاق الشرك الاصطلاحى أو الشرك الخفى كالرياء ونحوه.. ففى الحالات جميعاً، فإنّ إشراك (الآخر) مع اللَّه تعالى فى مطلق الممارسات، يعنى:

إكساب (الآخر) فاعليةً ما، مع أنّ الحقيقة أنّ الفاعلية هى للَّهتعالى وحده، وحينئذٍ من الممكن أن يكون النصّ قد استهدف الإشارة إلى أنّ من أشرك أحداً مع اللَّه سوف يسقط من (حساب) اللَّه تعالى حتماً، ويخسر كلّ شىء، وعندها سيكون مَثَلُه مَثَلَ مَن سقط من الجوّ (والسقوط وحده كافٍ فى إلغاء الشخص من الحساب) وفى حالة سقوطه سوف لن يستنقذه أحدٌ ممّن أشركه مع اللَّه تعالى، فإمّا أن تخطفه الطير فتنهش لحمه دون أن يستنقذه الطرف المذكور، وإمّا أن تهوى به الريح فى مكان بعيد لا يصل إليه أحد ليستنقذه من الموت، إن كان به رمق- على سبيل المثال....

المهم، يظلّ التشبيه المذكور- كما قلنا- واحداً من الصور الفنّية، التى تنتظر مَن يستكنه أسراره لاحقاً، مادمنا نعرف تماماً بأنّ النصّ القرآنى الكريم نصٌّ (معجزٌ) فنّياً، وأنّ الاستخلاصات المتعدّدة بعدد قرّاء النصّ، تظلّ إحدى سماته الفنّية المدهشة حيث يترك المتلقى- كلًا بحسب مرجعيته الثقافية والتذوقية- يستخلص دلالة تفترق أو تتماثل أو تتفاوت مع الآخر، بالنحو الذى أوضحناه.

ص: ۷۰

## ضریح عبداللّه بن عبدالمطلب والد الرسول صلی الله علیه و آله

ص: ۷۱

ضريح عبداللّه بن عبدالمطلب والد الرسولصلى الله عليه و آله

محمدصادق النجمى

يعدُّ المرقد الشريف لعبداللّه بن عبدالمطّلب- والد الرّسول الكريمصلى الله عليه و آله- من الآثار المعروفة فى المدينة المنورة، التى تقع خارج البقيع، حيث كان محلّاً للزائرين حتى عام (۱۹۷۶ م) فبعد أن كان بناءً مشيداً ضمّ الجسد الطاهر لعبداللّه كما ذكرته كتب التاريخ، تمّت إزالته بحجّة توسيع مسجد النبيّصلى الله عليه و آله والسّاحات التى تُحيط به، ولم يبقَ أىُّ أثر له اليوم.

قبل الدخول فى تفاصيل وكيفية تشييد هذا الضريح على مرّ التاريخ ارتأينا من المناسب ذِكر بحث كلامىّ ولو بصورة موجزة حول إيمان والدى النبيّصلى الله عليه و آله:

فقد تأكّد لدى علماء الشيعة ومُتكلّميهم وكذا بعض عُلماء أهل السُنّة ومُثقّفيهم، وللأدلّة من آيات وأحاديث من كلا الطريقين السّنّى والشّيعى، أنَّ والدَ الرّسول الأعظمصلى الله عليه و آله وكذلك أجداده الكرام كانوا جميعاً مؤحّدين، وأنَّ أيّاً منهم لم تلوّثه أدران الشّرك أو الوثنية. وليست مسألة انتقال نور وجوده المقدّس عِبر الأرحام العفيفة

ص: ۷۲

والأصلاب الطّاهرة حتى استقراره فيصُلب عبداللّه الموحِّد وَرَحِم آمنة المؤمنة مقتصرة عليهصلى الله عليه و آله وحده، بل إنَّ الأنبياء الآخرين يمتلكون مثل هذهالخصوصية أيضاً إذ وُلِدوا جميعهم من أبوين طاهريين.

نظرة عُلماء أهل السنّة:

لجلال الدين السيوطى،صاحب تفسير «الدرّ المنثور» ومؤلّف كتب كثيرة أخرى، وأحد الشخصيات العلمية الموثوقة عند أهل السنّة، بحث طويل ومُسهب، نوجزه هنا:

يقول السيوطى فى بحثه المذكور: لقد ثبت أنَّ أجداد النبىّ وامّه وأباه، الذين كانوا حُنفاء على دين جدهم إبراهيم عليه السلام ويعملون بشرائعه، كما كان الحال مع كثير من الأشخاص فى جزيرة العرب من أمثال ورقة بن نوفل وزيد بن عمر بن نفيل، الذين كانوا موحّدين يعبدون اللّه وحده.

ويضيف السيوطى قائلًا: تعتقد مجموعة من علمائنا ومنهم الإمام فخر الرازى بهذا الرأى، وقد أورد عدّة أدلّة فى تفسيره «أنوار التنزيل» على ذلك منها الآية: الذى يراكَ حين تقوم* وتقلّبكَ فى الساجدين (۱)

. يقول الفخر الرازى، (والكلام للسيوطىّ):

«يعتقد المفسّرون أنّ المراد من الآية الشريفة وتقلّبكَ فى الساجدين، انتقال نطفة الرسولصلى الله عليه و آله منصُلب الساجدين والموحّدين والمعترفين بوحدانية اللّه واحداً بعد آخر. وهذه الآية دليل واضح على أنَّ جميع آباء النبيّصلى الله عليه و آله كانوا موحّدين وحُنفاء لم يسجدوا إلّاللّهولم يعبدوا إلّاإيّاه».

كما فى قولهصلى الله عليه و آله: «لم أزَلْ انقلُ من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهّرات».

وجاء فى القرآن الكريم كذلك:

إنّما المشركون نجسٌ فلو كان أجداد النبيّصلى الله عليه و آله وجدّاته مشركين، لما كانَصلى الله عليه و آله أيَّدَ طهارتهم وأوثق عِفّتهم.

ثم قال السيوطى بعد نقله لأدلّة أُخرى عن الفخر الرازى:

إنَّ الفخر الرازى بإيمانه واعتقاده بقداسة وطهارة أجداد الرسولصلى الله عليه و آله وببيانه لهذه الأدلة، إنّما يضفى بذلك

---

۱- ۱ الشعراء: ۲۱۸ و ۲۱۹.

ص: ۷۳

عظمة وفخراً؛ لكونه أحد أكبر وأعظم أئمة الدين، والشخصية العلمية الفذّة، التى تمكّنت من الإجابة عن كثير من التساؤلات، ومختلف المسائل العلمية فى زمانه.

وبدأ السيوطى بتأييد نظرية الفخر الرازى، وذلك ببيانه لعدّة أدلّة عقلية ونقلية، مورداً بعض الأحاديث عن البخارى والبيهقى وأبى نعيم ومحدّثين آخرين محاولًا إثباتصحة هذا الموضوع، وبالإشارة الى الأدلة التى أوردها الشهرستانى والماوردىّ (۱).

هذا وقد قام بعض علماء أهل السنة بتصنيف الكثير من الكتب والمؤلفات حول مسألة إيمان أجداد الرسولصلى الله عليه و آله ووالديه، وينفرد السيوطىّ وحده بمؤلفاته الأربعة حول هذا الموضوع وهى:

۱- الدرج الرّفيعة فى الآباء الشريفة.

۲- المقاصد السّندسيّة فى النسبة المُصطفويّة.

۳- التعظيم والمنّة بأنّ أبوى رسول اللّهصلى الله عليه و آله فى الجنّة.

۴- السّبل الجليّة فى الآباء العليّة (۲).

نظرة عُلماء الشيعة:

إنَّ مسألة إيمان والدى الرسولصلى الله عليه و آله، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، وطهارتهم بل وقداسة ولادة جميع الأنبياء هى من المُسلّمات بل من السّمات البارزة فى عقيدة الشيعة.

يقول الفخر الرازى: «قالت الشيعة:

إنَّ أحداً من آباء الرسول وأجداده ما كان كافراً...» (۳).

وكلام الرازىّ هذا دليل واضح على عقيدة الشيعة واتفاق علمائهم حول هذا الموضوع، بل إنَّ هذا الأمر كان نفسه جزءاً من عقيدة أهل السّنة ومن المسلمات عندهم.

يقول المجلسىّ رحمه الله: اتّفقت الإماميةـ رضوان اللّه عليهمـ على أنَّ والدى الرسول وكلّ أجداده الى آدم عليه السلام كانوا مسلمين، بل كانوا من الصّديقين: إمّا أنبياء مرسلون أو أوصياء معصومون، ولعلَّ بعضهم لم يُظهر الإسلام لتقيّة أو لمصلحة دينيّة (۴).

الأدلّة:

تتّسم الكتب الكلامية وكتب

---

۱- ۱ مالك الحنفاء:ص ۱۷، نقلًا عن هامش البحار ۱۵: ۱۲۱- ۱۲۸.

۲- ۲ المصدر السابق.

۳- ۳ المصدر السابق.

۴- ۴ المصدر السابق:ص ۱۱۷.

ص: ۷۴

التفسير عند الشيعة بإيراد أدلّة متعدّدة سواء من القرآن الكريم أو من السّنة النبوية الشريفة، كلّما تطرّقوا الى مسألة إيمان أجداد الرسولصلى الله عليه و آله. وللإيجاز نكتفى بالآيتين اللتين استشهد بهما الفخر الرازى على إيمان أجداد الرسولصلى الله عليه و آله وهما: الذى يراكَ حينَ تقوم* وتقلّبك فى الساجدين.

ولأننا قُمنا ببيان وتوضيح تفسير هذه الآية نقلًا عن الفخر الرازىّ فى الصفحات الآنفة فلا داعى لتكرار ذلك.

الروايات:

أ- جاء فى حديث نبوىّ شريف يُخاطب أمير المؤمنين على عليه السلام ما يلى:

«يا علىّ، إنَّ عبدالمطلب كان لا يَستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذُبِحَ على النّصب، ويقول أنا على دين إبراهيم عليه السلام» (۱).

ب- قال الأصبغ بن نباتة أنَّ أمير المؤمنين على عليه السلام قال:

«واللّه ما عبد أبى ولا جدى عبدالمطلب ولا هاشم ولا عبد منافصنماً قطّ. قيل فما كانوا يعبدون؟ قال:

كانوا يُصلّون الى البيت على دين إبراهيم عليه السلام مُستمسكين به» (۲).

لِمَ يُتَّهم أجداد الرسولصلى الله عليه و آله بالشرك؟!

كلّنا نعلم أنّ زمام السلطة السياسية للإسلام، ومصير الامّة الإسلامية فى القرن الأول الهجرى كان بيد أشخاص هم سليلو الشرك والوثنية، فقد كان آباؤهم وأجدادهم والأقربون لهم ممّن ترعرعوا على عبادة الأصنام والجاهلية الأولى، وليس هذا وحسب بل إن كثيراً من آبائهم وأقوامهم قُتِلوا فى سوح المعارك، التى جرت بين المسلمين وأولئك الوثنين، مِمّا حدا بالتأريخ الى وسَمهم بالوثنية وبعار الشرك على مدى العصور، فكفى بهذا الأمر دافعاً الى تنسيبهم أجداد الرسولصلى الله عليه و آله وآبائه الى زمرة آبائهم وأجدادهم هم، وهو أمر كان لابد منه لحلّ معضلتهم هذه حتى يتخلصوا من لعنة التأريخ وغضب الأجيال المسلمة فى المستقبل.

فقاموا، إثر ذلك، بنقل أحاديث ملفقة وكاذبة على لسان الرسولصلى الله عليه و آله، مثل:

«إنَّ رجلًا قال يا رسول اللّه أين

---

۱- ۱ الخصال للصدوق، نقلًا عن البحار: ۱۵: ۱۴۴؛ ومن لا يحضره الفقيه، باب النوادر.

۲- ۲ كمال الدين، نقلًا عن البحار ۱۵: ۱۴۴.

ص: ۷۵

أبی؟ قال: فی النار، فلمّا قفی دعاهُ، إنَّ أبی وأباکَ فی النار!» (۱).

حادثهٔ زیارهٔ الرسولصلی الله علیه و آله لقبر والدته وتحریف ذلک:

ورد أنّ النبیّصلی الله علیه و آله توقّف فی «الأبواء» عند قبر امّه «آمنهٔ» بعد عودته من فتح مکّهٔ ورجوعه الی المدینهٔ. فجلسَ عند رأسها، وبعد استذکار تضحیاتها ومشاقّها، لم یتمالک نفسه، وشرعَ بالبکاء حتی تأثر أصحابه وشارکوه بالبکاء والنحیب.

وقد لاحظ الصحابهٔ جمیعهم یومئذ أحاسیسه وعواطفه تجاه امّه فی ذلک المشهد المُعَبِّر والمؤثّر، ومدی احترامه وتقدیره لها ولجهودها التی بذلتها فی سبیله. وما کان لمشهد مؤثّر وحسّاس کهذا أن یُنسی بالسهولهٔ التی یشتبهها البعض خصوصاً فی ظروف کتلک التی هیّأت له هذا الأمر وبحضور آلاف مؤلّفهٔ من المسلمین وقتئذ من الذین یُرافقونه فی هذه الرّحلهٔ، ولم تکن حادثهٔ عابرهٔ یمکن للتأریخ أن یطویصفحتها دون وضع بصمات لها علی الصفحات التالیهٔ. إلّاأننا نری، مع الأسف الشدید، تدخل أیدٍ ماهرهٔ تمکّنت من تحریف الواقعهٔ والتصرّف فیها خدمهً لأغراضهم الشخصیهٔ، تماماً کما حصل لحادثهٔ «الغدیر» وهی أشهر من نار علی علم، عندما اجتهدوا فیما تعنیه کلمهٔ «مولی» المذکورهٔ فی تلک الحادثهٔ، وادّعوا قائلین: إنَّ مسألهٔ زیارهٔ النبیّصلی الله علیه و آله قبرَ امّه وبکاءه عندها وإبکاءَصحابته کذلک لاـ غُبار علیها، إلّا أن تصرف الرسولصلی الله علیه و آله هذا لم یکن دلیلًا علی إیمان امّه. أو شاهداً علی أنها کانت مُوحّدهٔ، والدلیل علی ذلک أنَّ النبیّصلی الله علیه و آله ذکر عبارهٔ بعد هذه الحادثهٔ مباشرهٔ دلَّت دلالهٔ واضحهٔ علی شرک امّه وکفرها وهو ما یؤیّده الحدیث التالی (بزعمهم):

«عن أبی هریرهٔ قال: زار النبیّصلی الله علیه و آله قبر أمّه فبکی وأبکی من حوله، فقال استأذنتُ ربّی فی أن استغفر لها، فلم یؤذن لی، واستأذنته فی أن أزور قبرها فأذِنَ لی، فزوروا القبور فإنّها تذکّر الموتَ».

وقد وردَ هذا الحدیث المنقول عن أبی هریرهٔ فیصحیح مُسلم (۲) وسنن

---

۱- ۱صحیح مسلم، ج ۱، کتاب الإیمان، باب «بیان أنَّ من مات علی الکفر فهو فی النار»؛ سُنن ابن ماجهٔ، الحدیث ۱۵۷۲؛ سُنن أبی داود، ۲: ۵۳۲.

۲- ۲صحیح مسلم: ج ۱، کتاب الإیمان، باب «من مات علی الکفر فهو فی النار».

ص: ۷۶

النسائى (۱) وابن ماجة (۲) وأبى داود (۳) وتأريخ المدينة لابن شَبَّة (۴) واستدلَّ أصحابُ السُنن الثلاثة المذكورة بمضمون الحديث على جواز زيارة قبور المشركين، وأفردوا لهذا الحديث باباً خاصاً فى سُننهم تحت عنوان: «جواز زيارة قبر المشرك».

الحديث المذكور يُناقض القرآن:

لسنا فيصدد الجواب عن هذا التحريف الوارد بشكل حديث، إلّاأننا لا نرى مفرّاً من التنويه الى ثلاث نقاط مهمة:

۱- يتنافى هذا الحديث ومضمون الآية الشريفة: ولا تصلّ على أحد منهم ماتَ أبداً ولا تَقمْ على قبره إنّهم كفروا باللّه ورسوله وماتوا وهم فاسقون (۵)

.

فهذه الآية كما نلاحظ لا تمنع المسلم من الدّعاء والصلاة على قبر المشرك أو المنافق فحسب، بل إنّها تحرّض بل وتنهى المسلمين كافة حتى من مجرّد الوقوف على قبورهم؛ لأنّهم استبطنوا الكفرَ باللّه ورسوله، ولو كان المنافق كما هو معهود عنه يمتلك خصلة سيئة واحدة تتمثّل بكفره الباطنىّ وحقده الدفين فى قلبه، فإنَّ للمشرك خصلتين أسوأَ من تلك؛ لأنّ المشركين كافرون باطناً وظاهراً، ويلهجون بالكفر بألسنتهم وقلوبهم، وينكرون اللّه ورسوله ويكفرون بهما؛ لذا كان من الطبيعى أن يكون ذلك النّهى أشد فى المشركين منه فى المنافقين، وعدم الدعاء أو الوقوف عند قبورهم، لا كما أدّعى ناقلو الحديث أنَّ الدعاء والوقوف عند قبر المنافق ممنوع، وأنّه يجوز مقابل ذلك الوقوف عند قبور المشركين دون الدعاء لهم.

۲- إذا كان الحديث الذى نقله أبو هريرة يدلَّ على عدم رضا اللّه عن آمنة، ومنع رسولهصلى الله عليه و آله من الاستغفار لها، فإنّ لدينا فى مقابل ذلك حديثاً آخر نقله لنا الصحابىّ الجليل عبداللّه بن مسعود أنّ رسول اللّهصلى الله عليه و آله لما وصلَ قبر أُمّه قال: «هذا قبر آمنة، دلَّنى جبرائيل عليه» (۶)، ولا شكَّ فى أنَّ حديث الرسولصلى الله عليه و آله الذى نقله عبداللّه بن مسعود يُشير بكلّ وضوح وجلاء الى عِظَم شخصية آمنة وقداستها حين

---

۱- ۱ ج ۴، كتاب الجنائز، باب «زيارة قبر المشرك».

۲- ۲ المصدر السابق، ج ۱، باب «ما جاء فى زيارة قبور المشركين».

۳- ۳ ۲: ۱۵۹.

۴- ۴ ۱:ص ۱۱۸.

۵- ۵ التوبة: ۸۴.

۶- ۶ عن عبداللّه بن مسعود قال: كنّا نمشى مع النبيصلى الله عليه و آله ذات يوم إذ مرّ بقبر فقال: أتدرون قبرُ من هذا؟ قلنا: اللّهورسوله أعلم. قال: قبر آمنة، دَلّنى عليه جبريل. تاريخ المدينة لابن شبّة ۱: ۱۱۷.

ص: ۷۷

يكون جبرائيل نفسه هو الذى دلّ الرسولصلى الله عليه و آله على قبرها.

۳- والنقطة الأخيرة هى أنَّ حديث أبى هريرة غير مقبول حتى عند بعض المحقّقين من علماء أهل السّنة أنفسهم؛ وذلك لصريح مخالفته لنصِّ القرآن ومنافاته له، وكما ذكرنا فإنَّ علماء بارزين كالفخر الرازى والسيوطى أهملوا حتى الإشارة الى هذا الحديث، واعتقدوا بإيمان والدى الرسولصلى الله عليه و آله وأنّهما كانا موحّدين تماماً كما هو الحال مع علماء الشيعة، وقاموا بتأليف عدة كُتب فى هذا المضمار.

مسجد دار النابغة (أو ضريح والد الرسولصلى الله عليه و آله):

إنَّ التحريف والتصرُّف اللذين طرأ كلّ منهما على حادثة زيارة الرسولصلى الله عليه و آله قبر أُمّه واللذين بيّنا الهدف من ورائهما وكيفية تلفيقهما، طالا كذلك قصة قبر وضريح عبداللّه بن عبدالمطّلب والد الرسولصلى الله عليه و آله وزيارة النبيّصلى الله عليه و آله لذلك القبر وصلاته عنده كما سنرى ذلك، ولن يتسنّى لنا الوقوف على إشكالات هذه المسألة إلّابعد تعرّفنا على تاريخ «دار النّابغة» وهو مكان دفنِ والد الرسولصلى الله عليه و آله والتحوّلات التى حدثت على ذلك المكان على مرّ التأريخ:

موجز تأريخ دار النّابغة:

كان دار النابغة بيتاً يقع بين بيوت قبيلة بنى النّجار فى المدينة فى الطرف الغربى لمسجد النبيّصلى الله عليه و آله، وكانت تلك الدار لشخص من القبيلة نفسها يُدعى «النابغة». وقد نزل عبداللّه فى المدينة عند هذه القبيلة أثناء رجوعه من رحلة الى الشام؛ لما كانت تربط بين آمنة زوج عبداللّه وبنى النجار من وشائج وروابط عائلية. وحدث أن مرض عبداللّه عندهم فتوفى إثر ذلك، فووريَ جسده الطاهر الثرى فى تلك الدار كما كان متعارفاً فى ذلك الزمان.

وقد سافر النبيّصلى الله عليه و آله مع والدته وهو فى سنّ السادسة لزيارة أهلها وقومها من بنى النجار فى المدينة، فنزلا عندهم كما فعل أبوه عبداللّه من قبل، وأقاما فى نفس الدار شهراً كاملًا. وقد قال الرسولصلى الله عليه و آله أثناء هجرته الى المدينة وخلال إحيائه لتلك الذكريات التى مرّت فى طفولته: «قبر أبى عبداللّه

ص: ۷۸

داخل هذه الدار كذلك».

وبسبب زيارة النبيصلى الله عليه و آله لتلك الدار فى الهجرة، وصلاته عند قبر والده فى بعض الأحيان، دُعيت تلك الدار ب «مسجد دار النابغة» أيضاً.

وكان مؤرخو المدينة يذكرون كلتا التّسميتين لدار النابغة حتى القرن الثالث الهجرى، وقد أشاروا مراراً الى أن تلك الدار هى محل دَفن عبداللّه، وهى كذلك المسماة ب «مسجد دار النابغة». لكنّ الكُتّاب والمؤرخين، وبعد فترة وجيزة من ذلك التأريخ، وخدمةً للمصالح الشخصية والنوايا السياسية كما نوّهنا آنفاً، أودعوا قبر عبداللّه فى دار النابغة عالَم النسيان، وجاهدوا فى طىّ تلك الصفحة من التأريخ تماماً كما فعلوا مع قبر امّ الرسولصلى الله عليه و آله وزيارة النبيّصلى الله عليه و آله له، بل حاولوا جاهدين كتم أمر دَفن عبداللّه فى ذلك المكان ومنع التحدّث عن ذلك أصلًا! حتى غَدَت دار النابغة عند الكثيرين مجرّد مسجد لا غير.

وقد دام هذا الوضع حتى القرن العاشر تقريباً حيث احدِث بناءٌ جديدٌ لدار النابغة، وتمّ نصب الضريح على القبر وبناء محراب بالقرب من ذلك الضريح، فتمّ بذلك حفظ السّمات المهمة فى تلك الدار وأعنى القبر والمسجد اللذين تضمّهما تلك الدار.

ولقد كان معظم الزائرين، الذين لم تكن لديهم معلومات كافية عن وجود المسجد فى تلك البقعة، يعتقدون أنّ هذه الدار إنّما هى مكان دَفن عبداللّه بن عبدالمطلب والد الرسولصلى الله عليه و آله لا كونها مسجداً كذلك. ويسود الاعتقاد أنَّ السبب الرئيس الكامن وراء الحفاظ على هذه البقعة من قِبَلِ المسؤولين حتى عام (۱۹۷۶ م) بالرغم من كونهم قد هدّموا تقريباً جميع الأماكن الأثرية والدينية فى المدينة وسائر مُدِن الحجاز قبل سبعين سنة من ذلك التأريخ وساووها بالأرض، هو كون تلك الدار تحمل عنوان المسجد، لا بسبب وجود قبر عبداللّه والد الرسولصلى الله عليه و آله الذى يعدُّ كافراً ومشركاً!

دار النابغة مكان دَفن عبداللّه:

يقول الواقدى (توفى ۲۳۰ ه) عن عبداللّه بن عبدالمطلب ووفاته فى المدينة ما يلى:

ص: ۷۹

«ودُفِنَ فى دار النابغة، وهو رجلٌ من بنى عدىّ بن النّجار...» (۱).

وقال ابن شبّة (توفى ۲۶۲ ه) أيضاً:

«قبر عبداللّه بن عبدالمطّلب فى دار النابغة» (۲).

ونقل ابن شبة كذلك عن كتاب «تاريخ المدينة» لعبدالعزيز الذى كان معاصراً لسنة (۹۵ ه) قوله: «أنّه عُرِّف ودُلَّ على المكان الدقيق لقبر عبداللّه والذى يقع فى مستهل الدخول الى دار النابغة على يسار الداخل إليها» (۳).

وقال الطبرى (توفى ۳۱۰ ه):

«ودفِنَ فى دار النابغة فى الدار الصغرى إذا دخلت الدار عن يسارك ليس بين أصحابنا فى ذلك اختلاف» (۴).

وتجدر الإشارة الى أن نظريات وأقوال المؤرخين، وبالأخصّ منهم الذين كتبوا عن تأريخ المدينة حول هذا الموضوع كثيرة ومُسهبة يطول شرحها ونقلها هنا.

مسجد دار النابغة:

نقل ابن شبّة من خلال عدّة روايات أنَّ من بين الأماكن والبقاع، التى زارها النبيّصلى الله عليه و آله وصلّى فيها هى دار النابغة (۵).

ويدلّ تعدّد هذه الروايات على أنَّ الرسولصلى الله عليه و آله كان يكرّر من زياراته لتلك الأماكن والصلاة فيها، ونستوحى من ظاهر تلك الروايات أنَّ كلّ راوٍ للرّوايةِ إنّما قام بتدوين ما شاهده هو بعينه، وشرع فى نقل ذلك عِبرَ سطور مُؤَلَّفِه، ويُستَبْعَد كونهم عاصروا بعضهم بعضاً فى فترة زمنيةٍ واحدة، وأنهم شاهدوا الرسولصلى الله عليه و آله يُصلى تلك الصلاة مرة واحدة فقط، ثم يقومون بنقل ذلك من خلال عدّة روايات لهم.

وقد أشارَ السمهودى (من علماء أوائل القرن العاشر الهجرى) الى مسجد النابغة هذا ضمن بيانه وعدِّه لمساجد المدينة آنئذٍ، ثم ينقل كلام ابن شبّة (۶) السابق مضيفاً عليه نقطتين اخريين:

أ- ودار النابغة هى المرادة بما رواه ابن شبّة. قبر عبداللّه بن عبدالمطلب يعنى والد رسول اللّهصلى الله عليه و آله فى دار النابغة.

ب- أنّ داره كانت غرب المسجد النبوىّ عند بنى جديلة (۷).

وقداتّبع مؤلف كتاب «عمدة الأخبار» وكان معاصراً لابن شبّة نفس أُسلوبه،

---

۱- ۱ الطبقات ۱:ص ۶۱، ق ۱.

۲- ۲ تاريخ المدينة لابن شبّة ۱: ۱۱۶- ۱۱۷.

۳- ۳ المصدر السابق.

۴- ۴ تاريخ الطبرى، طبعة لندن ۲: ۷۶.

۵- ۵ الطبقات ۱: ۷۳، ق ۱.

۶- ۶ وفاء الوفاء ۳: ۸۶۷.

۷- ۷ تأريخ المدينة ۳: ۸۶۷.

ص: ۸۰

فبعد تعريفه لمسجد النابغة قام بنقل كلام‌ابن‌شبّة، الذى‌ذكر فيه أنَّ دار النابغة تضم كذلك قبر عبداللّه كما أشرنا (۱).

إلّا أنَّ أيّاً من مُؤرخَى المدينة هذين، وبعض آخر من الكُتّاب فى القرون المختلفة، لم يتطرّق الى مسألة قبر عبداللّه على أنّها موضوع مُستقلّ.

إنَّ ما يُمكن الوصول إليه من خلال تلك الأقوال والآراء هو أنَّ الرسولصلى الله عليه و آله بعد هجرته من مكة الى المدينة، ومع مشاغله الكثيرة ومهامّه الصعبة لم يَنْسَ دار النابغة على أنها قبر والده عبداللّه أبداً، وكان إضافة الى ذلك ينوّه بين الفينة والفينة إلى أهمية هذا المكان وتأريخ القبر وما الى ذلك، وكان غالباً ما يُصلّى عند ذلك القبر، وهى حقيقة اعترف بها مؤرخو القرون الأولى للهجرة، إلّاأنَّ الاتجاه نحو كون هذا المكان مسجداً غَلَبَ عليصفة تلك الدار باعتبارها مرقداً أو ضريحاً، وهو تحريف لحقائق تأريخية سواءٌ أكان مقصوداً أو غير مقصود.

بناء مكان قبر عبداللّه وتخريبه:

ليس واضحاً لدينا ما إذا كان البناء الذى يضمّ قبر عبداللّه ومسجد النابغة قبل القرن العاشر بهذا الشكل الذى نراه اليوم أم لا. إلّاأنَّ الفترة التى تلت ذلك التأريخ كشفت عن بناء مهيب وراق نسبياً على قبر عبداللّه، قام به بعض السلاطين العثمانيين، ثم بنوا ضريحاً عليه وأقاموا عنده محراباً؛ لكى يتمّ بذلك الحفاظ على كلا عنوانى المكان باعتباره مقبرة ومسجداً. وكانت تلك البقعة الطاهرة ملاذاً وموئلًا للزائرين وموضع تقدير كتّاب تلك الفترة، الذين تطرقوا الى ذكر تفاصيلها.

ومع تهديم وتخريب كافة البقاع والأماكن داخل وخارج البقيع، إلّاأنَّ مقبرة عبداللّه ظلّتصامدة حتى عام (۱۹۷۶) حيث قاموا بَسدّ الباب الداخل الى المقبرة بالصخر والآجر، ولم يكن هناك سبيل للدخول إليها.

وقد قمتُ مع جمع من الزائرين بزيارة تلك البقعة الشريفة، الواقعة داخل زقاق ضيق، وكان ذلك عام (۱۹۷۵) أثناء تأدية مناسك حجّ التمتّع، وقد تمّت تلك الزيارة من خارج بابها، وعند تشرّفى بالعمرة بعد عدة شهور

---

۱- ۱ عمدة الأخبار فى مدينة المختار:ص ۱۹۴.

ص: ۸۱

من تلك الزيارة لاحظت عمليـة هـدم تلك البقعـة والبيوت والسوق، التى كانت حولها بحجّـة توسـيع المسـجد والساحات التى حوله، فضُـمَّت تلك الدار الى الساحة الكبيرة، عند الجهة الغربية للمسجد، فَتمَّ بذلك إزالة دار النابغة تماماً، والتى كانت تضمّ قبر عبداللّه بن عبدالمطلب والمسجد الذى فيها بعدصمودها أربعة عشر قرناً.

مكان دَفن عبداللّه قبل التخريب:

كما أشرنا سابقاً فقد تحدّث مؤرخو المدينة والكتّاب فى القرون الأخيرة- كما كان شأن المؤرخين فى القرون الأولى- عن مكان دفن عبـداللّه، سواءٌ أكان ذلك الحـديث طويلًا مُسـهباً أو قصـيراً موجزاً. ومن جملـة اولئك على حافظ وهو كاتب من أهل المدينـة، حيث كتب فى ذيل كتابه الموسوم ب «قبر والد النبيّصلى الله عليه و آله» يقول:

«ودُفِنَ فى المدينة المنوّرة وقبره معروف لدى أهل المدينة بزقاق الطّوال» (۱).

وكتب إبراهيم رفعت باشا المصـرىّ يقول: «من الأضـرحة التى فى خارج البقيع، ضـريحٌ لعبداللّه بن عبدالمطلب والد النبىّ وهو بداخل المدينة» (۲).

وأشـار الكتّـاب الفرس كـذلك الى مَـدفن عبـداللّه باعتبـاره بقعـة طاهرة من بقاع المدينـة، من أمثال: فرهاد ميرزا (۳)، ونائب الصـدر الشيرازى (۴) والسيد إسماعيل المرندى (۵) وعدد آخر من كُتّاب الرحلات.

وعند تشرُّف حسام السلطنة بزيارة مكة عام (۱۲۹۷ ه) كتب قائلًا:

«خرجتُ من منزلى فى يوم الاثنين العاشـر من محرّم قاصـداً زيارة مقبرة جناب عبـداللّه والد الرسولصـلى الله عليه و آله وكذلك زيارة أئمة البقيع عليهم السلام، وتقع مقبرة ذلك الرجل العظيم فى سوق الطوال على يسار الزقاق، وتحتوى المقبرة المذكورة على فناءصغير يُقابله إيوان. وتقع باب المقبرة فى يسار فضاء الإيوان. كانت الباب مُغلقـة، وانتظرنا مدة من الوقت حتى تمَّ إحضار السادن، ففتح الباب ودخلتُ البقعـة وبـدأنا بأداء مراسم الزيارة، وتحتوى المقبرة على ضـريح من الخشب، وتُحيط بمضـجعه الشـريف قماشة وردية مُطرّزة، قامت بخياطتها

---

۱- ۱ فصول من تأريخ المدينة، الطبعة الثانية:ص ۱۷۱.

۲- ۲ مرآة الحرمين ۱: ۴۲۷.

۳- ۳ الرحلات:ص ۱۵۲.

۴- ۴ الرحلات:ص ۲۳۲.

۵- ۵ وَصف المدينة، مجلة ميقات الحج، العدد ۵:ص ۱۱۷.

ص: ۸۲

والدة السلطان عبدالمجید خان فی عهد السلطان عبدالعزیز خان، وقدصلّینا رکعتین فی محراب المرقد. توجد کُوّة فی الجهة الیُسری للمحراب تُفتَح علی الجُنینة، بعد ذلک خرجنا من هناک مُتّجهین نحو البقیع» (۱).

هذا ما کان من بحث الخلفیة التأریخیة ل «دار النابغة» من وُجهتیها المُختلفتَین، ویمکن الاستنباط من وُجهتها الثانیة، أی مسألة إقامة رسول اللّهصلی الله علیه و آله الصلاة فی تلک الدار وعند قبر أبیه العظیم، أنها غیر منفصلة عن وُجهتها الأولی، وهی وجود قبر أبیهصلی الله علیه و آله هناک حتی إنّهصلی الله علیه و آله کان یزور قبر والدته فی حلّه وترحاله، ویبکی عنده بُحرقة وألم، فیُبکی أصحابه وخِلّانه، وکان کذلک یُقیم الصلاة عند قبر أبیه علی روحه ویدعو له ویُناجیه، سیّما إذا علمنا أنَّ قبر أبیه کان فی المدینة وبالقرب منه وفی متناول یده حتی دُعِیَ ذلک المکان ب «مسجد دار النّابغة» وعُرِف واشتُهر به.

الهوامش:

---

۱- ۱ یومیات مکّة لحسام السلطنة:ص ۱۴۸.

ص: ۸۳

## الشطر

ص: ۸۴

الشطر

حسن محمد

وردت کلمة (شطر) فی کتاب اللّه الکریم خمس مرّات فی الآیات الثلاث التالیة:

... فلنولینکَ قبلةً ترضاها فولِّ وجهک شطر المسجد الحرام وحیث ما کنتم فولوا وجوهکم شطره... (۱)

.

ومن حیثُ خرجتَ فولِّ وجهک شطر المسجد الحرام (۲)

.

ومن حیثُ خرجتَ فولِّ وجهک شطر المسجد الحرام وحیث ما کنتم فولوا وجوهکم شطره... (۳)

.

بعیداً عن ذکر أهمیة وخطورة موضوع تحویل القبلة من بیت المقدس إلی حیث الکعبة المبارکة، وبعیداً أیضاً عن آثار هذا التحول وما ترکه من تساؤلات- کانت تنمیها أیادی الیهود الخبیثة وأعداء الإسلام- فی الساحة الإسلامیة، وبعیداً عن الجهود العظیمة، التی بذلها رسولُ اللّهصلی الله علیه و آله والمخلصون الواعون من أصحابه، للردّ علی کلّ الشبهات الخطیرة، التی کانت تبث هنا وهناک من قبل سفهاء الناس

---

۱- ۱ البقرة: ۱۴۴.

۲- ۲ البقرة: ۱۴۹- ۱۵۰.

۳- ۳ البقرة: ۱۴۹- ۱۵۰.

ص: ۸۵

تحت عنوان ما وَلّاهم عن قبلتهم التی کانوا علیها... (۱)

.

وکانت السماء تواکب جهود رسول اللّه وتصدیه، وتمدّه بما یحتاجه من قوة وعزم وثبات، وهو یقود حرکة خطیرة جدّاً ضد مؤامرة خطیرة جدّاً یقودها أعداؤه من کلّ الأطراف، حتی إنّها أربکت المجتمع المسلم وقتها، وراحت السماء تصور لنا واقع تلک الفترة والانقلاب الذی کاد أن ینخر أو یطیح بالواقع والمجتمع المسلم ووحدته وقدرته، وراحت أیضاً ترسل إجاباتها بقوة:... قل للّهالمشرق والمغرب یهدی مَنْ یشاء إلیصراط مستقیم (۲)

.

... وما جعلنا القبلةَ التی کنتَ علیها إلّالنعلمَ من یتبعُ الرسولَ ممّن ینقلبُ علی عقبیه وإن کانت لکبیرةً إلّاعلی الذین هدی اللّهُ... (۳)

.

... وإنّ الذین أُوتوا الکتابَ لیعلمونَ أنّه الحقّ من ربّهم... (۴)

وتختم هذا الصراع آیة اخری بل نتیجة هذا الصراع والنقاش الحاد: ولئن أتیتَ (یا رسول اللّه) الذین أوتوا الکتابَ بکلّ آیة ما تبِعوا قبلَتک وما أنت بتابعٍ قبلتَهم وما بعضُهم بتابعٍ قبلةَ بعض ولئن اتبعتَ أهواءَهم من بعد ما جاءک من العلم إنّک إذاً لمن الظالمین (۵)

.

الذین آتیناهم الکتابَ یعرفونه کما یعرفون أبناءَهم وإنّ فریقاً منهم لیکتمون الحقّ وهم یعلمون (۶)

علی القول بأن الضمیر فی یعرفونه یعود الی أمر القبلة أی یعرفون أمر القبلة حقّ وهو ما ورد عن ابن عباس (۷).

مقالتنا هذه ابتعدت عن کلّ تلک التفاصیل؛ لتکتفی بالجانب الفقهی من موضوع القبلة، الذی یتجلّی فی کلمة (شطر) وإن تطرقت قلیلًا إلی الجانب اللغوی والجانب التفسیری فلضرورة البحث.

الشَّطْر لغةً: شطرُ الشیء: نصفه، وجمعه أشطر. وشاطره مالَه: إذا ناصفه، ومن ذلک قولهم: «شاطرتک مالی»، فهو جزء الشیء ونصفه ومنه: «مَن أعان علی مؤمن بشطر کلمة فعلیه..». «السواک شطر الوضوء» للمبالغة فی استعماله،

---

۱- ۱ البقرة: ۱۴۲.

۲- ۲ البقرة: ۱۴۲.

۳- ۳ البقرة: ۱۴۳.

۴- ۴ البقرة: ۱۴۴.

۵- ۵ البقرة: ۱۴۵.

۶- ۶ البقرة: ۱۴۶.

۷- ۷ مجمع البیان ۱/ ۴۲۳.

ص: ۸۶

والشـطر: الجهـة والناحیة ومنه قصدتُ شـطره أی نحوه. والقصد، ومنه «شـطر شـطره» أی قصد قصده، ومنه قولهم: «خذ شـطر زید» أی قصده، ومنه: فولّ وجهک شطر المسجد... أی جهته وتلقاءَه ونحوه وهو ما علیه أکثر المفسّرین.

فالشطر إذن یأتی بمعانٍ منها النصف ومنها الجزء ومنها القصد والجهة والناحیة...

وهذه کلّها خاصة الجهة والتلقاء عند أکثرهم، وردت فی تفسیر کلمة الشطر فی الآیات الکریمة.

وقد ذکرصاحب الدرّ المصون وغیره أشعاراً تدل علی أنها بمعنی نحو وتلقاء.

ألا مَنْ مبلغٌ عنی رسولًا وما تغنی الرسالةُ شطر عمرِو

أقول لأمِّ زنباعٍ أقیمی صدورَ العیس شطرَ بنی تمیم

وقد أظلّکم من شطر ثغرِکم هولٌ له ظُلَمٌ یغشاکم قِطعاً

تعدو بنا شطرَ نجدٍ وهی عاقدةٌ قد کارب العقدُ من إیقادها الحُقبا

إنّ العسیرَ بها داءٌ مُخامرها وشطرها نظرُ العینین محسورُ کلّ ذلک بمعنی نحو وتِلقاء(۱).

وفی مجمع البیان:... وشطر المسجد الحرام أی نحوه وتلقاءه...

وذکر قولًا للزجـاج: هؤلاء القوم مشاطرونا أی دورهم تتصل بـدورنا کما یقال: هؤلاء یناحوننا أی نحن نحوهم وهم نحونا. وذکر قولًا لصاحب العین: شطر کلّ شیء نصفه، وشطره نحوه وقصده، ومنه المثل: احلب حلباً لک شطره أی نصفه (۲)..

کما أنّ القرطبی یقول: الشطر له محامل: یکون الناحیة والجهة کما فی آیة:

شطر المسـجد الحرام وهو ظرف مکـان کمـا تقول: تلقاءه وجهته.. کما یـذکر أنّ شـطر المسـجد: نصـفه ومن الحـدیث «الطهور شـطر الإیمان»... وابن العربی الذی کثیراً ما یستفید القرطبی من آرائه یقول: الشطر فی اللغة یقال علی النصف من

---

۱- ۱ انظر الدر المصون ۲: ۱۶۱- ۱۶۲ للسمین الحلبی. وانظر التبیان للطوسی ۲: ۱۴، والتفسیر الکبیر للرازی ۳: ۱۲۶، ومجمع البحرین کلمة شطر.

۲- ۲ مجمع البیان [اللغة] الآیة ۱۴۴ من سورة البقرة: ۴۱۸، وانظر التبیان للطوسی ۳: ۱۴- ۱۵.

ص: ۸۷

الشیء ویقال علی القصد... (۱) إعراب الشطر:

جاء فی إعرابها وجهان:

۱- ظرف مکان: حینما نأخذ بقول: إنّ الفعل «ولّی» یتعدی لمفعول واحد.

۲- مفعول به ثان: إذا أخذنا بقول: إن الفعل «ولّی» یتعدی لاثنین (لمفعولین) «وجهک» «شطر».

القراءة:

ذکرت قراءات ثلاث لکلمة شطر فی الآیات المذکورة:

فقد قرأ کلّ من:

عبداللَّه بن مسعود، وأبی بن کعب... شطر المسجد... تلقاءَ المسجد الحرام.

کما قرأ کلّ من:

عبداللَّه بن مسعود، وابن أبی عبلة... شطره... تلقاءَه قال داود بن أبی هند: إنّ فی حرف ابن مسعود: فولِّ وجهَک تلقاءَ المسجد الحرام (۲)..

مع المفسّرین:

نذکر آراء أو أقوال بعض المفسّرین فی خصوص کلمة شطر، وإن کانت آراؤهم غیر بعیدة أو مختلفة عمّا ذکر فی لغتها إلّاقلیلًا.

ففی مجمع البیان: فول وجهک شطر المسجد الحرام أی حوّل نفسک نحو المسجد الحرام؛ لأن وجه الشیء نفسه. وقیل: إنما ذکر الوجه؛ لأنه به یظهر التوجّه. وقال أبو علی الجبائی أراد بالشطر النصف، فأمره اللَّه تعالی بالتوجه إلی نصف المسجد الحرام حتی یکون مقابل الکعبة.

یقول الشیخ الطبرسی عن الرأی الأخیر هذا: وهذا خطأ؛ لأنه خلاف أقوال المفسّرین (۳).

---

۱- ۱ الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی ۲: ۱۵۹، وأحکام القرآن لابن العربی ۱: ۶۴.

۲- ۲ انظر معجم القراءات القرآنیة ۱: ۱۲۴، الآیة ۱۴۴ من سورة البقرة، وانظر الجامع لأحکام القرآن للقرطبی ۲: ۱۵۹، وکنز العرفان ۱: ۸۴ وغیرها.

۳- ۳ معجم البیان للطبرسی ۱: ۴۲۰.

ص: ۸۸

وفی التبیان للطوسی: وقوله شطر المسجد أی نحوه وتلقاه، بلا خلاف بین أهل اللغة، وعلیه المفسّرون کابن عباس، ومجاهد، وأبی العالیة، وقتادة والربیع، وابن زید، وغیرهم..

وقال الجبائی والکلام ما زال للشیخ الطوسی: أراد بالشطر النصف، کأنه قال: وجهک نصف المسجد؛ لأن شطر الشیء: نصفه، فأمره أن یولی وجهه نحو نصف المسجد حتی یکون مقابل الکعبة. وعن هذا الرأی یقول الشیخ الطوسی:

وهذا فاسد؛ لأنه خلاف أقوال المفسّرین، ولأن اللفظ إذا کان مشترکاً بین النصف وبین النحو ینبغی ألا یحمل علی أحدهما إلّابدلیل، وعلی ما قلناه إجماع المفسّرین (۱)...

صحیح أن أهل اللغة قالوا: إنّ الشطر من معانیه النصف، لکنهم لم یجعلوه أحد معانی الشطر فی الآیة ولم یفسروه به، حیث لم نعثر- فیما تیسر لنا- علی من یقول: إنّ المقصود ب شطر المسجد أی نصف المسجد، إلا الجبائی وتبعه القاضی، وأیضاً الشعراوی کما سیأتی.

یقول الراغب فی مفرداته: شطر الشیء: نصفه ووسطه، ثم قال: فولّ وجهک شطر المسجد الحرام أی جهته ونحوه.. (۲) وفی تفسیر الآیة قال الرازی فی تفسیره الکبیر:

فول وجهک شطر المسجد الحرام ففیه مسائل..

المسألة الثانیة: قال أهل اللغة: الشطر: اسم مشترک یقع علی معنیین:

أحدهما: النصف. یقال: شطرت الشیء أی جعلته نصفین، ویقال فی المثل:

احلب حلباً لک شطره. أی نصفه.

والثانی: نحوه وتلقاءه وجهته..

ثم یقول: إن المراد جهة المسجد الحرام وتلقاؤه وجانبه.. وهو قول جمهور المفسّرین من الصحابة والتابعین والمتأخرین واختیار الشافعی فی کتاب الرسالة.

---

۱- ۱ التبیان للطوسی ۲: ۱۴- ۱۵. فقه القرآن لعبد اللّه الراوندی- القبلة ۲: ۴۸۰- سلسلة الینابیع الفقهیة.

۲- ۲ المفردات للراغب الأصفهانی:ص ۲۶۷.

ص: ۸۹

وهذا هو القول الأول.

أما القول الثانی: وهو قول الجبائی واختیار القاضی: إن المراد من الشطر ههنا: وسط المسجد ومنتصفه؛ لأن الشطر هو النصف، والکعبة واقعة من المسجد فی النصف من جمیع الجوانب، فلما کان الواجب هو التوجه إلی الکعبة، وکانت الکعبة واقعة فی نصف المسجد: حسن منه تعالی أن یقول: فول وجهک شطر المسجد الحرام یعنی النصف من کلّ جهة، وکأنه عبارة عن بقعة الکعبة، قال القاضی: ویدل علی أن المراد ما ذکرنا وجهان:

الأول: أن المصلی خارج المسجد لو وقف بحیث یکون متوجهاً إلی المسجد، ولکن لا یکون متوجهاً إلی منتصف المسجد الذی هو موضع الکعبة، لا تصحصلاتُه.

الثانی: أنا لو فسّرنا الشطر بالجانب لم یبق لذکر الشطر مزید فائدة؛ لأنّک إذا قلتَ: فول وجهک المسجد الحرام، فقد حصلت الفائدة المطلوبة، أما لو فسّرنا الشطر بما ذکرناه، کان لذکره فائدة زائدة، فإنه لو قیل: فول وجهک المسجدَ الحرام، لا یفهم منه وجوب التوجه إلی منتصفه، الذی هو موضع الکعبة، فلما قیل:

فول وجهک شطر المسجد الحرام حصلت هذه الفائدة الزائدة، فکان حمل هذا اللفظ علی هذا المحمل أولی.

فإن قیل: لو حملنا الشطر علی الجانب یبقی لذکر الشطر فائدة زائدة، وهی أنه لو قال: فول وجهک المسجد الحرام. لزم تکلیف ما لا یطاق؛ لأن مَن کان فی أقصی المشرق أو المغرب لا یمکنه أنه یولی وجهه المسجد، أما إذا قال: فولّ وجهک شطر المسجد الحرام أی جانب المسجد، دخل فیه الحاضرون والغائبون.

قلنا: هذه الفائدة مستفادة من قوله: وحیثما کنتم فولوا وجوهکم شطره فلا یبقی لقوله: شطر المسجد الحرام زیادة فائدة.

وهذا تقریر هذا الوجه. وفیه إشکال؛ لأنه یصیر التقدیر: فول وجهک نصف

ص: ۹۰

المسجد، وهذا بعيد؛ لأن هذا التكليف لا تعلق له بالنصف، وفرق بين النصف وبين الموضع الذى عليه يقبل التنصيف، والكلام إنما يستقيم لو حمل على الثانى، إلّاأن اللفظ لا يدل عليه انتهى ما ذكره الرازى (۱).

بينما ذهب الشعراوى فى تفسيره إلى كلا المعنيين للشطر (الجهة، النصف)، حيث يقول فى تفسير ما ذهب إليه: لأنه حين يوجد الإنسان فى مكان يصبح مركزاً لدائرة ينتهى بشىء اسمه الأفق وهو مدى البصر... وما يخيل اليك عنده أن السماء انطبقت على الأرض. ثم يواصل كلامه فيقول: إن كلّ إنسان منا له دائرة على حسب نظره، فإذا ارتفع الإنسان تتسع الدائرة... وإذا كان بصره ضعيفاً يكون أفقه أقل، ويكون هو فى وسط دائرة نصفها أمامه ونصفها خلفه. إذن الذى يقول:

الشطر هو النصفصحيح، والذى يقول: إن الشطر هو الجهةصحيح (۲).

أما السيد السبزوارى فيقول فى تفسيره لقوله تعالى: فول وجهك شطر المسجد الحرام: الشطر يطلق على القسم المنفصل من الشىء، أى النصف والجزء، ومنه الحديث: «السواك شطر الوضوء»، وقوله عليه السلام: «مَن أعان على مؤمن ولو بشطر كلمة، جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة اللّه».

والمراد به هنا النحو والجهة، ولم تستعمل هذه الكلمة فى القرآن الكريم إلّافى تشريع القبلة إلى المسجد الحرام. وإنما ذكر المسجد الحرام؛ لتوسعة الأمر، وأن الاستقبال إليه طريق إلى استقبال الكعبة المقدّسة، وإلّا فإن القبلة هى الكعبة؛ لنصوص متواترة بين الفريقين (۳)..

وقالصاحب كنز العرفان: والشطر هو النحو والجهة قاله الجوهرى وأنشد:

أقول لأمِّ زنباع أقيمى وجوه العيس شطر بنى تميم (۴) فقه الآية:

بعد أن عرفنا أن المراد من كلمة (الشطر) لغةً وتفسيراً هو الجهة أو الناحية

---

۱- ۱ التفسير الكبير للرازى ۴: ۱۲۶- ۱۲۷، والتحرير والتقريب لابن عاشور ۲: ۲۸.

۲- ۲ تفسير الشعراوى ۱: ۶۳۱.

۳- ۳ مواهب الرحمن ۲: ۱۱۳.

۴- ۴ كنز العرفان ۱: ۸۴.

ص: ۹۱

على أصحّ الأقوال أو القصد أو النصف على قولٍ لا يخلو من ضعف فقد يمكننا أن نقول: إن هذه الكلمة مع ما أضيف إليها شطر المسجد الحرام شطره تشكل لنا القبلة بدليل الآية نفسها:.. فلنولينك قبلةً ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام.. فالقبلة التى يرتضيها رسول اللَّهصلى الله عليه و آله أن يولى وجهه شطر المسجد الحرام، وبالتالى فالقبلة تساوى شطر المسجد، وشطر المسجد يساوى القبلة، التى وإن اختلف المراد منها على أقوال إلّاأن الصحيح وعليه العمل أن القبلة هى الكعبة حقيقة، وبكلام أكثر دقة هى المكان الواقع فيه البيت (الكعبة) الممتد من تخوم الأرض الى عنان السماء، ولكن نظراً للإحراج الذى يتركه التكليف باستقبال الكعبة عيناً للبعيد عنها وهو- قطعاً حرج عظيم وعسر أعظم، ورفعاً لهذا وذاك كان التوجه نحو الجهة، التى تقع فيه الكعبة أمراً مطلوباً ولا سيما أن التكليف باتخاذ الكعبة قبلة يوم كان المسلمون جميعهم فى المدينة وهى البعيدة عن مكة، ويوم كان التوجه أو الاستقبال نحو البيت المقدس، وحكم البعيد جهة الكعبة لا عينها، وهو ما عليه كلّ المفسّرين، ولا يقدح فى هذا ما تفرد به أبو على الجبائىوتبعه القاضى، ولم أجد فيما تيسر لى من تفاسير من اعتنى بما ذهب إليه الاثنان، إلّاالشعراوى وقد أوضحنا رأيه، علماً بأنه تكليف يتسم بالعسر وهويتنافى مع الشريعة، التى وصفت بأنها السهلة السمحاء، وأنى لنا من إصابة المسجد نفسه فضلًا عن مركز الكعبة أو نصفها..؟!

ولزيادة الفائدة ننقل هنا ما قاله الراوندى فى فقه القرآن- باب الزيادات- مسألة:

«شطر المسجد الحرام» نحوه، وقرأ أبى: تلقاء المسجد الحرام. «وشطر» نصب على الظرف أى اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد الحرام أى فى جهته وسمته؛ لأن استقبال عين الكعبة فيه حرج عظيم على البعيد، وذكر المسجد الحرام دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين، فعلى هذا، الكعبة قبلة من كان فى

ص: ۹۲

المسجد الحرام، والمسجد قبلة من كان فی‌الحرم، والحرم قبلة من نأی من أی جانب كان، وهو شطر المسجد وتلقاؤه، وقراءة أبی «ولكلٍّ قبلةً» إشارة الی ما ذكرناه.

وقوله تعالی: «هو مولّیها» أی هو موليها وجهته، فحذف أحد المفعولين، وقيل: هو اللَّه أی اللَّه مولّيها إياه علی أن القراءة العامة يجوز أن يراد بها ذلك أيضاً، ويكون المعنی ولكلٍّ منكم يا أمة محمّد وجهة أی جهة تصلی اليها جنوبية أو شمالية أوشرقية أو غربية، أينما تكونوا يجعلصلاتكم كأنها الی جهة واحدة، وكأنكم تصلون حاضری المسجد الحرام (۱).

وبعد هذا فقد أستطيع أن أقول: إن الشطر- اصطلاحاً- الذی يعيّن القبلة كما قلنا قد يُراد به أو قد يصدق إطلاقه- تبعاً لاختلاف أماكن المسقبلين بعداً أو قرباً عن الكعبة- علی:

(۱) جهة المسجد أو ناحيته، كما هو لغةً وتفسيراً.

(۲) المسجد الحرام نفسه كما هو الوارد فی الآياتصريحاً.

(۳) عين الكعبة نفسها، باعتبار أن الخطاب الوارد فی آيات القبلة أطلق علی الكلِّ المسجد الحرام وأريد به أهم وأقدس أجزائه وهو الكعبة المباركة.

وهذا الأخير فيه تفصيل:

* ما إذا كان المصلی داخل المسجد وقريباً من الكعبة، فيجب عليه التوجه نحوها، فهی قبلة لمن شاهدها أو كان فی حكم المشاهد لها كالأعمی..

* عليه بعين الكعبة سواء أكان قريباً أم بعيداً، ولكنّ الفرق بين القريب والبعيد- كما عند بعضهم- هو أن القريب يجب عليه أن يحرز- يقيناً- التوجه نحو عينها. وأما البعيد فإن أمكنه العلم باستقبال عينها لا جهتها تعيّن عليه ذلك، وإلّا يكفيه الظنُّ، وشرطية الظن هذه لم يقبلها المحقق الكركی حيث يقول: «إن البعيد لا يشترط لصحةصلاته ظنّه محاذاة الكعبة؛ لأن ذلك لا يتفق غالباً، فإن البعد الكثير

---

۱- ۱ سلسلة الينابيع الفقهية- فقه القرآن للراوندی- ۴:ص ۵۳۱.

ص: ۹۳

يخلّ بظن محاذاة الجرم اللطيف، فيمتنع اشتراطه فى الصلاة» (۱).

وبعد أن اتفقت كلمتهم على أن الكعبة- عيناً- قبلة من كان داخل المسجد الحرام، اختلفوا فى كون الحرم قبلة مَن بَعُدَ أو نأى على قولين كما فى التقسيم التالى:

الأول:

عين الكعبة قبلة لمن كان داخل المسجد الحرام وهو محلّ اتفاق بينهم.

المسجد الحرام قبلة لمن كان خارج المسجد الحرام أى فى الحرم.

الحرم قبلة لمن كان بعيداً عن الحرم، ولمن نأى عنه.

وهذا التقسيم ذهب إليه جمع من المتقدمين منهم الشيخ المفيد فى المقنعة- باب القبلة، والشيخ الطوسى فى كتبه، وابن حمزة فى الوسيلة، وسلار فى المراسم، وابن البراج فى مهذبه، وآخرون... وقد استدلوا على مختارهم هذا بروايات:

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ اللّه تبارك وتعالى جعل الكعبة قبلةً لأهل المسجد، وجعل المسجد قبلةً لأهل الحرم، وجعل الحرم قبلةً لأهل الدنيا» (۲).

وفى رواية: البيت قبلة لأهل المسجد، والمسجد قبلة لأهل الحرم، والحرم قبلة للناس جميعاً (۳).

وفى أُخرى.. ما بين المشرق والمغرب قبلة كلّه.

وأيضاً النبوى المروى عن الاحتجاج للطبرسى بإسناده الى العسكرى عليه السلام فى احتجاج النبيّصلى الله عليه و آله على المشركين، قال فيه: «فلما أمرنا أن نعبده بالتوجه الى الكعبة أطعنا، ثم أمرنا بعبادته بالتوجه نحوها فى سائر البلدان، التى نكون بها فأطعناه، فلم نخرج فى شىء من ذلك عن أمره» (۴).

وإن كان هذا النبويصريحاً فى المراد أعلاه، إلّاأنّ ظاهره يصلح مؤيداً أيضاً لما ذهب إليه جمع آخر من الفقهاء من أن الحرم لم يذكر قبلةً لمن بَعُدَ عنه، إلّاأن العاملى بعد ذكره لهذه الأحاديث يقول:.. وقد ذكر بعض المحققين أنه لا نزاع هنا ولا اختلاف بين أحاديث هذا (الباب ۳ والذى قبله، الباب ۲ من أبواب القبلة) (۵)

---

۱- ۱ جامع المقاصد ۲: ۴۸.

۲- ۲ الوسائل كتاب الصلاة، الباب ۳ من أبواب القبلة الحديث ۳.

۳- ۳ الوسائل: كتاب الصلاة، أبواب القبلة، الحديث ۲.

۴- ۴ الوسائل: كتاب الصلاة، الباب ۲ من أبواب القبلة، الحديث ۱۴.

۵- ۵ انظر هذه الأبواب فى الوسائل.

ص: ۹۴

لأن جهة المحاذاة مع البعد متسعة، وهذه الأحاديث وما دلّ على أن ما بين المشرق والمغرب قبلة، وما دلّ على استقبال المسجد الحرام من الآية والرواية وغير ذلك كلّه إشارة الى اتساع جهة المحاذاة، وتسهيل الأمر ودفع الوسواس، ويؤيده الاكتفاء شرعاً لأهل إقليم عظيم بعلامة واحدة (۱)..

هذا فى الروايات، وأما فى أقوال الفقهاء الآخرين فقد قالصاحب الجواهر:.. بأنّ القبلة «هى الكعبة لمن كان فى المسجد، والمسجد لمن كان فى الحرم، والحرم لمن هو خارج عنه» وإن قال المصنف (صاحب الشرائع) إنه كذلك «على الأظهر» وفاقاً للمبسوط والخلاف والمصباح والجمل والعقود والمحكى عن الإصباح والمهذب والمراسم، بل فى المسالك نسبته الى كثير، بل فى الذكرى والروضة الى الأكثر، بل فى المحكى عن مجمع البيان نسبته الى أصحابنا، بل فى الخلاف الإجماع عليه، وربما حكى عن المفيد وأبى المكارم أيضاً، لكن ما وصل إلينا من مقنعة الأول: «القبلة هى الكعبة ثم المسجد قبلة من نأى عنها؛ لأن التوجه اليه توجه إليها. ثم قال بعد أسطر: ومَن كان نائياً عنها خارجاً عن المسجد الحرام توجّه إليها بالتوجه إليه». ومن غنية الثانى: «القبلة هى الكعبة، فمن كان مشاهداً لها وجب عليه التوجّه إليها، ومن شاهد المسجد الحرام ولم يشاهد الكعبة وجب عليه التوجّه إليه، ومن لم يشاهده توجه نحوه بلا خلاف». يقول الشيخ فى الجواهر عندما يصل الى هذه النقطة: (وهذا) لا يطابق الحكاية، إذ لم يذكر فى شىء منهما الحرم، بل هما الى القول: بأن الكعبة القبلة عيناً أو جهة أقرب من ذلك قطعاً..

أقول: يبدو أنصاحب الجواهر لم يصل إليه ما كتبه المفيد فى باب القبلة كاملًا، حيث يقول فيه بعد ذلك.. وجعل اللّه تعالى لمن غابت عنه أو غاب عنها التوجّه الى أركانها بحسب اختلافهم فى الجهات من الأماكن والاصقاع: فجعل الركن الغربى لأهل المغرب، والركن العراقى لأهل العراق وأهل المشرق، والركن اليمانى لأهل اليمن، والركن الشامى لأهل الشام، وتوجه الجميع إنما هو من هذه

---

۱- ۱ الوسائل ۴: ۳۰۴- ۳۰۵.

ص: ۹۵

البلاد الی الحرم وهو عن یمین المتوجه من العراق الی الکعبهٔ أربعهٔ أمیال وعن یساره ثمانیهٔ أمیال (۱)..

فما حکی عن المفید من أن.. الحرم قبلهٔ من نأی.. فحاله حال سلار فی مراسمه الذی بعد أن یذکر أن الکعبهٔ لأهل المسجد والمسجد قبلهٔ لمن نأی عنه..

والناس یتوجهون الی الأرکان.. یقول: وتوجه الجمیع إنما هو فی هذه البلاد الی الحرم..

وما ذکره عن الغنیهٔ فهوصحیح إذ لم یذکر أنّ الحرم قبلهٔ من نأی عنه.

وقد قال الشیخ فی المبسوط: المکلّفون علی ثلاثهٔ أقسام، منهم من یلزمه التوجه الی نفس الکعبهٔ، وهو کلّ من کان مشاهداً لها بأن یکون فی المسجد الحرام، أو فی حکم المشاهد بأن یکون ضریراً، أو یکون بینه وبین الکعبهٔ حائل، أو یکون خارج المسجد بحیث لا تخفی علیه جههٔ الکعبهٔ... وقال أیضاً: «القبلهٔ علی ثلاثهٔ أقسام، فالکعبهٔ قبلهٔ من کان مشاهداً لها أو فی حکم المشاهد، والمسجد قبلهٔ من لم یشاهد الکعبهٔ، وشاهده أو غلب فی ظنه جهته ممن کان فی الحرم، والحرم قبلهٔ من نأی عنه وعن الحرم (۲)..

وفی التذکرهٔ: «الکعبهٔ القبلهٔ مع المشاهدهٔ إجماعاً» وعن النهایهٔ: «إجماعنا علی ذلک». وفی کنز العرفان: «الإجماع علیه أیضاً».

هذا هو القول الأول: إن الکعبهٔ قبلهٔ لمن کان فی المسجد الحرام، والمسجد قبلهٔ لمن کان فی الحرم، والحرم قبلهٔ لأهل الدنیا ممّن نأی عنه.

الثانی:

وهو اختیار کلّ من ابن الجنید وأبی الصلاح وابن إدریس والسید المرتضی الذی یقول فی ذلک:

القبلهٔ هی الکعبهٔ ویجب التوجّه إلیها بعینها إذا أمکنه ذلک بالحضور والقرب، وإن کان بعیداً تحرّی جهتها وصلّی الی ما یغلب علی ظنّه أنه جههٔ الکعبهٔ، وهو

---

۱- ۱ سلسلهٔ الینابیع الفقهیهٔ ۳/ ۹۶- ۹۷، المقنعهٔ فی الاصول والفروع للشیخ المفید.

۲- ۲ المبسوط فی فقه الإمامیهٔ للشیخ الطوسی ۱: ۷۷- ۷۸

ص: ۹۶

اختیار ابن الجنید وأبی الصلاح، وابن إدریس، وهو الأقوی عندی (۱)..

ویقول ابن إدریس فی السرائر: یجب علی المصلّی أن یتوجه الی الکعبة، وتکونصلاته إلیها إذا أمکنه ذلک، فإن تعذر فإلی جهتها، فإن لم یتمکن من الأمرین تحرّی جهته وصلّی الی ما یغلب علی ظنّه بعد الاجتهاد (أنه جهة الکعبة).

ثم یقول: وهذا مذهب السید وغیره من أصحابنا وهو الذی یقوی فی نفسی وبه أفتی (۲).

وعبارات هذا الفریق خالیة من ذکر الحرم، وأنه قبلة من نأی عنه کما هوصریح أقوال الفریق الأول.

من هذا کلّه یظهر روایة وفتوی ألا خلاف بینهم فی کون الکعبة عیناً قبلة من یشاهدها، وهذا لا یتسنی إلّالمن کان قریباً منها بحیث یتمکن من رؤیتها ولمن کان بحکمه.

*** هذا وقدصارت بعض الروایات التی تبیّن: أنّ الکعبة قبلة لمن هو فی المسجد، والمسجد قبلة لمن هو فی الحرم، والحرم قبلة لمن کان خارج الحرم،صارت هذه الروایات والأقوال التی تبعتها سبباً- عند بعضٍ- للقول: إن الکعبة لیست قبلة الناس جمیعاً، وإنما هی فقط لمن کان منهم داخل المسجد لمشاهد الکعبة ومن کان بحکمه کالضریر..

ولا شک فی أن هذا القول واضح البطلان؛ لأنه مخالف لضرورة الدین الإسلامی، ولجمیع الأدلة والروایات التی منها:

* عن معاویة بن عمار، عن أبی عبد اللَّه علیه السلام قال: قلتُ له: متیصرف رسول اللَّه الی الکعبة؟ قال: بعد رجوعه من بدر.

*... وکان یصلّی فی المدینة الی بیت المقدس سبعة عشر شهراً، ثم أعید الی الکعبة.

---

۱- ۱ انظر المختلف ۲: ۶۰- ۶۱.

۲- ۲ السرائر لابن إدریس- باب القبلة..

ص: ۹۷

*... فقلت: أكان يجعل الكعبة خلف ظهره؟ فقال: أما إذا كان بمكّة فلا، وأما إذا هاجر الى المدينة فنعم، حتى حوّل الى الكعبة.

*... عن أبى عبداللّه عليه السلام: إنّ اللّه بعث جبرئيل الى آدم، فنزل غمام من السماء فأظل مكان البيت، فقال جبرئيل: يا آدم، خطّ برجلك حيث أظلّ الغمام، فإنه قبلة لك ولآخر عقبك من ولدك.

*... قال النبيُّصلى الله عليه و آله: لن يعمل ابن آدم عملًا أعظم عند اللّه عزّوجلّ من رجل قتل نبيّاً، أو هدم الكعبة التى جعلها اللّه عزّوجلّ قبلةً لعباده...

* وعند نزول آية تحويل القبلة... ثم أخذ (جبريل) بيد النبيّصلى الله عليه و آله فحوّل وجهه الى الكعبة...

*... فى احتجاج النبيّصلى الله عليه و آله على المشركين: قال:... فلما أمرنا أن نعبده بالتوجه الى الكعبة أطعناه،... (۱) فالكعبة هى القبلة كما هو واضح من هذه الروايات...

ولمخالفته لاتفاق فقهاء المسلمين على أن الكعبة قبلة جميع المسلمين إما عيناً لمن كان قريباً منها، وإما جهةً لمن كان بعيداً عنها. ولمخالفة ذلك للأمور البديهية عند المتشرعة والتى يلهج بها لسان كلّ إنسان مسلمصغيراً كان أم كبيراً، عالماً كان أم جاهلًا، ولما تعارف عليه الناس فى وصاياهم وفى دفن موتاهم من أن القبلة هى الكعبة وليس غيرها، ولا أظنّ إنساناً ما يقول: إنّ الجهة أو المسجد الحرام قبلتى أو إن الحرم قبلتى على نحو الحقيقة، ولم نسمع بهذا أبداً. بل قد يُسخر ممن يقول مثل ذلك إلّاعلى نحو التجوز بوجود الكعبة فيها.

ومع هذا الاتفاق على أن الكعبة هى القبلة، وقع الخلاف بينهم فى المقصود بعين الكعبة، وظهر فى ذلك قولان:

الأول: أن القبلة هى بناء الكعبة نفسها بشكلها وجدرانها وأركانها الأربعة، وهى بالتالى القبلة التى يجب علينا التوجه نحوها، ولو أخذنا بهذا القول فلازمه:

---

۱- ۱ انظر فى هذا كلّه الوسائل ۴/ ۲۹۸- ۲۹۹ أبواب القبلة.

ص: ۹۸

* عدمصحة التوجه نحو الكعبة، لو فرض انهدام بنائها، وحتى لو قلنا: إنّ البناء إذا انهدم فإنه يعاد ببناء جديد، لأنّ هذا البناء الجديد- قطعاً- غير البناء القديم الذى أمرنا بالتوجه نحوه.

* بطلانصلاة كلّ من أهل البلاد المرتفعة عن المنطقة التى فيها بناء الكعبة؛ لأنّه أى بناء الكعبة أخفض منها، اللهم إلّاأن يؤدى المكلفصلاته منكوساً وهو أمر غير ممكن. وأهل البلاد المنخفضة عن منطقة بناء الكعبة؛ لعدم قدرة المكلف أن يؤديصلاته إلّاأن يصلى مستلقياً على ظهره وهذا كالأول غير متيسر..

وهذه الأمور- وقد يكون هناك غيرها- جعلت الحاجة ماسة الى الأخذ بالقول:

الثانى: أن القبلة هى الكعبة ولا شك فى ذلك ولا ريب، ولكن ليس خصوص البناء، الذى يشكّل الكعبة، بل المراد من الكعبة هنا الأوسع والأشمل من البنية نفسها، وهو ما يشكّل الامتداد ما بين السماء والأرض «من تخوم الأرض الى عنان السماء» فالفضاء المذكور هو القبلة، ولئن عبر عنه بالكعبة فالمراد مكانها بامتداده المذكور عمقاً وارتفاعاً.

أما عرضها فهو بين ۲۰- ۲۵ ذراعاً من جهاتها الأربع.

وقد يرد هنا هذا الإشكال: بما أن طول كلّ جدار بين ۲۰- ۲۵ ذراعاً- إذا لم نأخذ بقول من يقول: إنّ حجر إسماعيل كلّه ۵/ ۱۶ ذراع أو بعضه من البيت ۶- ۷ أذرع-، فيلزم من هذا بطلانصلاة بعض المصلين الذين يزيد عددهم على المقدار المذكور..، ومنشأ هذا الإشكال هو الاعتقاد بما يسمى بالمواجهة الدقّية: وهنا لابدّ لنا من الحديث عن موضوعين مهمّين بهما سيندفع هذا الإشكال أو التساؤل:

الأول: الاستقبال العرفى:

إنّ المراد بالقبلة هى الكعبة وإنما ذكرت الآيات المسجد الحرام من باب ذكر العام وإرادة الخاص، ذَكَر المسجدَ الحرام وأراد الكعبة، التى هى أشرف أجزائه،

ص: ۹۹

ولولاها لما كانت للمسجد هذه الأهمية والعظمة والقدسية، فوجوده من وجودها وكرامته من كرامتها، وقدسيته من قدسيتها، وهى بالتالى المرادة من الآيات، وهى القبلة التى أمرنا اللّه تعالى بالتوجه نحوها، وهى قبلة المسلمين قربوا منها أم بعدوا عنها، وسمّى التوجه نحوها استقبالًا.

وليس اتخاذها قبلة يقصد منه التوجه إليها توجهاً دقيّاً، بحيث لو خرج من موقف المصلى خطٌ مستقيم لانتهى- قطعاً- بالكعبة.

نعم قد يكون هذا- واقعاً ومتيسّراً- لمن كان قريباً من الكعبة؛ ولكنه ليس ممكناً بالنسبة لمن كان بعيداً عنها، الذى تصدق عليه المواجهة العرفية دون المواجهة الدقيّة، فما يراه العرف ويدركه بالنسبة لاستقبال المصلى للكعبة ومواجهته لها يكون كافياً، ولا تشترط تلك الدقة فى الاستقبال. يقول السيد السبزوارى: (الاستقبال والتوجه الى الشىء من المبينات العرفية يكفى فيهما الصدق العرفى، إلّاإذا دلّ دليل شرعى على الخلاف، وحيث لم يرد دليل شرعى على تحديد خاص فى جميع ما يعتبر فيه الاستقبال، مع أنّ بيان قيود المكلّف به وحدوده على عهدة الشارع، فيتعيّن أن يكون المرجع هو الصدق العرفى فقط، كما فى سائر متعلقات التكاليف التى لم يرد فى تحديدها حدّ شرعى، ثم يستدل على قوله بتحول النساء مكان الرجال، والرجال مكان النساء، وجعلوا الركعتين الباقيتين من الظهر الى الكعبة، فبهذا أدوا هذه الصلاة الى القبلتين..

فيقول: فإن توجه المصلين فى أثناءصلاتهم الى القبلة بفطرتهم، وتقرير النبيصلى الله عليه و آله لهم يكشف عن أنه من العرفيات، ويشهد له أيضاً أنه لم يعهد من أحد من المعصومين عليهم السلام ولا من أصحابهم ما هو خارج عن المتعارف بالنسبة الى الاستقبال. ويشهد له أيضاً ذكر المسجد الحرام فى الآيات الكريمة، وليس ذلك إلّا لأجل التوسعة لا الدقة (۱).

ثم إن المواجهة العرفية هذه تتسع بحسب كيفية المواجهة، فإذا قدر لخمسين

---

۱- ۱ مهذب الأحكام ۵: ۱۸۰- ۱۸۱.

ص: ۱۰۰

نفراً مواجهـة الكعبـة مثلًا، فبالابتعاد عنها يتمكن مئـة نفر من مواجهتها، وهكـذا كلما ابتعدنا عن الكعبة، كلما ازدادت مساحة مواجهتها واتسعت، ولكنه ليس اتساعاً دقيّاً رياضياً بل اتساعاً عرفيّاً تتسع فيها مساحة المواجهة أكثر من اتساعها فی المواجهة الدقيّة الهندسية.

ومن هنا جاءت العبارتان المشـهورتان: (جهة المحاذاة مع البعد متسـعة) (الجرم الصـغير كلما ازداد بُعداً ازداد محاذاةً) وهذا كلّه لا يرد فی المحاذاة الحقيقية.

إضافـة الى هـذا فـإن المسائـل الهندسـية ليست لها مدخليـة فی القضايا الشـرعية، التی منها مسألـة القبلـة بالـذات التی تعود للعرف فی تحديدها والاسـتفادة منه فيصدقها، وليس للشـرع مدخلية فيها. يقولصاحب الجواهر: «وكيفية اسـتقبالها أمر عرفی لا مدخل للشـرع فيه» (۱) ويقول السـيد السبزواری: (فالاستقبال ليس من الأمور التعبدية ولا من الأمور الدقية، ولا من الموضوعات المستنبطة، ولا من الأمور المسامحية العرفية، بل هو عرفی دقیّ؛ لأنه المنساق من الأدلة..).

ويواصل كلامه: (والمراد به (الاستقبال) عرفاً بحيث يحكم العرف المتعارف أنه واقف نحو الكعبة، فيتحقق مفهوم الاستقبال حينئذ من دون تجوّز، سواء اتصل الخط الفرضـی الخارج من جهة الى عين الكعبة أو لا، بل لو أمكن ذلك بغير عذر لا يجب؛ لصدق الاستقبال العرفی بدونه أيضاً، وهو يكفی بحسب الأدلة الشاملة للقريب والبعيد، وإرادة غير ذلك من الأدلة المنزلة على العرفيات تكلّف زائد بلا دليل عليه فيرجع فيه الى أصالة البراءة العقلية والنقلية) (۲).

الثانی: المقصود من الجهة:

يقول الشـهيد فی الـذكرى: المراد بالجهـة: السـمت الـذی يظن كون الكعبة فيه لا مطلق الجهة. ومراده بالسـمت هو ما يسامته المصـلی ويحاذيه عند توجهه اليه.

بينما يقول المحقق الثانی:.. والـذی ما زال يختلـج بخاطری: أن جهـة الكعبة هی المقدار الذی شأن البعيد أن يجوز على كلّ بعض منه أن يكون هو الكعبة، بحيث

---

۱- ۱ الجواهر.

۲- ۲ مهذب الأحكام ۵/ ۱۸۲.

ص: ۱۰۱

یقطع بعدم خروجها عن مجموعه، وهذا یختلف سعهً وضیقاً باختلاف البعد (۱).

وفی المقصود من الجهۀ وفی التفریق بین الاستقبال الهندسی الدقیّ والاستقبال العرفی، حیث إنّ الأول یتأثر بالبعد والقرب دون الثانی الذی لا یتأثر بذلک یقول السید الشهید الصدر رحمه الله: نفترض أن عدداً من الناس سبعۀ مثلًا وقفوا علی خط مستقیم فتشکلصفٌ طویل، فإذا وقفت أمامهم قریباً منهم ووجهک نحوهم، فهل تکون مستقبلًا ومقابلًا للصف بالکامل، أو للفرد الذی وقفت أمامه مباشرهً؟ من الواضح أن الثانی هو الصحیح. أما من وجهۀ النظر الهندسیۀ فلأنک لو مدّدت خطّین مستقیمین متقاطعین أحدهما بین یمینک وشمالک والثانی یقطع ذلک الخط علی نحو یشکل زاویتین قائمتین- فیکون الخطّان متقاطعین متعامدین- لو وضعت ذلک وامتد الخط الثانی من أمامک لالتقی بواحد معین فی ذلک الصف فقط، وهذا هو المقیاس فی الاستقبال الهندسی.

وأما من وجهۀ النظر العرفیۀ فواضح أیضاً لدی کلّ إنسان اعتیادی بحکم نظرته الساذجۀ وفهمه الفطری أنک إذا وقفت أمام الصف فی الوسط فأنت تستقبل الشخص الرابع من السبعۀ فقط دون الأول والأخیر.

ولنفرض أن الصف کان فی أرض منبسطۀ کالصحراء، وأنک ابتعدت عنه متقهقراً الی الخلف آلاف الأمتار ثم أردت أن تستقبل بوجهک أولئک المصطفین، ففی هذه الحالۀ اذا استعملنا المقیاس الهندسی نری أنک أیضاً لا تستقبل إلّاواحداً من السبعۀ المصطفین فقط، لو رسمنا خطاً مستقیماً من موضعک علی ما تقدم لالتقی فی امتداده بواحد منهم فقط، وهذا یعنی أن الاستقبال الهندسی لا یختلف فیه القرب والبعد.

وأما اذا لاحظنا الموقف من الوجهۀ العرفیۀ وبالنظرۀ الفطریۀ للإنسان الاعتیادی نجد أنک فی هذه الحالۀ تستقبل السبعۀ جمیعاً بوجهک؛ لأن الاستقبال کما یفهمه الإنسان الاعتیادی هو کون الشیء یبدو حیال وجهک وفی مقابله، ومن

---

۱- ۱ انظر جامع المقاصد ۲/ ۴۹.

ص: ۱۰۲

الواضح أن الصف بالكامل يبدو لك وأنت تستقبله من بعد- حيال وجهك- نتيجة تضائِله بسبب البصر، فإن تضائلَه يجعله يبدو أصغر حجماً، فكأنه لا يزيد عن مقدار وجه من يستقبله، وهذا يعنى أن الاستقبال العرفى يتأثر بالقرب والبعد، فما تستقبله عن بعد أوسع كثيراً مما تستقبله عن قرب، وكلما بعدت الجهة التى تريد أن تستقبلها فأنت تستقبل منها مساحة أوسع.

وعلى هذا الأساس اذا وقفت عن قرب أمام الشخص الرابع فى الصف المكون من سبعة فأنت مستقبل له خاصة، فإذا رجعت الى الخلف مسافة كبيرة فى خط مستقيم وجدت نفسك مستقبلًا للسبعة جميعاً، أى أن منطقة الاستقبال التى كانت مقصورة على الشخص الرابع اتسعت من الجانبين فشملت الصف كلّه. ويمكننا أن نؤكد بهذا الصدد أن اتساع منطقة الاستقبال من كلّ من الجانبين لا تقل عن خمس المسافة بينك وبين المنطقة التى تريد أن تستقبلها، فإذا كنتَ تبعد عن مكة ألف كيلومتر- وكان الصف المكون من سبعة وسط مكة مثلًا فأنت تستقبل على بعد ألف كيلومتر الصف المكون سبعة مضافاً إليه مساحة تمتد من كلّ من الجانبين مائتى كيلومتر، فيكون مجموع منطقة الاستقبال العرفى على هذا البعد أربعمائة كيلومتر، فإذا كانت الكعبة الشريفة واقعة ضمن هذه المنطقة والمساحة اعتبر ذلك استقبالًا عرفياً لها، ولو لم يمكن ايصال خط مستقيم من الناحية الهندسية بينك وبينها على النحو المتقدم، وهذه المساحة هى التى نطلق عليها اسم الجهة حين نقول: يجب على البعيد فيصلاته أن يستقبل جهة الكعبة.

قال السيد السند فى المدارك: ثم إن المستفاد من الأدلة الشرعية سهولة الخطب فى أمر القبلة والاكتفاء فى التوجه الى ما يصدق عليه عرفاً أنه جهة المسجد وناحيته..

كما أن البلاغى فى آلاء الرحمن يقول:.. ولا مانع من أن تسمى الكعبة مسجداً باعتبار أنها يسجد إليها. أو يقال: إن الآية نزلت فى السنة الثانية من

ص: ۱۰۳

الهجرة، فكان الخطاب بجعل الكعبة قبلة عامة ومتوجهاً لرسول اللَّهصلى الله عليه و آله ومَن معه من المسلمين وأهل المدينة وضواحيها فجرى التعبير بالمسجد الحرام، باعتبار سعة استقبالهم للكعبة باستقبال المواجهة وللاحترام والتعظيم مما يتحقق به ذلك عند الناس كما هو الظاهر من الآية، وأن استقبالهم للمسجد بهذا النحو يلزمه استقبال الكعبة بهذا النحو أيضاً وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره أى نحوه بالنحو المتقدم دون الاستقبال الهندسى؛ لأن تكليف النائين به حتى مثل أهل المدينة بل ما كان عن مكة بمرحلة مثلًا يستلزم التكليف بما لا يطاق، ولا شك فى أنه كلما بعد المستقبل اتسعت وجهة استقباله للكعبة بالمواجهة الاحترامية التعظيمية (۱).

فإذا عرفنا بعد هذا كلّه أن المقصود من المواجهة هى المواجهة العرفية لا المواجهة الدقّية.. فيمكننا حينئذٍ حلّ الروايات التى تقول كما عن الإمام أبى عبد اللَّه الصادق عليه السلام:

إن اللَّه تعالى جعل الكعبة قبلة لأهل المسجد، وجعل المسجد قبلة لأهل الحرم، وجعل الحرم قبلة لأهل الدنيا.

البيت قبلة المسجد، والمسجد قبلة مكة، ومكة قبلة الحرم، والحرم قبلة الدنيا.

وأنه بناءً على هذا التفسير للاستقبال يكون مضمون هذه الروايات مضموناًصحيحاً، فإنه من كان داخل المسجد ولقربه من الكعبة فلا يتمكن من مواجهتها عرفاً أيضاً إلّابمواجهة عينها، لكن مساحة المواجهة تكون ضيقة بخلاف من كان خارج المسجد فإن بمواجهته للمسجد الحرام قد واجه الكعبة وهكذا إذا ما ابتعد عن المسجد وصار خارجه أى فى الحرم يصدق بمواجهته للمسجد أنه واجه الكعبة، ومن نأى عن الحرم يصدق بمواجهته للحرم أنه قد واجه المسجد الحرام وبالتالى الكعبة.

---

۱- ۱ البلاغى- آلاء الرحمنص ۱۳۶.

ص: ۱۰۴

وأن من كان فی كوكب آخر فاذا ما أراد التوجه الی الكعبة فیمكنه ذلك بتوجهه الی الكرة الأرضیة، ویصدق علیه حینئذٍ- ونحن ما زلنا مع العرف- أنه مواجه للكعبة ومستقبل لها ویمكنه أداءصلاته باستقبالصحیح.

إذن المشكلة تحدث عندنا ویطول فیها الكلام والأخذ والرد إذا ما أدخلنا فی حساباتنا المسألة الدقیّة الهندسیة وجعلها محوراً فی تعاملنا مع هذه المسائل، التی هی مسائل عرفیة بعیدة حتی عن القضایا الشرعیة فضلًا عن المسائل الهندسیة ودقتها. وإن إدخال مثل هذه الأمور یعنی التعسیر علی الناس وبالتالی نبتعد عن «الشریعة السهلة السمحاء» وعن «یسروا علی الناس ولا تعسروا».

ومن هذا كلّه ظهر لناصحةصلاة الصف الطویل، لأن البعید فرضه هو الجهة، وإلّا إذا كان فرضه عین الكعبة لماصحتصلاة هذا الصف؛ لأن فیهم- قطعاً- من یخرج عن محاذاة العین التی لا تتجاوز ۲۵ ذراعاً. وكما قال فی المجموع (۱).. مع الاتفاق علیصحةصلاة الصف الطویل؛ لأنه تظهر فیه المسامتة والاستقبال مع طول المسافة.

وبهذا اندفع الإشكال أو التساؤل السابق.

المذاهب الاخری

فیما ذهب القرطبی فی جامعه الی أن شطر أی ناحیة المسجد الحرام یعنی الكعبة، ولا خلاف فی هذا. قیل: حیال البیت كلّه؛ عن ابن عباس. وقال ابن عمر:

حیال المیزاب من الكعبة؛ قال ابن عطیة، والمیزاب: هو قبلة المدینة وأهل الشام، وهناك قبلة أهل الأندلس.

قلت: قد روی ابن جریج عن عطاء عن ابن عباس أن رسول اللّهصلی الله علیه و آله قال:

«البیت قبلة لأهل المسجد، والمسجد قبلة لأهل الحرم، والحرم قبلة لأهل الأرض فی مشارقها ومغاربها من أمتی» (۲). انتهی.

وراح القرطبی یذكر أن لا خلاف بین العلماء أن الكعبة قبلة فی كلّ افق،

---

۱- ۱ المجموع ۳/ ۲۰۴.

۲- ۲ الجامع لاحكام القرآن للقرطبی ۲: ۱۵۹، فی تفسیر الآیة ۱۴۴ من سورة البقرة.

ص: ۱۰۵

وأجمعوا على أن من شاهدها وعاينها فرض عليه استقبالها، وأنه إن ترک استقبالها وهو معاين لها وعالم بجهتها فلاصلاة له، وعليه إعادة کل ماصلى، ذکره أبو عمر.

وأجمعوا أن کلّ من غاب عنها أن يستقبل ناحيتها وشطرها وتلقاءها، فإن خفيت عليه فعليه أن يستدل على ذلک بکلّ ما يمکنه من النجوم والرياح والجبال، وغير ذلک مما يمکن أن يستدل به على ناحيتها. ومن جلس فى المسجد الحرام فليکن وجهه الى الکعبة وينظر اليها إيماناً واحتساباً، فإنه يروى أن النظر الى الکعبة عبادة، قاله عطاء ومجاهد.

- کما يذکر القرطبى فى المسألة الرابعة من هذا البحث أنهم: اختلفوا هل فرض الغائب استقبال العين أو الجهة؛ فمنهم من قال بالأول.

ويذکر قول ابن العربى بتضعيف من قال باستقبال العين فرضاً للغائب. حيث قال ابن العربى: وهو ضعيف لأنه تکليف لما لا يصل إليه أو لما لا يوصل إليه. ومنهم من قال بالجهة- أى فرض الغائب الجهة- وهوصحيح لثلاثة أوجه:

الأول: أنه الممکن الذى يرتبط به التکليف.

الثانى: أنه المأمور به فى القرآن لقوله تعالى: فول وجهک شطر المسجد الحرام وحيث ما کنتم.. يعنى من الأرض من شرق أو غرب. فولوا وجوهکم شطره. فلا يلتفت الى غير ذلک.

الثالث: أن العلماء احتجوا بالصف الطويل الذى يعلم قطعاً أنه أضعاف عرض البيت. ويجب أن يعول على ما تقدم، فإن الصف الطويل إذا بعد عن البيت أو طال أو عرض أضعافاً مضاعفة لکان ممکناً أن يقابل جميع البيت (۱).

هذا فى مسألتى استقبال العين أو استقبال الجهة وأيهما هو فرض الغائب البعيد عن الکعبة.

إذن فالقبلة هى جهة الکعبة أو عين الکعبة، فمن کان مقيماً بمکة أو قريباً منها فإنصلاته لا تصح إلّاإذا استقبل عين الکعبة يقيناً ما دام ذلک ممکناً، فإذا لم يمکنه

---

۱- ۱ الجامع لاحکام القرآن للقرطبى ۲: ۱۶۰، أحکام القرآن لابن العربى ۱: ۶۴- ۶۵.

ص: ۱۰۶

ذلک، فإنّ علیه أن یجتهد فی الاتجاه الی عین الکعبة، إذ لا یکفیه الاتجاه الی جهتها ما دام بمکة، علی أنه یصح أن یستقبل هواءها المحاذی لها من أعلاها، أو من أسفلها، فإذا کان شخص بمکة علی جبل مرتفع عن الکعبة أو کان فی دار عالیة البناء، ولم یتیسر له استقبال عین الکعبة، فإنه یکفی أن یکون مستقبلًا لهوائها المتصل بها، ومثل ذلک ما إذا کان فی منحدر أسفل منها، فاستقبال هواء الکعبة المتصل بها من أعلا أو أسفل، کاستقبال بنائها عند الأئمة الثلاثة (أی الحنفی والشافعی والحنبلی)، وخالف المالکیة حیث قالوا: یجب علی من کان بمکة أو قریباً منها أن یستقبل القبلة؛ بناء الکعبة، بحیث یکون مسامتاً لها بجمیع بدنه، ولا یکفیه استقبال هوائها، علی أنهم قالوا: إن مَنصلی علی جبل أبی قبیس فصلاتهصحیحة، بناءً علی القول المرجوح من أن استقبال الهواء کافٍ (۱)...

أما من کان بعیداً عن مکة، فالشرط الذی فی حقه أن یستقبل الجهة التی فیها الکعبة، ولا یلزمه أن یستقبل عین الکعبة، بل یصح أن ینتقل عن عین الکعبة الی یمینها أو شمالها، ولا یضر الانحراف الیسیر عن نفس الجهة أیضاً؛ لأن الشرط هو أن یبقی جزء من سطح الوجه مقابلًا لجهة الکعبة، مثلًا إذا استقبل المصلی فی مصر الجهة الشرقیة بدون انحراف الی جهة الیمین، فإنه یکون مستقبلًا للقبلة؛ لأن القبلة فی مصر وإن کانت منحرفة الی جهة الیمین، ولکن ترک هذا الانحراف لا یضر؛ لأنه لا تزول به المقابلة بالکلیة؛ فالمدار علی استقبال جهة الکعبة أن یکون جزء من سطح الوجه مقابلًا لها، وهذا رأی ثلاثة من الأئمة (الحنفیة والمالکیة والحنبلیة) وخالفهم الشافعیة حیث قالوا: یجب علی من کان قریباً من الکعبة أو بعیداً عنها أن یستقبل عین الکعبة، أو هواءها المتصل بها کما فی أعلاه، ولکن یجب علی القریب أن یستقبل عینها أو هواءها یقیناً بأن یراها أو یلمسها أو نحو ذلک مما یفید الیقین، أما من کان بعیداً عنها فإنه یستقبل عینها ظناً لا جهتها علی المعتمد، ثم إن الانحراف الیسیر یبطل الصلاة إذا کان بالصدر بالنسبة للقائم والجالس، فلو

---

۱- ۱ انظر الفقه علی المذاهب الاربعة للجزیری، مباحث استقبال القبلة- تعریف القبلة:ص ۱۹۴.

ص: ۱۰۷

انحرف القائم أو الجالس فی الصلاة بصدره بطلت، أما إذا انحرف بوجهه فلا، والانحراف بالنسبة للمضطجع یبطل الصلاة إذا کان بالصدر أو بالوجه، وبالنسبة للمستلقی یبطل إذا انحرف بالوجه أو بباطن القدمین (۱).

حجر إسماعیل والقبلة:

فی العدد الخامس من مجلة میقات الحجص ۱۳۶ کانت لنا مقالة عن حجر إسماعیل، تطرقت فیها الی أن کون الحِجر- کلّه أو بعضه، لا- فقط حکماً بل موضوعاً أیضاً- من البیت، وقد مثّل واحداً من موقفین عند فقهاء الإمامیة، والثانی هو أن الحجر لیس من البیت موضوعاً بل حکماً وعلیه أکثر فقهاء الإمامیة، ولهذا ادخل فی الطواف فقط للنصوص المستفیضة فی ذلک ولسیرة الرسول وللإجماع-. لقد ذهب الی الرأی الأول کلٌّ منصاحب الدروس والعلّامة فی التذکرة وفی المنتهی.. (المشهور أنه من البیت) (عندنا أنّه من الکعبة). هذه الخلاصة لابدّ من مراجعة تفصیلها فی العدد المذکور أعلاه، قبل قراءة هذه الإضافة، التی تبین لنا إن کان من الکعبة وبالتالی یصحّ استقبال بعضه أو کلّه فی الصلاة وفی غیرها.. کما عن نهایة الأحکام: «یجوز أن یستقبله؛ لأنه کالکعبة عندنا..» وهذا لمن کان فی المسجد الحرام، لا- من کان خارج المسجد الحرام کالبعید أو النائی لأنّ کلًا من الکعبة والحِجر یعدّ شیئاً واحداً بالنسبة إلیه فالمطلوب منه استقبال الجهة.

إن الشیخ یوسف البحرانی ذکر فی حدائقه ۶: ۳۸۱ فی البحث السادس من بحوث القبلة أنه أی الشهید قال فی الذکری: ظاهر کلام الأصحاب أن الحجر من الکعبة بأسره، وقد دلّ علیه النقل أنه کان منها فی زمن إبراهیم وإسماعیل علیهما السلام الی أن بنت قریش الکعبة فأعوزتهم الآلآت، فاختصروها بحذفه، وکان کذلک فی عهد النبیصلی الله علیه و آله ونقل عنه الاهتمام بإدخاله فی بناء الکعبة، وبذلک احتج ابن الزبیر

---

۱- ۱ انظر الفقه علی المذاهب الأربعة للجزیری ۱/ ۱۹۵.

ص: ۱۰۸

حیث أدخله فیها، ثم أخرجه الحجاج بعده وردّه الی ما کان، ولأن الطواف یجب خارجه. وللعامة خلاف فی کونه من الکعبة بأجمعه أو بعضه أو لیس منها وفی الطواف خارجه. وبعض الأصحاب له فیه کلام أیضاً مع إجماعنا علی وجوب إدخاله فی الطواف، وإنما تظهر الفائدة فی جواز استقباله فی الصلاة بمجرده، فعلی القطع بأنه من الکعبة یصحّ، وإلّا امتنع؛ لأنه عدول من الیقین الی الظن. انتهی قولصاحب الذکری.

وهنا یقولصاحب الحدائق:... فلم نقف علیه فی أخبارنا، وبه اعترف جملة من علمائنا..

کما نقل عن التذکرة قولًا للعلامة یظهر فیه أن الحجر لیس کلّه من البیت بل جزءاً منه فیقول:... إلّاأن العلامة فی التذکرة نقل أن البیت کان لاصقاً بالأرض، وله بابان شرقی وغربی، فهدمه السیل قبل مبعث النبیصلی الله علیه و آله بعشر سنین، وأعادت قریش عمارته علی الهیئة التی هو علیها الیوم، وقصرت الأموال الطیبة والهدایا والنذور عن عمارته، فترکوا من جانب الحجر بعض البیت، وقطعوا الرکنین الشامیین من قواعد إبراهیم علیه السلام وضیقوا عرض الجدار من الرکن الأسود الی الشامی الذی یلیه، فبقی من الأساس شبه الدکان مرتفعاً وهو الذی یسمی بالشاذروان. انتهی.

وهنا یقول حول ذلک: وهو مع مخالفته للنصوص... إنما یدل علی جزء من الحجر لا مجموعه کما یستفاد من کلامه..

وذکر أیضاً قولصاحب الدروس: إن المشهور کونه من البیت، ثم قال بعد نقله هذا: ولا یخلو من غرابة.

ونقل فی المدارک عن العلّامة فی النهایة أنه جزم بجواز استقباله.

وهنا یقول: وهو أغرب؛ لما ورد فی النصوص من أنه لیس من البیت حتی إن فی بعضها: «ولا قلامة ظفر»...

ص: ۱۰۹

کما أن السید السبزواری فی مهذبه ذکر أدلته علی أن الحجر لیس من الکعبهٔ حقیقهٔ، مستعیناً بذلک بجملهٔ من الأخبار التی منها:.. لا ولا قلامهٔ ظفر.. حینما سئل علیه السلام الحجر أمن البیت..؟ وبالقرائن التی استفادها من الآیات والأخبار والتی منها:

اطلاق لفظ الکعبهٔ من زمان إبراهیم، بل من زمان بناء الملائکهٔ لها، وهی عبارهٔ عن المربع المکعب ولا یطلق علی المستطیل.

أنه یبعد عن مثل إسماعیل علیه السلام أن یدفن بناته فی جوف الکعبهٔ.

أنه لو کان من الکعبهٔ لا وجه لجعل فتحتین فیه من أول حدوثه، کما تشهد به التواریخ.

أنه لو کان منها لأشیر إلیه فی خبر من أخبار المعصومین، الذین هم أهل البیت، بل دلّت أخبارهم علیهم السلام علی أنه لیس من البیت.

أنه لم ینقل عن النبیصلی الله علیه و آله ولا عن أوصیائه ولا عن أحد من أصحابه أنهمصلّوا إلیه بحیث لم یکن متوجهاً الی البیت، فلو کان منها لِمَ لم یصلّوا إلیه ولم ینقل ذلک عنهم؟!

ثم واصل السید السبزواری کلامه بقوله:

نعم، نسب الی بعض العامهٔ أنّه منها، وأن النبیّصلی الله علیه و آله کان یهتم بإدخاله فی البیت، وعن بعضهم: أنّ فیه ستهٔ أذرع من البیت، کما عن عائشهٔ: «إنّی نذرتُ أن أصلّی رکعتین فی البیت، فقالصلی الله علیه و آله:صلِّ فی الحجر، فإنه فیه ستهٔ أذرع من البیت» (۱).

کما أنّ السید السبزواری عدّ ما نسبه الشهید فی الذکری الی أصحابنا أن الحجر من البیت، وعن العلّامهٔ فی المنتهی جواز الصلاهٔ فیه، عدّه باطلًا وقال فی تعلیل ذلک: لأنه اجتهاد فی مقابل قولصادق أهل البیت- الذی هو أدری بما فی البیت- منصحیح ابن عمار أنه لیس منه، ولا قلامهٔ ظفر. ثم قال: نعم إنه من

---

۱- ۱ المغنی ۳: ۳۸۲.

ص: ۱۱۰

البیت من حیث الـدخول فی الطواف بإجمـاعهم ونصوصـهم، ولاـ ملازمـة بین وجوب إدخاله فی الطواف، وکونه قبلـة. مع أنه لو کان لـدخوله فی البیت مدرکصـحیح حتی عند العامة؛ لاهتم خلفاء بنی أمیة وبنی العباس فی إدخاله فی البیت، فإنه من أجلّ آثارهم وأهم مفاخرهم خصوصاً بعـدما قیل من أنّ ابن الزبیر أدخله فی البیت وأخرجه الحجاج، ولم یعلم من التأریـخ معارضـة فقهاء العامـة لما فعله الحجاج.

ثم ختم کلامه بقوله: وبالجملـة: لم یبق فی البین ما یصح علیه لدخول شـیء منه فی البیت، وما تقدم من قول أبی عبد اللّه علیه السـلام وقوله علیه السـلام أیضـاً من أن: «الحجر مـدفن إسـماعیل وأمّه وبنـاته، حجّر علیه کراهـة أن یوطـأ». ظـاهر، بل نصّ فی الخروج وقرّره الشارع؛ لأن لإسـماعیل وأبیه خلیل الرحمن علیه السـلام کان حقّ بناء البیت وخدمته وسدانته، فیستحق أن یتفضل اللّه تعالی علیه بهذه الفضیلة العظمی، التی تبقی أمد الدهر (۱).

وما انتهی إلیه الشیخ حسن زاده آملی فی درسه ۷۴ حول حجر إسماعیل...

والمختـار أن الحجر مطلقـاً أعنی کلّاً أو بعضاً لیس من البیت، فالصـلاة مثلًا نحوه لیست بمجزیـة؛ وذلک لأن الأخبار الواردة فی المقام من أنه لیس من البیت مطلقاً أکثر عـدداً، وأصـحّ سـنداً وأوضـح دلالة من غیرها، وما دلت علی أنّه منه روایة واحدة مرویة عن عائشة، ونصوص أهـل البیت علیهم السـلام تخالفها. علی أن محققی العامـة أیضاً کما دریت ذهبوا إلی أنّ الشاذروان لیس من البیت. ودخول الحجر فی الطواف لا یدل علی أنه من البیت؛ وذلک لورود الأخبار الخاصة، وقیام الإجماع من المسلمین علی أنه داخل فی الطواف...

وفی بعض الرسائل الفقهیة: والشاهد علی أنه لیس من الکعبة ضیق محلّ الطواف من جانبه، وهو حسن جداً.

ثم راح یواصل کلامه بقوله: علی أن الصلاة نحو الحجر وحده تصحّ متی علم

---

۱- ۱ مهذب الأحکام ۵/ ۱۷۷.

ص: ۱۱۱

بأنه من البیت وإلّا فباطلة؛ لأنه عدول عن الیقین الی الظن، والذمة بها مشتغلة، وأنی یحصل القطع بأن الحجر من البیت، وقد ذهب جمٌ غفیر من الفریقین الی أنّه لیس منه، وقد دلت أیضاً نصوص أهل البیت علیهم السلام علی أنّه لیس منه حتی بمقدار قلامة ظفر؟! ثم ذکر بعض تلک الروایات ثم ذکر أخیراً ما ذکره العلامة بحر العلوم فی الدّرة:

وما من البیت مکان الحجر کلّا ولا قلامة من ظفر

فلا تصلّ نحوه وإن دخل کالبیت فی الطواف فی بعض العلل

وصلّ فیه الفرض مطلقاً بلا حجر وفی الکعبة منع قد جلا انتهی (۱).

إذن فالذی یذهب الی أن الحجر من البیت حقیقة جوّز الصلاة الیه وبالتالی توسعة مساحة القبلة عیناً أو بنیة وحتی جهة، أما الذی ذهب- وهو المشهور- الی أن الحجر من البیت حکماً لا حقیقةً فلم یتخذ منه قبلة.

أما عند المذاهب الأخری غیر الحنابلة فإن الحجر لیس من الکعبة ولا الشاذروان، فمن کان بمکة واستقبل الحجر أو الشاذروان فإنصلاته لا تصح، وقد خالف ذلک الحنابلة حیث قالوا: إن الشاذروان وستة أذرع من الحجر وبعض ذراع فوق ذلک من الکعبة، فمن استقبل شیئاً من ذلکصحتصلاته (۲).

مصلّی المعصوم:

من الوسائل التی یستطیع البعید الاستعانة بها علی تعیین القبلة أو جهتها مصلّی النبیّصلی الله علیه و آله والأئمّة الأطهار علیهم السلام فی البقاع التی تشرّفت بهم، وهو محلّ اتفاق الفقهاء، إلّاأنّ الخلاف وقع بین بعض علماء الإمامیة؛ فبعد أن اتفقت کلمتهم علی أن مصلّی النبیّصلی الله علیه و آله لا یمکن الشک فی کونه وضع فی الاتجاه الصحیح والدقیق للقبلة، وأنّه علی الکعبة وبمنزلتها بالضبط؛ لأنّه وضع بید معصوم وکان جبریل

---

۱- ۱ دروس معرفة الوقت والقبلة للشیخ حسن حسن زادة آملیص ۵۲۰- ۵۲۲.

۲- ۲ الفقه علی المذاهب الأربعة ۱/ ۱۹۵.

ص: ۱۱۲

معه، وفيه قالصلى الله عليه و آله: «محرابى على الميزاب» وقع الخلاف بينهم فى تلك الصحّة وهذه الدقّة بعدما تعرّض فى أزمنة مختلفة للتغييرات كالتهديم والتجديد، فأفقدته الصحّة وسلبت منه الدقّة، التى أضفتها عليه يد المعصوم ووجوده، وبالتالى لا يمكن أن يكون مصلى النبيّصلى الله عليه و آله ومصلى الإمام المعصوم عليه السلام أمارة تدلّنا على الاتجاه السليم للقبلة بعد أن لامسته يد التهديم والبناء، وهذا ما ذهب إليه بعضٌ كالشيخ المجلسى وتبعه فى ذلك الشيخ الأنصارى فى كتابه الصلاة (۱).

يقول العلّامة فى التذكرة بهذا الخصوص: المصلّى بالمدينة يجعل محراب رسول اللَّهصلى الله عليه و آله قبلته من غير اجتهاد؛ لعدم الخطإ فى حقّهصلى الله عليه و آله.

ويقول الشهيد فى الذكرى: لا اجتهاد فى محراب رسول اللَّهصلى الله عليه و آله فى جهة القبلة ولا فى التيامن والتياسر فإنّه منزل منزلة الكعبة، وروى أنّه لما أراد نصبه زويت له الأرض فجعله بإزاء الميزاب، ولأنّ النبيصلى الله عليه و آله معصوم لا يتصوّر منه الخطأ، وعند من جوّزه من العامة لا يقرّ عليه، فهوصواب قطعاً، فيستقبله معاينة، وتنصب المحاريب هناك عليه، وفى معنى المدينة كل موضع تواتر أن النبيصلى الله عليه و آلهصلّى فيه إلى جهة معيّنة مضبوطة الآن، وكذا لا اجتهاد فى المسجد الأعظم بالكوفة فى التيامن والتياسر، مثل ما قلناه فى مسجد النبيصلى الله عليه و آله لوجوب عصمة الإمام كالنبيصلى الله عليه و آله وقد نصبه أمير المؤمنين وصلّى إليه هو والحسن والحسين عليهم السلام.

وأمّا محراب مسجد البصرة فنصبه عقبة بن غزوان فهو كسائر محاريب الإسلام، وربّما قيل بمساواته مسجد الكوفة؛ لأنّ أمير المؤمنين عليه السلامصلّى فيه وجمع من الصحابة، فكما لا اجتهاد فى مسجد الكوفة فكذا فى مسجد البصرة، وأمّا مسجد المدائن فصلّى فيه الحسن عليه السلام فإن كان المحراب مضبوطاً فكذلك، وبمشهد سر من رأى مسجد منسوب إلى الهادى عليه السلام فلا اجتهاد فى قبلته أيضاً إن كانت مضبوطة.

ولو تخيّل الماهر فى أدلّة القبلة تيامناً وتياسراً فى محراب رسول اللَّهصلى الله عليه و آله

---

۱- ۱ انظر دروس معرفة الوقت والقبلة للشيخ حسن زاده آملى: ۳۷۸.

ص: ۱۱۳

ومحراب أمير المؤمنين عليه السلام فخياله باطل لا يجوز له ولا لغيره العمل به (۱).

وأمّا السمهودى وهو من العامّة فيقول: والذى ذكره أصحابنا أنّه لا يجتهد فى محراب النبيّصلى الله عليه و آله لأنّهصواب قطعاً إذ لا يقرّ على خطإ، فلا مجال للاجتهاد فيه حتى لا يجتهد فى اليمنة واليسرة بخلاف محاريب المسلمين، سيما وقد تقدّم أنّه وضعه وجبرئيل يؤم به البيت، والمراد بمحرابهصلى الله عليه و آله مكان مصلّاه، فإنّه لم يكن فى زمنهصلى الله عليه و آله محراب (۲).

وقد ذكر الجزيرى: ومن كان بمدينة النبيصلى الله عليه و آله، فإنّه يجب عليه أن يتّجه إلى نفس محراب المسجد النبوى، وذلك لأنّ استقبال عين محراب مسجد النبيصلى الله عليه و آله هو استقبالٌ لعين الكعبة؛ لأنّه وضع بالوحى، فكان مسامتاً لعين الكعبة بدون انحراف (۳).

أمّا ما ذهب إليه العلّامة المجلسى: وما ذكره أصحابنا من أن محراب مسجد الكوفة محراب المعصوم لا يجوز الانحراف عنه إنّما يثبت إذا علم أن الإمام بناه- ومعلوم أنّه لم يبنه- أوصلّى فيه من غير انحراف عنه وهو أيضاً غير ثابت، بل ظهر من بعض ما سنح لنا من الآثار القديمة عند تعمير المسجد فى زماننا ما يدل على خلافه.. مع أن الظاهر من بعض الأخبار أن هذا البناء غير البناء الذى كان فى زمن أمير المؤمنين عليه السلام بل ظهر لى من بعض الأخبار والقرائن أن محراب مسجد النبيصلى الله عليه و آله بالمدينة أيضاً قد غيّر عمّا كان فى زمانه؛ لأنّه على ما شاهدنا فى هذا الزمان موافق لخط نصف النهار وهو مخالف للقواعد الرياضية من انحراف قبلة المدينة إلى اليسار قريباً من ثلاثين درجة ومخالف لما رواه الخاصّة والعامّة من أنّهصلى الله عليه و آله زويت له الأرض ورأى الكعبة فجعله بإزاء الميزاب (۴).

فإنّ من وقف بحذاء الميزاب يصير القطب الشمالى محاذياً لمنكبه الأيسر، ومخالف لبناء بيت رسول اللّهصلى الله عليه و آله الذى دفن فيه. مع أن الظاهر أن بناء البيت كان موافقاً لبناء المسجد وبناء البيت أوفق بالقواعد من المحراب، وأيضاً مخالف لمسجد قبا ومسجد الشجرة وغيرهما من المساجد التى بناها النبيّصلى الله عليه و آله أوصلّى فيها. ولذا

---

۱- ۱ الذكرى، القبلة.

۲- ۲ وفاء الوفاء ۱/ ۲۷۳.

۳- ۳ الفقه على المذاهب الأربعة ۱/ ۱۹۴- ۱۹۵ للجزيرى.

۴- ۴ تاريخ المدينة للسمهودى ۱/ ۲۶۱ والدرة الثمينة ۳۵۷.

ص: ۱۱۴

حمل بعض الأفاضل ممّن كان فی عصرنا حدیث المفضّل وأمثاله علی مسجد المدینة، وقال: لما كانت الجهة وسیعة وكان الأفضل بناء المحراب علی وسط الجهات إلّاأن تعارضه مصلحة لمسجد المدینة حیث بنی محرابه علی خط نصف النهار لسهولة استعلام الاوقات مع أن وسط الجهات فیه منحرف نحو الیسار فكذا حكموا باستحباب التیاسر فیه لیحاذی المصلّی وسط الجهة المتسعة.

ویقول فی موضع آخر:.. وأغرب من جمیع ذلك أن مسجد الرسولصلی الله علیه و آله محرابه علی خط نصف النهار مع أنّه أظهر المحاریب انتساباً إلی المعصوم، وهو مخالف للقواعد لانحراف قبلة المدینة عن یسار نصف النهار أی من نقطة الجنوب إلی المشرق بسبع وثلاثین درجة. وأیضاً مخالفاً لما هو المشهور من النبیصلی الله علیه و آله قال:

محرابی علی المیزاب.

ومن یقف فی المسجد الحرام بإزاء المیزاب یقع الجدی خلف منكبه الأیسر بل قریباً من رأس المنكب، وكنت متحیّراً فی ذلك حتی تأمّلتُ فی عمارة روضة النبیصلی الله علیه و آله التی حول قبره الشریف فوجدتها منحرفة ذات الیسار كثیراً، وإن لم یكن بهذا المقدار، وظاهر أن البیوت كانت مبنیة بعد المسجد علی وفقها، فظهر أن محراب المسجد أیضاً ممّا حرّف فی زمن سلاطین الجور. ویؤیّده أن محراب مسجد قبا ومسجد الشجرة، وأكثر المساجد القدیمة التی رأیتها فی المدینة وبین الحرمین، إمّا موافقة للقواعد أو قریبة منها مع أن النبیّصلی الله علیه و آله والأئمّة علیهم السلامصلّوا فیها واللّه یعلم.

وهنا یقول الشیخ حسن زاده آملی فی درسه ۵۶ وبعد أن یصف ما ذهب إلیه العلّامة والسمهودی وغیرهما: من أن المصلّی بالمدینة یجعل محراب رسول اللّهصلی الله علیه و آله قبلته من غیر اجتهاد لعدم الخطإ فی حقّهصلی الله علیه و آله یصفه بأنّه كلام فی غایة الاستواء ونهایة المتانة؛ لعدم تحوّله عمّا بناه رسول اللّهصلی الله علیه و آله. فیقول: وما ذهب إلیه بعض المتأخّرین حیث قال: «ومنها المحاریب التی علم بصلاة المعصوم فیها كمحراب مسجد المدینة والكوفة والبصرة والمدائن، ولكن العلم بكون المحاریب

ص: ۱۱۵

الموجودة الآن هی التیصلّی فیها المعصومون علیهم السلام بعید بل معدوم العدم وذلک للتغییرات الفاحشة فی تلک المساجد من جهة التخریب والتعمیر والتوسعة والتضییق کما لایخفی فهذه العلامة لیست متحقّقة فی هذه الأزمنة». فهو فی قبلة المدینة خاصة بعید عنصوب الصواب جدّاً...

ولا یخفی علیک أن تعمیر مسجد النبی وتوسعته أو تضییقه لا توجب تغییر المحراب الذیصلّی فیه رسول اللّهصلی الله علیه و آله بل المسلمون فضلًا عن مؤمنیهم یراقبون فی حفظه علی ما کان تبرکاً منهم بذلک، وأی غرض یتعلّق فی ذلک للمخالف أن یغیّر المحراب مع اهتمام المسلمین طرّاً بذلک بل عدم التغییر معلوم، ومن أین ثبت ونقل أن تغیّر المحراب بالتعمیر فضلًا عن أن یکون خامشاً؟ وبالجملة لا یساعد هذا القول دلیلٌ بل کما قلنا عدم التغییر معلوم....

ثم بعد ذلک ینتقل إلی قول المجلسی وهو مخالف للقواعد... فیقول فیه: تلک القواعد هی المستفادة من الأرصاد والآلات المبنیة علی ما ذهب إلیه القدماء، ولا یخفی علی البصیر فی الفن أنّه قد وقع للقدماء فی تعیین أطوال البلاد وعروضها خبط عظیم، وإن کان الخبط فی الطول أشدّ وأکثر....

ثم ان احتمال تحریف قبلة المدینة من سلاطین الجور ضعیف غایة الضعف؛ لأنّهم کانوا متظاهرین بحفظ الدین وآثار النبیّ وشعائر الإسلام، مع عنایة قاطبة المسلمین إلی حفظ ما بقی من الرسول وبنی تبرّکاً منهم بذلک، وإن کان هؤلاء السلاطین یردّون الناس علی أعقابهم القهقری.

ثمّ ینتهی فی ردّه الی القول: والصواب أن یجعل محرابهصلی الله علیه و آله أصلًا فإن طابقته قواعد الهیئة وما استنبطت من الآلات الرصدیّة وغیرها، کما فی القانون المسعودی، وإلّا فقد حصل خلل فی عمل أرباب الأزیاج وأصحاب الأرصاد لا فی فعل النبیصلی الله علیه و آله کما فعله غیر واحد من مهرة الفن من القدماء (۱).

---

۱- ۱ دروس معرفة الوقت والقبلةص ۳۷۶- ۳۷۹ وتحوی علی تفاصیل أکثر.

ص: ۱۱۶

الهوامش:

# من رحلات الحج الإيرانية (٢)

ص: ۱۱۸

من رحلات الحج الإيرانية (۲)

رحلة ناصر خسرو

۳۹۴- ۴۸۱ ه. ق

حسن الإسلامی

«كنت فی جوزجانان أحتسی الخمر، حتی رأيت فی المنام أحداً يهتف بی قائلًا: (حتام تحتسی شراباً يُذهب بالعقول؟ أما كان أجدر بك أن تُبقی علی وعيك؟... عليك بطلب ما يزيد فی عقلك وفهمك). فأجبتُ: وأنّی لی بهذا؟ قال:

(مَن جدّ وجد) ثم أشار الی جهة القبلة ولم يعقّب». ناصر خسرو.

ناصر خسرو

رجلٌ يعمل فی الديوان، سعيد الحظّ، ينعم بالمال والجاه والراحة، بعد أن اجتاز أواسط العمر، ونزل فی منحدر الموت. فجأة، تملّكه إحساس الملالة والعبث، فراح ينظر الی عُمُره الذی خلّفه وراءَه فلا يری إلّافناءً وخواءً. تخلّی عن عمله يائساً، وركن الی زاوية- ومن أجل الهروب من الواقع- انغمس فی احتساء الشراب؛ ليرسل عقله فی خيال بعيد، واستمرّ علی هذا الحال شهراً واحداً، حتی رأی فی منامه حُلُماً قَلَب حياته رأساً علی عقب. يقول ناصر خسرو: ذات ليلة، رأيت أحداً فی منامی يقول لی: «حتام تحتسی شراباً يُذهب بالعقول؟ أما كان

ص: ۱۱۹

أجدر بک أن تُبقی علی وعیک؟..» فأجبته: «لم یصنع الحکماء شیئاً یُذهب بهمِّ الدنیا غیر هذا». فقال: «لا راحهٔ فی اللاوعی، والحکیم لا یهدی الناس الی ما یُذهب بعقولهم، علیک بطلب ما یزید فی عقلک وفهمک». فأجبته: «وأنّی لی بهذا؟» قال: «من جدّ وجد» ثم أشار الی جههٔ القبلهٔ ولم یعقّب (۱).

بهذا الحُلُم وبهذا الحدیث انقطع ناصر خسرو عن ماضیه دفعهً واحدهً، وارتبط بمستقبل مشرق، وبُعِث من جدید، وراح یحدث نفسه: «استیقظتُ من حُلُم الأمس، وآن لی أن استیقظ من حُلُم الأربعین سنهٔ کذلک» (۲) وفعلًا جدّ واجتهد حتی بدّل أعماله وأفعاله کلّها، ووصل إلی الفرج بعد الشدّهٔ.

وعلی هذا الأساس، وضع عنه متعلّقاته، وعزم علی السفر الی مکّهٔ المکرّمهٔ برفقهٔ شقیقه الأصغر وبرفقهٔ مملوکه، فوصل إلیها عن طریق مصر. وقد حَجّ أربع مرات. وفی الختام أنهی سبع سنوات من السفر ثم عاد أدراجه؛ لیکتب لنا مذکّراته عن هذه الرحلهٔ، ویترک إرثاً یُخلّد ذکره.

حیاته:

ولد ناصر عام ۳۹۴ ه. ق فی بلدهٔ قبادیان بلخ، وتشرّب من علوم ومعارف عصره، وحفظ القرآن، وقرأ الملل والنِحل، وکان له نصیبٌ فی تعلّم الرسم، وأحیاناً کان یرتزق منه.

فی سنوات شبابه، وجد طریقه الی بلاط الأمراء، حیث حضر فی بلاطی الأمیر محمود والأمیر مسعود الغزنوی، وکان حتی سنّ الثالثهٔ والأربعین، یعمل فی الدیوان وفی التدریس، وفی هذه المرحلهٔ تفجّرت فی داخله ثورهٔ معنویهٔ، فعزم علی الرحیل الی مصر، وتعرّف علی الفاطمیین هناک، واعتنق مذهبهم، وأقام هناک ما یقارب ثلاثهٔ أعوام، وعند انتهاء الرحلهٔ، رجع بلقب حجّهٔ إقلیم خراسان، وکمبلّغ عنهم.

ومنذ ذلک الحین، کان فی اختفاء وهروب دائمین، حتی التجأ مُرغماً إلی یمگان

---

۱- ۱ رحلهٔ ناصر خسرو القبادیانی المروزی، تحقیق نادر وزین پور، طهران، کتابهای جیبی، ۱۳۷۰،ص ۲.

۲- ۲ رحلهٔ ناصر خسرو القبادیانی المروزی، تحقیق نادر وزین پور، طهران، کتابهای جیبی، ۱۳۷۰،ص ۲.

ص: ۱۲۰

إحدى ضواحى بدخشان، وقضى حياته هناك وحيداً ومنعزلًا حتى أغمض عينيه عن هذا العالم فى عام ۴۸۱ ه. (۱).

بعد عودته الى خراسان، كان ناصر قد نذر نفسه لمذهبه الجديد ولم يتوان عن خدمته وتبليغه لحظة واحدة، وقد استعان بقوة شعره وقلمه فى هذا الطريق.

مؤلّفاته:

دافع ناصر المتشرّب بعلوم عصره، وبطبعه الشاعرى وعقله الاستدلالى، وتجربته ذات السنوات السبع، بلا هوادة عن عقيدته الجديدة، وكتب مؤلّفات فى تأييد المذهب الإسماعيلى.

مؤلّفات ناصر، التى اصطبغت بصبغة باطنية، هى محاولة لتفسير نظريات الإسماعيلية والباطنية على أساس عصره. ويغالى ناصر كثيراً فى هذا المسير إلى الدرجة التى يتجاهل فيها مسلّمات العقل، ويدافع فيها عن التحجّر الطائفى، حتى إنّه ذهب إلى تكفير من لم يكن باطنياً. فى حين أنّ مؤلّفاته، عموماً، تنحى منحىً منطقياً. ومجمل هذه المؤلفات هى:

ديوان أشعاره، خوان الأخوان، زاد المسافرين، وجه الدين، الخلاص والنجاة، والرحلة.

الرحلة:

المؤلّف الوحيد الذى لا يحمل مسحة باطنية، هو رحلة الحج، حتى إنّ بعضاً يعتقد أنّه أثناء كتابته لهذه الرحلة، لم يكن يحمل أدنى ميل لهذا المذهب (۲). بعد عودته من السفر، جمع ناصر مذكّراته، ونظّم رحلته المذكورة بحيادية محيّرة، وبشكلٍ أصبحت فيه من أرقى نماذج تسجيل المشاهدات وتصويرها.

فى هذه الرحلة، يشرع ناصر من عمله وسبب تركه له، وحُلُمِهِ الذى أقضّ مضجعه، والطريق الذى سلكه، والمدن التى شاهدها، والحكايات التى

---

۱- ۱ وصف ناصر حالته مع أعدائه فى قصيدة طويلة، وللحصول على تفصيل أكثر حول هذه القصيدة، راجع كتاب: چشمه روشن أى النبع المضىء، لقاء مع الشعراء، لغلامحسين يوسفى طهران، علمى، ۱۳۶۹ص ۸۹- ۷۹.

۲- ۲ «ره آورد سفر» هدية السفر، مقتطفات من رحلة ناصر خسرو، تصحيح وتوضيح السيد دبيرسياقى طهران، سخن، ۱۳۷۰ص ۱۹.

ص: ۱۲۱

سمعها، كلّ ذلك يشرحه بالتفصيل، وينهى رحلته بشرح عودته منها إلى بلخ فى عام ۴۴۴ ه. ق.

خصوصيّات هذه الرحلة:

حاول ناصر فى هذا الكتاب عدم الابتعاد عن جادّة الصواب، وأن يوضّح الحقائق بعيداً عن أهوائه فكانت النتيجة، أن أصبح كتابه موضع ترحيب العام والخاص؛ للأسباب التالية:

۱- الصدق والإخلاص فى عرض الحقائق، حتى على نفسه.

فى بداية رحلته، يتحدّث عن شربه الخمر لمدة شهر واحد. ويُلقى على مسامعنا هذا الدرس للنبيّ الأكرمصلى الله عليه و آله «قولوا الحقَّ ولو على أنفسكم» (۱).

۲- مراعاة الاختصار والإيجاز؛ والابتعاد عن الحشو والزيادة.

يلخّص ناصر لنا مشاهداته ومسموعاته فى سبع سنوات من رحلته فى ۱۲۵صفحة فقط، وهذه دلالة على براعة المؤلف بالاستعمال المناسب للكلمات.

۳- المشاهدة الدقيقة، ووصف وتصوير ما رأى.

فهو لا يمرّ على الأشياء مرّ الكرام، بل يعطى العين والأذن حقّهما، ويصف مشاهداته بشكل نعتقد معه أننا نحن الذين ننقل مشاهداتنا.

يقول أحد أصحاب الرأى السديد فى هذا المجال:

«من قرأ فى هذا الكتاب بدقّة وصفه مكّة المكرّمة، والكعبة المشرّفة ومناسك الحجّ، وتُتاح له زيارةُ بيت اللَّه الحرام، يرى أنه بالرغم من ألف عام تفصلنا عنه، غير متخلف فى أداء مناسك الحج عن أولئك الذين حظوا بشرف أدائها فى ذلك الوقت» (۲).

وهنا يضع ناصر معلومات جمّة بين يدى القارئ، فهو يُطلعه على جغرافية المدن، والفن المعمارى، والتقاليد الدينية والاجتماعية والمنظمات الإدارية، وعادات الناس، وحتى مسألة الماء ومعدّل الاستفادة منه.

---

۱- ۱ الرحلة،ص ۲.

۲- ۲ رحلة الحكيم ناصر خسرو القبادياني المروزى، تحقيق السيد محمد دبيرسياقى طهران، زوار، ۱۳۵۶ص ۳۹.

ص: ۱۲۲

۴- النثر البسيط وبلا تكلّف:

فى هـذا الحقل، ينظر ناصـر إلى اللغـة المكتوبـة باعتبارها وسـيلة اتصال ونقل المعلومات، ومن هـذا المنطلق فهو قلّما يقع فريسـة للّعب بالألفاظ، كما أنه يبتعد عن الشوائب الأدبية، وبالرغم من أنّه أديب وكاتب، إلّاأنّ هذه الأشياء لم تكن عقبات فى طريق عمله. وهذا ما يُفسّـر لنـا أنّه وبعـد مضـى ألف عام لا يزال كتابُه مفهوماً ومشوّقاً. وما نراه فى الكتاب- أحياناً- مانعاً لعمله من كلمات أو عباراتصـعبة؛ فذلك لتباعد الزمان ليس إلّا؛ لأن هذه الكلمات أو العبارات هى بالحقيقة، كانت متداولة تماماً، زمان تأليف الكتاب.

۵- الأمانة فى نقل المواضيع:

إن ناصر خسرو مع كونه مسلماً ملتزماً، إلّاأنّه لا يسمح لآرائه أن تتدخّل فى نقل مشاهداته ومسموعاته، أى حسب ما يُصطلح عليه اليوم (الأمانة فى النقل)، هذه الميزة جعلت الكتاب مشوّقاً ومرغوباً فيه حتى من قبل من يخالفون ناصر خسرو فى العقيدة.

إن الخصوصيّات أعلاه- علاوة على موضوع الكتاب وعوامل اخرى- أوجبت طبعه مرّات عدّة، وترجمته، وجعلته موضع عناية المحقّقين.

طبع هذا الكتاب، حتى الآن، بشكل كامل، ومنتخب ومحقّق، ونُشرت منه نسخ باللغات العربية والتركية والفرنسية والانگليزية (۱).

وننقل منه هنا فقرات تتعلّق بالحج:

رحلة الحجّ الأولى:

(وذهبتُ الى مرو، وطلبتُ إعفائى من عملى، وقلتُ: إنى عازم على السفر الى القبلة (الحج)، وعليه فقد سدّدت حساباتى، وتركتُ من دُنياى ما أملك، إلّا القليل الضرورى.

فقد رحلتُ من هناك (مشهد الخليل فى قرية حبرون) قادماً إلى بيت

---

۱ - ۱ لأجل الحصول على معلومات أكثر حول طبعات هذه الكتب، اقرأ: تحليل رحلة ناصر خسرو لجعفر الشعار طهران، قطره، ۱۳۷۱ص ۲۸.

ص: ۱۲۳

المقـدس، وانطلقنا من بيت المقـدس مع مجموعـة كانت عازمـة على السـفر إلى الحجاز مشـياً على الأقدام. لقد كان دليلُنا رجلًا جَلداً، مترجّلًا وطَلِق الوجه. وكان يسـمى «أبو بكر الهمـدانى». وتركتُ بيت المقدس فى النصف من ذى القعدة سـنة ۴۳۸ ه، وبعد ثلاثة أيام، وصـلنا الى منطقـة يُقال لها (ارعز) وكانت تحتوى على جداول ماءٍ وأشـجار. ووصـلنا إلى منزل آخر يُدعى (وادى القرى) ومن هناك انطلقنا الى منزل آخر، حيث وصـلنا بعـد عشـرة أيام الى مكّة المكرّمة. وفى ذلك العام، لم تكن قد وصـلت قافلة من أى مكان، وكان يصعب الحصول على الطعام، وبعد ذلك نزلنا فى سكّة العطارين أمام باب النبىّ عليه السلام.

ويوم الاثنين كنّا على عرفات. وكان الناس يهابون العرب كثيراً، وعنـد العودة من عرفات، مكثتُ فى مكّة يومين، وسـلكتُ طريق الشام عائداً الى بيت المقدس. ووصلنا إلى القدس فى الخامس من شهر محرّم سنة تسع وثلاثين وأربعمائة هلالية.

لم آت هنا على شرح مكّة المكرّمة والحج، حتى أصل إلى بيان رحلة الحج الرابعة واستفيض بالشرح.

بعد بيت المقدس، عزمت على ركوب البحر، متوجّهاً إلى مصر، ومن ثمّ من هناك إلى مكّة المكرّمة.

رحلة الحجّ الثانية:

فى سـنة تسع وثلاـثين وأربعمائـة هجريـة تُلىَ حُكم السـلطان على النـاس من أنّ أمير المؤمنين يقول: «لاصـلاح من سـفر الحجاج إلى الحجاز هذا العام؛ لأن القحط والجوع قد ضرب تلك البلاد، وأنّ خلقاً كثيراً قضوا نحبهم، وإنّى لأقول هذا من باب الشفقة الإسلامية». وانصرف الحجاج عن عزمهم. وعلى ما هو معهود، فإن السلطان كان يبعث بحلّة الكعبة- كل عام مرتين- ولمّا كانت النية هذا العام فى إرسالها عن طريق بحر القُلزم، فقد رافقتهم فى ذلك.

ص: ۱۲۴

غادرت بلاد مصر فی غرّة شهر ذی القعدة، ووصلتُ القلزم فی العشرین منه، ومن هناک رکبنا السفینة، وبعد مضی ۱۵ یوماً وصلنا إلی منطقة یُقال لها (جار)، وکان ذلک فی الثانی والعشرین من نفس الشهر، وبعد أربعة أیام کنّا فی مدینة رسول اللّهصلی الله علیه و آله.

المدینة:

مدینة الرسول- علیه السلام- بلدة تقع علی أطراف الصحراء، وأرضها رطبة ومالحة، وتجری المیاه فیها ولکن بشحّة، وبساتین النخیل تغطّیها. وهناک تکون القبلة باتجاه الجنوب. ومسجد رسول اللّه- علیه الصلاة والسلام- یوازی المسجد الحرام فی مساحته. وحجرة رسول اللّه- علیه السلام- جنب منبر المسجد. فعندما تستقبل القبلة تکون إلی الیسار، وحینما یرید الخطیب ذکر النبیّ- علیه السلام- والصلاة علیه من علی المنبر، یُدیر بوجهه إلی الیمین، ویشیر إلی قبره. وهذه المقبرة عبارة عن بیت خماسی الأضلاع، وقد ارتفعت جدرانها من بین أعمدة المسجد وعددها خمسة، وقد علت جدرانها واقیة تمنع الدخول إلیها، وقد وُضع فی ساحتها مصیدة تمنع تردّد الطیر هناک.

وبین القبر والمنبر حجرة أیضاً بُنیت من الرخام شبیهة بالعتبة، تسمی الروضة، ویُقال: إنّها بستان من بساتین الجنة. کما جاء فی حدیث رسول اللّه- علیه السلام- حیث قال: «بین قبری ومنبری روضة من ریاض الجنة» وتقول الشیعة فی هذا: هناک حیث قبر فاطمة الزهراء علیها السلام.

وللمسجد بابٌ. وخارج البلدة، نحو الشمالصحراء، وفیها مقبرة تضم قبر حمزة بن عبدالمطلب رضی الله عنه، وهذا الموضع یسمی بقبور الشهداء.

واستمرّت إقامتنا فی المدینة یومین، ورحلنا عنها لضیق الوقت، حیث سلکنا طریق المشرق، وعلی مسافة منزلین من المدینة کان هناک جبل ومضائق عدیدة کمضیق (الجحفة) وهو میقات أهل المغرب والشام ومصر، والمیقات هو

ص: ۱۲۵

ذلک الموضع الذی یُحرم فیه الحجیج. ویُحکی أنه فی إحدی السنین نزل بها حجاج کثیرون، وفجأة غمرهم سیلٌ عرم آبادهم عن آخرهم، ولهذا السبب سُمّی ب (الجُحفة). إن بین مکّة المکرّمة والمدینة مائة فرسخ، وهو طریق حجری، وقد قطعناه فی ثمانیة أیام.

مکّة:

وصلنا مکة، یوم الأحد، السادس من ذی الحجة، ونزلنا بباب الصفا، وکان عام قحطٍ علی مکّة، حیث بلغ سعر کلّ أربعة أرغفة من الخبز دیناراً نیشابوریاً واحداً، وکان المقیمون بمکّة یرحلون عنها، ولم یرد أی حاج من أی جهة. وقد أدّینا مراسم الحج علی عرفات یوم الأربعاء، بفضلٍ من الباری- سبحانه وتعالی- ثم أقمنا بمکّة یومین، وکان خلقٌ کثیرٌ یهرب من الحجاز، ویهیم بوجهه فی کلّصوب بسبب الجوع وقلّة الحیلة. ولن آتی علی شرح الحج ووصف مکّة فی هذه المرة، بل أدع ذلک إلی المرّة القادمة عندما أصل إلیها. حیث المرّة القادمة جاورتها ستة أشهر وما رأته عیناى کتبته یداى.

رحلة الحجّ الثالثة:

ومرّة اخری فی رجب سنة أربعین وأربعمائة هجریة، تُلی حُکم السلطان علی الخلق وقد جاء فیه: «ضرب القحط الحجاز، ولا نریصلاحاً فی سفر الحجیج، فهم معذورون، وعلیهم بأداء ما أمرهم اللّه تعالی به».

وفی ذلک العام أیضاً لم یسافر الحجاج. وقد بعث السلطان بهدایاه السنویة المتکونة من حُلّة الکعبة، والخدم والحاشیة لأمراء مکّة والمدینة، وصلة أمیر مکّة وراتبه الشهری حیث کان ثلاثة آلاف دینار شهریاً وحصاناً وخِلعة، بعث کلّ ذلک ولکن علی دفعتین، ولم یکن قد أخّرها عن قصور أو احتباس.

فی هذا العام، کان هناک شخص یُدعی القاضی عبداللّه، کان یقضی فی الشام، وقد أسندوا إلیه حمل تلک الهدایا، وقد رافقته إلی طریق القلزم، ووصلت السفینة

ص: ۱۲۶

هـذه المرّة إلى (جـار) فى الخامس والعشـرين من ذى القعـدة، وكان الوقت يمضـى بسـرعة. وثمن البعير قـد وصل إلى خمسـة دنانير، فذهبتُ بعجلة.

وصلت مكّة فى الثامن من شهر ذى الحجة وأديتُ مناسك الحج بتأييد من الحقّ- سبحانه وتعالى-.

ولمّا أنهيتُ مناسك الحج، عدتُ أدراجى إلى مصر، حيث كان لى هناك بعض الكتب، ولم تكن لى نية العودة.

رحلة الحج الرابعة:

والآن، أسردُ لكم قصة رجوعى إلى البيت الحرام، فى مكة- حرسها اللّه تعالى من الآفات- من مصر.

فقدصـلّيتُ فى القاهرةصـلاة العيد، وركبتُ السـفينة انطلاقاً من مصـر، حيث جرت نحو الصـعيد الأعلى، وذلك يوم الثلاثاء المصادف للرابع عشر من شهر ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة هجرية.

جدّة:

وهى مدينة كبيرة، ولها قلعةٌ حصينة على شاطئ البحر، وفيها خمسة آلاف رجل، يحدّها البحر من الشمال، وتضمّ أسواقاً جميلة. واتجاه قبلة مسـجد الجمعة نحو المشـرق، ولا توجد أى عمارة خارج المدينة إلّاالمسـجد المعروف بمسجد رسول اللّه- عليه الصلاة والسلام- وبوابتا المدينة، الأولى باتجاه المشرق، التى تواجه مكّة، والثانية باتجاه الغرب، وهى تقابل البحر. والمسافة من هناك إلى مكّة اثنا عشر فرسـخاً. وكان أمير جـدّة عبـداً لأمير مكّـة، وكان يُلقّب بتاج المعالى بن أبى الفتوح، وكان أمير المدينـة أيضاً كذلك. وقد نزلتُ عند أمير جـدّة، وكان بى حفيّاً، وقـد أعفانى من دفع الضـريبة التى اسـتحقت علىّ، وعند خروجى من بوابة مسـلم إلى مكّة كتب أمير جدة يقول: «إنّ هذا رجل عالم، فلا تأخذوا منه شيئاً».

رحلنا عن جدّة يوم الجمعة وبعدصلاة العصر، ووصلنا إلى باب مدينة

ص: ۱۲۷

مكّة، يوم الأحد، سلخ جمادى الآخرة. وكان فيها خلقٌ كثير جاؤوا من نواحى الحجاز واليمن؛ ليحضروا العمرة فى أول رجب. وهو موسم عظيم وكذلك ليحضروا عيد الفطر، ويأتوا عند موسم الحج. ولأن مسيرهم قريب وسهل فهم يأتون ثلاث مرات كلّ عام.

وصف مدينة مكّة- شرّفها اللَّه تعالى-:

تحيط بمدينة مكّة الجبال العالية من كل جانب، وإذا توجهنا إليها من أى جهة كانت، لا نراها حتى نصل إليها، وأعلى الجبال القريبة منها هو جبل «أبو قبيس»، وهو يبدو كقبّة مدوّرة، إذا اطلق سهمٌ من قاعدته وصل إلى قمّته. ويقع على مشرق المدينة، فإذا كنا فى شهر دى (هذا الشهر وباقى الشهور الأخرى المذكورة فى هذه الرحلة هى من الشهور الهجرية الشمسية) فى المسجد الحرام، أشرقت الشمس من فوقه، وعلى قمته ميلٌ من حجر منتصب، يقال: إن إبراهيم عليه السلام نصبه. والعرصة التى أمام الجبل تشكّل موقع المدينة، وهى على مرمى سهمين ليس إلّا، ويقع المسجد الحرام وسط هذه العرصة. وتحيط المدينة بالمسجد الحرام من كلّصوب بأزقّتها وأسواقها.

وكلّ شَقّ فى داخل الجبل يشكّل باباً، وقد بنى له جدار وقلعة، وعليها بوابة.

ولا يوجد فى المدينة أى شجرة سوى واحدة على باب المسجد الحرام، تقع بجهة المغرب. وبجهة المشرق من المسجد يوجد سوق كبير يمتدّ من الجنوب إلى الشمال. ويعلو جبل أبو قبيس على الطرف الجنوبى للسوق. وتقع عند قاعدة أبو قبيس (الصفا)، وقد جعلوا فى قاعدة الجبل مدرجات كبيرة، بحيثصُفَّت أحجارها بالتسلسل؛ ليقف الناس على أعتابها ويشتغلوا بالدعاء. وفى نهاية السوق، من جهة الشمال جبل (مروة) وهو عالٍ قليلًا فى وسط المدينة، وقد بنوا منازل كثيرة عليه، فيسعى الناس فى السوق من أقصاه إلى أقصاه، وما يُقال عن الصفا والمروة هو هذا.

ص: ۱۲۸

وللّذى ينوى العمرة، إذا أقبل من مكان بعيد، وكان على مسافة نصف فرسخ من مكّة، فأينما وجد الأميال منصوبة، ورأى المساجد، أحرم من هناك للعمرة.

والإحرام هو أن ينزع عنه الثياب المخاطة ويشدّ إزاراً على ظهره، ويلفّ آخر على بدنه ويهتف بصوتٍ عالٍ: «لبّيك اللّهم لبّيك...» ويتّجهصوب مكّة.

وأما المقيم بمكّة ممّن نوى العمرة، إذا وصل إلى تلك الأميال فعليه الإحرام، ويصيح لبّيك، ثم يأتى إلى مكّة بتيّة العمرة، وإذا وصل إلى المدينة أتى المسجد الحرام، واقترب من بيت اللّه، ويطوف من اليمين، فيكون البيت على يساره: ويصل إلى الركن الذى فيه الحجر الأسود فيقبّله، ويعدّى الحجر، ويطوف حتى يصل مرّة اخرى إلى الحجر ويقبّله فيكون هذا شوطاً واحداً ويكرّره سبع مرّات. ثلاث منها فى حالة الهرولة، والأربعة الباقية بتوءَدة. وإذا فرغ من الطواف، يذهب إلى مقام إبراهيم عليه السلام فى مقابل البيت، ويقف وراء المقام، فيكون بينه وبين البيت. ويُصلّى عنده ركعتين يقال لها:صلاة الطواف. وبعد ذلك يأتى إلى بئر زمزم، ويشرب منه الماء، أو يمسح به على وجهه، وبعدها يخرج من المسجد الحرام إلى باب الصفا- وهو أحد أبواب المسجد، فإذا خرج منه لقيه جبل الصفا- فيقف على أعتاب جبل الصفا، ويستقبل البيت، ويدعو بالدعاء المعلوم. وبعد قراءته الدعاء، ينزل منه، ويذهب نحو المروة عن طريق السوق، بحيث يكون اتجاهه من الجنوب إلى الشمال، وعندما يمرّ بهذا السوق يدور حول أبواب المسجد الحرام، وداخل السوق- وفى المكان الذى سعى فيه رسول اللّه، عليه الصلاة والسلام، وهرول وآخرون كذلك هرولوا- يهرول خمسين خطوة.

يوجد على طرفى هذا الموضع- موضع الهرولة-، أربع منارات، فيأتى الناس من جبل الصفا، وعندما يتوسطون هاتين المنارتين، يهرولون من هناك، حتى يصلوا إلى المنارتين الأخريين، الواقعتين فى الطرف الآخر من السوق؛ ليمشوا بعدها بتمهّل، حتى جبل مروة، وحينما كانوا يَصلون إلى الأعتاب يصعدون عليها،

ص: ۱۲۹

ويدعون بذلك الدعاء المعلوم، ويعودون أدراجهم. ومرّة اخرى يدخلون إلى هذا السوق. فعندما يسعون أربع مرات من الصفا إلى المروة، وثلاث مرات من المروة فإنهم بذلك يقطعون السوق سبع مرات، وينزلون من جبل المروة على سوقٍ فيه عشرون دكاناً متقابلة، وفيه حجّامون، وهم منتظرون ليحلقوا الرؤوس. وعندما تنتهى العمرة، يخرجون من الحرم، إلى هذا السوق الكبير الواقع بجهة المشرق، والذى يُدعى بسوق العطّارين: وفيه أبنية جميلة، وكلّهم بائعوا عقاقير.

يوجد فى مكّة حمّامان. أرضيّتهما من الحجر الأخضر، وهو الحجر الذى تُسنّ به السكاكين. ولقد خمّنتُ أن عدد سكان مكّة لا يتجاوز ألفى رجل من الحضر، والبقية الذين يقدّرون بخمسمائة رجل هم من الغرباء والمجاورين. وفى ذلك الزمان، كان القحط قد ضرب المدينة، وكانت قيمة ۱۶ مَنّاً من الحنطة، ديناراً مغربياً واحداً مما دفع أهل مكة للخروج منها.

توجد داخل مدينة مكّة منازل كبيرة خاصة لمسافرى بلاد خُراسان، وما وراء النهر، والعراق وغيره، ولكن كانت فى معظمها خَرِبة ومُهدّمة. وقد شيّد خلفاء بغداد هناك أبنية عديدة وجميلة. وفى ذلك الزمان الذى وصلنا فيه، كان بعضها قد هُدِّم وبعضها الآخر قد بنوا عليها الأبنية الخاصة.

آبار مكّة كلّها مالحة ومُرّة، إلى درجة يصعب شربها، ولكنهم بنوا أحواضاً ومصانع كثيرة قُدّرت كلفة كلّ منها بعشرة آلاف دينار. حيث تمتلئ هذه الأحواض بمياه الأمطار الجارية من الوديان. وفى ذلك الوقت الذى كنّا هناك كانت خالية.

وكان أمير عدن هناك، حيث كان يُدعى ب «ابن شاد دل».

وقد جلب ماء من السراديب إلى مكّة، وبذل فى سبيل ذلك أموالًا طائلة، وفى عرفات كانوا يأخذون من ذلك الماء لزراعتهم. وقد سخّروا الماء لتلك المنطقة.

وأنشأوا بساتين فيها، وكان قليل منه يأتى إلى مكّة، ولكن لا يصل الى المدينة

ص: ۱۳۰

نفسها. وكذلك أنشأوا حوضاً؛ يتجمّع الماء فيه، فيأخذ منه السقّاؤون؛ لبيعه فى المدينة.

وعلى مسافة نصف فرسخ من طريق برقة، يوجد مسجدٌ جميلٌ يضمّ بئراً يقال له بئر الزاهد، وماء ذلك البئر عذبٌ، ولهذا يذهب السُقاة إلى هناك ويحملون الماء ليبيعوه فى المدينة.

إن المناخ فى مكة قائض. ووجدت هناك الخيار والأترج والباذنجان الطازج، حيث كان الوقت أواخر شهر بهمن. وهذه هى المرة الرابعة التى أزور بها مكّة، وقد جاورتها من غرّة رجب سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة وحتى العشرين من شهر ذى الحجة.

فى الخامس عشر من شهر فروردين كان العنب قد نضج، وقد شحنوه من الأرياف إلى المدينة، لبيعه فى الأسواق. وفى أوائل شهر اردیبهشت، وصلت كمّيات كبيرة من البطيخ إلى هنا، وكان الشتاء هناك يحمل معه مختلف أنواع الفاكهة، ولم تخلُ الأسواق منها أبداً.

قلنا فى وصفنا للمسجد الحرام والكعبة المشرفة: إنّ الكعبة تتوسط المسجد الحرام، والمسجد يتوسط مكّة، أما جدار المسجد فمنحنٍ وأركانه مائلة وهو أقرب إلى الدائرة، لتكون الصلاة فيه، ومن جميع الجهات، باستقبال القبلة. ويبلغ طول المسجد الذى يبدأ من المشرق الى المغرب أى من باب إبراهيم عليه السلام وانتهاءً بباب بنى هاشم (۴۲۴) أرشاً، وعرضه من باب الندوة، من جهة الشمال، وحتى باب الصفا، فى الجنوب، فى أوسع نقاطه، يكون بحدود (۳۰۴) أرشات. وبسبب شكله الدائرى، فهو يحتوى على أماكن واسعة واخرى ضيّقة.

وتحيط بالمسجد من جميع أطرافه، ثلاثة أروقة مغطاة ومحمولة على أعمدة من رُخام، وتشكل هذه الأعمدة خمسة وأربعين قوساً تحيط بساحة المسجد، وعرضها كان ثلاثة وعشرين قوساً، أما عدد الأعمدة الرخامية فهو مائة وأربعة

ص: ۱۳۱

وثمانون عموداً. وقيل: إنّ جميع هذه الأعمدة، قد جيء بها من الشام بطريق البحر وذلك بأمرٍ من خلفاء بغداد. وقيل كذلك: إنّ الأعمدة التى يُراد وصولها إلى مكّة، قد انقطعت الحبال التى كانت تُربط بالسفينة التى تحملها وبالعجلات، فتمّ بيعها بستّين ألف دينارٍ مغربياً. وأحد تلك الأعمدة، هو ذلك المنصوب على باب الندوة، وهو عمود رخامى أحمر، وقد ابتاعوه بثقله من الدنانير، وكان وزن العمود الواحد حوالى ثلاثة آلاف مَنّ.

للمسجد الحرام ثمانية عشر باباً، بُنيت كلّها على شكل أقواس، على أعمدة من رُخام.

وتوجد فى جهة المشرق، أربعة أبواب: باب النّبى فى الزاوية الشمالية وهو مربوط بثلاثة أقواس، وعلى هذه الجهة وفى الزاوية الجنوبية، يوجد باب آخر، وهو أيضاً يسمى بباب النبىّ، والمسافة بين هذين البابين تزيد على مئة أرش.

وهذا الباب مربوط بقوسين، وعندما تخرج من هذا الباب يصادفك سوق العطّارين، حيث كان منزل رسول اللّه- عليه السلام- فى ذلك الزقاق. ويرد إلى الصلاة فى المسجد من خلال هذا الباب.

ويلى هذا الباب، على الجدار الشرقى، باب على عليه السلام وهو الباب الذى كان أمير المؤمنين على عليه السلام يَرِدُ منه لأداء الصلاة. وهو مربوط بثلاثة أقواس، وبعد أن تُعدّى هذا الباب، توجد منارة اخرى على زاوية المسجد، وهى تقع على أول السعى، فيجب الهرولة من هذه المنارة، التى هى باب بنى هاشم، وهذه هى إحدى المنارات الأربع.

ويوجد على الجدار الجنوبى، الذى يشكّل طول المسجد، سبعة أبواب:

الأول يقع فى الركن- وقد جُعل على شكل نصف دائرة- ويسمى بباب الدقاقين، ومربوط بقوسين، وإذا اتّجهت قليلًا نحو جهة الغرب، تجد باباً آخر وقد ربط بقوسين، يدعى بباب الفسانين. وإذا تابعت السير قليلًا سيصادفك باب الصفا، قد

ص: ۱۳۲

ربط بخمسة أقواس. وأكبر هذه الأقواس، القوس الأوسط، وعلى كلّ جانب، قوسانصغيران، وكان رسول اللّه- عليه السلام- يخرج من هذا الباب ليصل إلى الصفا ويدعو فيه. وعتبة هذا القوس الأوسط تتألف من حجر أبيض عظيم، وآخر أسود حيث كان رسول اللّه- عليه الصلاة والسلام- يضع قدمه المباركة عليه. وقد طُبع أثر قدمه الشريفة عليه، وقد اقْتُطِع ذلك الجزء الذى يحمل الأثر المبارك من الحجر الأسود المذكور، ورُكّبَ على الحجر الأبيض، وأنّ رؤوس أصابع القدم تتجه داخل المسجد. وكان بعض الحجاج يمرّغ وجههُ على ذلك الأثر تبرّكاً، والبعض الآخر يرتَئى وضع قدمه عليه، أمّا أنا، فأعتبرُ وضع وجهى على الأثر أدعى.

ونذهب من باب الصفا قليلًا باتجاه المغرب، ليواجهنا باب الطوى وقد ربط بقوسين، ونتابع السير قليلًا فنصل إلى باب التمارين، وقد ربط بقوسين، وعندما نتجاوز الباب المذكور نجد باب المعامل وهو كذلك مربوط بقوسين. ويقابله دار أبى جهل، التى تحولت الآن إلى دورة مياه.

وهناك ثلاثة أبواب على الجدار الغربى، والذى يشكّل عرض المسجد.

الأول: فى الزاوية المطلّة على الجنوب، وهو يحتوى على عروة ومربوط بقوسين، وفى وسط هذا الضلع، يوجد باب إبراهيم عليه السلام بثلاثة أقواس.

وأمّا على الجدار الشمالى، الذى يشكّل طول المسجد، فهناك أربعة أبواب، ففى الزاوية الغربية يوجد الباب الوسيط بقوس واحد، وعندما تتركه متجهاًصوب المشرق، يلاقيك باب العجلة بقوس واحد. وعندما نستمر فى السير نحو أواسط الضلع الشمالى، يواجهنا باب الندوة بقوسين، ويليه باب المشاورة بقوسٍ واحد. وعندما تصل إلى زاوية المسجد، فى الجهة الشمالية الشرقية، يلاقيك باب يُقال له باب بنى شيبة.

وتتوسط الكعبة ساحة المسجد، وهى مربعة الشكل طولانية، وطولها من

ص: ۱۳۳

الشمال إلى الجنوب ثلاثون أرشاً، وعرضها من المشرق إلى المغرب ستة عشر أرشاً.

وباب الكعبة هو باتجاه المشرق، وعند الدخول إلى الكعبة المشرفة يكون الركن العراقى على اليمين، وركن الحجر الأسود على اليسار، والركن الغربى الجنوبى يقال له بالركن اليمانى. والركن الشمالى الغربى هو الركن الشامى. والحجر الأسود موجود على زاوية الجدار وقد رُكّب داخل حجر كبير، ومكان الحجر يصل اليصدر شخص يقف منتصباً، وأما ارتفاعه فهو بمقدار كفّ وأربعة أصابع وعرضه ثمانية أصابع. وشكله مدوّر، والفاصلة بين الحجر الأسود وباب الكعبة هى أربعة أرشات. وتدعى هذه الفاصلة بالملتزم. وتعلو باب الكعبة عن الأرض بأكثر من أربعة أرشات، وإذا وقف رجل على الأرض، وانتصب بقامته فسيصل برأسه إلى العتبة. وقدصُنع سلّمٌ من خشب يُوضع أمام الباب عند الحاجة؛ ليصعد عليه مَنْ يريد دخول البيت، وهو من الوُسع بحيث يمكن لعشرة أشخاص ملتصقين من الجوانب الصعود والنزول عليه. وأما أرض الكعبة فهى بالارتفاع الذى ذُكر آنفاً.

وصف باب الكعبة: باب مصنوع من الخشب الساج، ويحتوى على مصراعين، وارتفاع الباب ۵/ ۶ أرش، وعرض كلّ مصراع ذراع واحدة وثلاثة أرباع الذراع، فى حين أن عرض المصراعين هو ۵/ ۳ ذراع، وهناك على الباب كتابات، وعلى مستوى واحد، وجرى تنقيرها على شكل دوائر وكتابات منقوشة من الذهب والفضة.

وقد كتبت هذه الآية عليها حتى آخرها: إنّ أوّل بيتٍ وُضع للناس للّذى ببكّة...، ووضُعت حلقتان فضيّتان كبيرتان أُرسلتا من غزنين، على مصراعى الباب. لا تصل اليد إليهما.

وهناك حلقتان فضيتان اخريانصغيرتان، وضعتا كذلك على مصراعى الباب، وهما فى متناول اليد، وهناك قفل فضّى كبير يوضع على الحلقتين السفليّتين

ص: ۱۳۴

فتغلق بذلك الباب. وما لم يُرفع القفل لا ينفتح الباب أبداً.

وصف داخل الكعبة:

يبلغ عرض الحائط، أى ثُخنه، ستة أشبار. وأرضية البيت هى من الرخام الأبيض، وتوجد فى البيت ثلاث خلوات شبيهة بالدكاكين، إحداها أمام الباب، والاخريان على الجانب والشمال. والأعمدة المنصوبة تحت السقف فى داخل البيت هى من الخشب، مقلّمة من أطراف أربعة، ومصنوعة من خشب الساج، عدا عمود واحد مدوّر. وفى جهة الشمال يوجد سرير رخامى أحمر طويل افترش الأرض، حيث يُقال: إنّ رسول اللّه- عليه الصلاة والسلام-صلّى عليه، ولذلك يسعى للصلاة عليه كلّ من يراه.

وجدران البيت مغطّاة كلّها بصفائح من الرخام الملوّن. وهناك على الجانب الغربى، توجد ستة محاريب مصنوعة من فضة وذهب؛ وقد خيطت على الجدار بالمسامير، وارتفاع كلّ واحدة منها بمقدار قامة رجل، كما أنها مرتفعة عن الأرض. وقد ارتفع أيضاً جدار البيت ۴ أرشات من الأرض. وعلاوة على هذا، فالجدار مبنىّ من الرخام حتى السقف. وقد نُقرت عليه النقوش. والجدران الأربعة مطلية بالذهب فى معظمها.

أمّا فى الخلوات الثلاث التى مرّ ذكرها سابقاً، الموجودة إحداها فى الركن العراقى، والثانية فى الركن الشامى، والثالثة فى الركن اليمانى، ففى كلٍّ من هذه الأركان، يوجد لوحان خشبيان خيطا على الجدار بمسامير فضية، وهى الألواح المتبقية من سفينة نوح عليه السلام وطولّ كل لوحة خمسة أذرع، وعرضها ذراع واحد.

وقد أُسدل على زاوية الحجر الأسود من داخل البيت الديباج الأحمر، وفى جهة اليمين عند الخروج من باب البيت، حيث زاوية من البيت وقد قسمت الى أربع جهات، بمقدار ۳ أذرع* ۳ أذرع، وفى هذا المكان يوجد سلّمٌ يؤدى الى سطح البيت، وقد وضع عليه بابٌ فضىّ، يسمّى باب الرحمة. وعلى الباب قفلٌ فضّى.

ص: ۱۳۵

وإذا كنتَ على السطح وجدتَ هناك باباً كباب السطح، غُطّى سطحا الباب بالفضة.

أما سطح البيت فقد غُطّى بالخشب، الذى غطّى هو الآخر بالديباج، بحيث لا يُشاهد أى أثر للخشب، وعلى جدار واجهة البيت، أعلى الخشب، خيطت كتابات مذهّبة، وقد كُتب اسم سلطان مصر العزيز لدين اللّه على هذه القطعة، أيام استيلائه على مكّة، وإخراجها من سلطة الخلفاء العباسيّين. وهناك أربع ألواح فضّية كبيرة اخرى متقابلة، خيطت كذلك على حائط البيت بمسامير من فضة، ونُقش على كلّ منها اسم أحد سلاطين مصر، حيث بعث كلّ منهم لوحاً من هذه الألواح أيام ملكه.

وعُلّقت بين الأعمدة ثلاث قناديل فضية، وقد غُطّى البيت من الخارج برخام يمانى كالبلور، وللبيت أربع نوافذ تقع فى الزوايا الأربع، وعلى كل نافذة، وُضع لوح زجاجى لإنارة البيت، وليحول دون نفوذ مياه الأمطار إلى الداخل.

وميزاب البيت هو فى جهة الشمال، فى الوسط تماماً، وبطول ثلاثة أذرع، وقد نُقشت عليه كتابات ذهبية. وحُلّة البيت كانت بيضاء، وكانت مطرّزة فى موضعين، وكلّ طراز بعرض ذراع واحد، والفاصلة بين الطرازين حوالى عشرة أذرع، وتفصل نفس هذه المسافة من أعلى وأسفل الطرازين، حيث ينقسم ارتفاع البيت بواسطة هذين الطرازين إلى ثلاثة أقسام، وكلّ قسم بطول عشرة أذرع. وعلى الأوجه الأربعة للحلّة، حِيكَت محاريب ملونة ونقشت عليها خيوط من ذهب، ويوجد على كل جدار محاريب ثلاثة: واحدٌ كبير فى الوسط، وعلى جانبيه اثنانصغيران، فيكون بذلك عدد المحاريب المنقوشة على جدران البيت اثنى عشر محراباً.

حِجر إسماعيل:

خارج البيت، فى الجهة الشمالية منه، بُنى جدار بمقدار ذراع واحد ونصف

ص: ۱۳۶

الذراع، ويقترب طرفا الجدار من البيت، بحيث يكون مقوّساً، على شكل نصف دائرة، وتبعد نقطة الوسط لهذا الجدار عن جدار البيت بحوالى خمسة عشر ذراعاً، وقد جُعل جدار وأرض هذا الموضع من نفس رخام البيت وبمقدار خمسة عشر ذراعاً، وهو من الرخام الملوّن والمنقوش. وهذا الموضع يقال له حِجر. ويفرغ الميزاب الماء المتجمع على سطح البيت فى هذا الحِجر. ووُضعت تحت الميزاب لوحة حجرية خضراء، على شكل محراب؛ ليتساقط ماء الميزاب عليه، ومساحتها بمقدار يستطيع شخص واحد الصلاة عليها.

مقام إبراهيم:

وهو من البيت، يقع فى جهة المشرق، ويحمل أثر قدمى إبراهيم عليه السلام، وقد وضع على حَجر آخر، وجُعل له غطاء خشبى ذو أربعة أطراف يكون بمقدار قامة إنسان، وقد أُنجز بأروع شكل، ويحمل طبولًا فضّية. وهذا الغطاء مربوط من الجانبين إلى أحجار ضخمة بواسطة سلاسل، ووضع عليها قفلان، حتى لا تمسّها يد، والمسافة بين المقام والبيت هى ثلاثون أرشاً.

بئر زمزم:

وهى من الكعبة المشرفة، وتقع فى جهة المشرق، فى زاوية الحجر الأسود، وتبعد عن البيت ستة وأربعين أرشاً. ووسع فوهة البئر ۵/ ۳* ۳/۵ ذراع وماؤها مالح، ولكن يمكن شربه، وقد بنوا على فوهة البئر حُجرة من ألواح الرخام الأبيض، ارتفاعها أرشان، ووضعوا خزانات على أربع جهات، ليصبّوا فيها الماء، حتى يتوضّأ الناس منها، وقدصُمِّمَت أرضيّة بيت زمزم بشكل مشبّك وهى من الخشب، لجذب الماء المسكوب بسرعة.

وباب هذا البيت (زمزم) متّجه نحو المشرق، ويقابله من جهة المشرق، بيت آخر مربع الشكل، يحوى قبّة، يُعرف بسقاية الحاجّ. وُضعت فى داخله جِرار ليستقى منها الحجّاج، وعلى مشرق سقاية الحاج أيضاً يوجد بيت آخر طويل،

ص: ۱۳۷

يحوى ثلاث قُبب، يُدعى بخزانة الزيت، فى داخله شموع وزيت وقناديل.

وغُرزت حول الكعبة أعمدة، وعلى رأس كلّ زوج منها وضع خشب، أجريت عليها أعمال النقارة والنقش، وعُلّقت عليها حلقات وكلّابات ليعلّقوا عليها فى‌المساء، المصابيح والقناديل، ويُطلق عليها اسم المشاعل. وبين جدار الكعبة وهذه المشاعل المذكورة، حوالى مائة وخمسين ذراعاً، وهو مكان الطواف.

والبيوت الموجودة فى ساحة المسجد الحرام عدا الكعبة المعظمة- شرّفها اللَّه تعالى- هى:

زمزم.

سقاية الحاج.

خزانة الزيت.

وتحت الغطاء الذى يحيط بالمسجد بجانب الجدار، توجدصناديق، كلّ منها مختصّة ببلدان المغرب، مصر، الشام، الروم، العراقين، خراسان وماوراء النهر وغيرها.

وعلى مسافة أربعة فراسخ إلى الشمال من مكّة، هناك منطقة يُقال لها برقة، وهى مقرّ أمير مكّة مع جنده، وتحتوى على الماء الجارى والأشجار، ويبلغ طولها فرسخين، ويبلغ نحواً من ذلك عرضها.

وفى هذه السنة، جاورتُ مكّة من أوّل شهر رجب، وقد جرت عادتهم على فتح باب الكعبة فى شهر رجب كلّ يوم عند مطلع الشمس.

وصف فتح باب الكعبة- شرّفها اللَّه تعالى-:

إن مفاتيح الكعبة المشرّفة عند قبيلة من العرب يقال لها «بنو شيبة»، ويقوم على خدمتها زعيمهم. وهو يستلم من سلطان مصر المشاهرة (الراتب الشهرى) وخلعة. وهو الزعيم الذى بيده المفاتيح، وإذا حضر رافقه خمسة أو ستة أشخاص، فإذا وصل الزعيم مع مرافقيه، ذهب عشرة أشخاص، وحملوا السُلّم- الذى مرّ ذكره- وجاؤوا به إلى الكعبة ووضعوه أمام الباب، فيصعد عليه ذلك الشيخ

ص: ۱۳۸

الزعيم، ويقف على العتبة، ويصعد اثنان آخران حتى يرفعا عن الباب الحلّة والديباج. فيمسك أحدهما أحد الطرفين، ويمسك الثانى بالطرف الآخر، كأنهم أرادوا أن يلبسوا الزعيم لبّادة وهو يفتح الباب، فيفتح القفل وينزع الحلقة منها، وفى هذه الأثناء يقف عند باب الكعبة جمع من الحجيج يرفعون أيديهم مبتهلين عند فتح الباب، وعندما يتعاليصوت الحجيج يعلم كلّ الحاضرين فى مكّة أن باب البيت قد فُتح، فيهمّ الجميع بالابتهال والدعاء بصوت عالٍ، فتدوّى الأصوات المنادية دويّاً عظيماً فى أنحاء مكّة، وعندها يدخل ذلك الشيخ إلى داخل البيت، فيُصلّى فيه ركعتين، حيث لا يزال الشخصان حاملين حلّة الكعبة. ثم يرجع الشيخ ويترك باب الكعبة مفتوحاً على مصراعيه، ويقف على العتبة ليخطب بالناس- بصوت جهور- فيُصلّى على رسول اللّه- عليه الصلاة والسلام- وعلى أهل بيته. عندها يقف ذلك الشيخ ومُرافقوه على جانبى باب الكعبة فيُمسكون بالحاجّ ويُدخلونه الى الكعبة، فيُصلّى الحجيج ركعتين، ويخرجون، ويستمرّون على ذلك حتى ينتصف النهار، فيؤدّون الصلاة فى البيت تجاه باب الكعبة وإن جاز أداؤها إلى ساير الجوانب. ولقد أحصيت عدد الناس الذين دخلوا البيت بحيث لم يبق متّسع لأحد يدخل، فكانوا سبعمائة وعشرين رجلًا.

إنّ حجاج اليمن عندما يأتون إلى الحج، يفعلون كما يفعل الهنود، حيث يلفّون مئزراً على ظهورهم، ويُسدلون شعرهم، ويضفرون لحاهم، متحزّمين بخناجرهم القطيفية، كالهنود، ويُقال إن أصل الهنود من اليمن.

وتُفتح باب الكعبة خلال أشهر شعبان ورمضان وشوال، وأيّام الاثنين والخميس والجمعة، وتُغلق بحلول شهر ذى القعدة.

عمرة جعرانة:

على بعد أربعة فراسخ الى الشمال من مكّة، هناك منطقة تسمى جُعرانة، فمن هذا المكان أحرم المصطفيصلى الله عليه و آله مع جيشه يوم السادس عشر من ذى القعدة، وجاء

ص: ۱۳۹

إلى مكّة لأداء العمرة. ويحتوى هذا المكان على بئرين: الأولى يُقال لها: بئر الرسول، والثانية: بئر على بن أبى طالب-صلوات اللّه عليهما- وماء البئرين عذب فرات، وتفصلهما عن بعضهما عشرة أذرع، ولا تزال تلك السُنّة قائمة، حيث يعتمر الناس من ذلك الموسم. وبالقرب من تلك الآبار يقع جبلٌ تكثر فيه حُفرٌ حجرية تشبه الجِفان أو الأحواض الصغيرة، ويُقال: إنّ النبيّصلى الله عليه و آله كان يَعجن الطحين بيديه الشريفتين فى تلك الحُفر. وكذا يفعل الناس الذين يذهبون إلى هناك حيث يقومون بعجن الطحين من ماء تلك الآبار.

وتوجد فى هذه المنطقة أشجار كثيرة، يأخذون حطبها ليطبخوا عليه خبزهم فيحملوه معهم ليوزّعوه بعد ذلك تبرّكاً. وهناك توجدصخرة كبيره حيث وقف عليها بلال الحبشى ليؤذّن للصلاة، فلهذا يصعد بعض الناس عليها ليؤذّنوا للصلاة. وفى الوقت الذى كنت هناك، كان الحشد عظيماً، حيث زاد عدد الإبل العِمارية على الألف، واللّه أعلم بعددها بعد ذلك.

عرفات:

كانت المسافة فى الطريق الذى سلكته من مصر الى مكّة هذه المرّة، حوالى ثلاثمائة فرسخ، ومن مكّة إلى اليمن كانت اثنى عشر فرسخاً، وصحراء عرفات تبدو وكأنها ضائعة بين الجبال، كالتلال الصغيرة، ووسعها بمقدار فرسخين فى فرسخين. وهناك مسجدٌ فى هذه الصحراء بناه إبراهيم عليه السلام ولكن لم يبق منه غير منبر خَرِب من الآجر، وعندما يحين وقت الصلاة، يصعد عليه الخطيب، ويُلقى خطبته، ثمّ يُؤذّن للصلاة، وتُؤدَّى ركعتا الصلاة جماعةً وقصراً كصلاة المسافر.

والجميع فى هذا الوقت يؤدّون ركعتين اخريين من الصلاة جماعةً، ثم يركب الخطيب على البعير ويتجه نحو المشرق.

جبل الرحمة:

وعلى بُعد فرسخ من هناك، يوجد جبلصغير وحجرى يُقال له: جبل

ص: ۱۴۰

الرحمة، هناك يقف الحجيج ويبتهلون حتى غروب الشمس.

وابن شاد دل أمير عدن، الذى جلب الماء من أماكن بعيدة، وصرف أموالًا طائلة من أجل هذا كما ذكرنا سابقاً، كان قد جلب الماء من هذا الجبل وذهب به إليصحراء عرفات. وقد أنشأ هناك الأحواض التى تملأ بالماء أثناء موسم الحج ليستقى منه الحاج. وابن شاد دل هذا، قد أنشأ غرفةً عظيمةً على جبل الرحمة، وفى أيام عرفات توقد المصابيح والشموع، وتوضع على قبة هذا البناء حتى يمكن للقادم رؤيتها على مسافة فرسخين.

ويقال: إنّ أمير مكّة قد تلقّى مبلغ ألف دينار من أمير عدن مقابل السماح له بإنشاء ذلك البناء!!...

المشعر الحرام:

فى التاسع من شهر ذى الحجة من سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة هجرية، أدّيت مناسك الحج بفضل اللّه سبحانه وتعالى، وللمرّة الرابعة. وقد رجع الخطيب والحجيج من عرفات عند غروب الشمس، وقطعوا فرسخاً واحداً حتى وصلوا إلى المشعر الحرام، ويسمى هذا المكان بالمزدلفة، وهو بناء جيد، يشبه المقصورة، ليؤدّى فيه الناس الصلاة، ويأخذوا منه الحصى التى سيرمون بها الجمرات فى منى، وجرت العادة على أن يقضوا ليلة العيد هناك، ثمّ يؤدّواصلاة الصبح، وبطلوع الشمس يتحركون إلى منى، ليرمى الحجاج الجمرات ويذبحوا أضاحيهم هناك. كما يوجد هناك مسجد كبير يسمى مسجد الخيف. وليست العادة أن تقامصلاة العيد والخطبة بمنى، ولم يأمر المصطفيصلى الله عليه و آله بهذا. فاليوم العاشر يكونون بمنى ويرمون الحصى، وشرح ذلك قد ورد فى مناسك الحج. وفى الثانى عشر من الشهر، كلّ من عزم على العودة، يعود من هنا، وأمّا المقيمون بمكّة، فيعودون أدراجهم إليها (۱).

---

۱ - ۱ فقرات منقولة، عن رحلة ناصر خسرو بتصحيح نادر وزين پور حيث أوردت معلومات عن التعريف بالكتاب. فى كتابة هذه المقالة، إضافة للمصادر أعلاه، فقد تمّ الاستفادة من هذين الكتابين: مع قافلة الحُلّة: مجموعة النقد الأدبى، لعبد الحسين زرين كوب، طهران، علمى، ۱۳۷۰ آواره يمگانص ۱۰۱- ۸۵. لقاء مع أهل العلم: حول العشرين كتاب للنثر الفارسى، لغلامحسين يوسفى طهران، علمى، ۱۳۶۷ سيرى در آفاقص ۸۶- ۵۳.

ص: ۱۴۱

## مختاراتٌ شعرية

ص: ۱۴۲

مختاراتٌ شعرية

رفعوا الأكفَّ وأرسلوا الدعواتِ وتجرّدوا للَّهِ فى عرفاتِ

شُعْثاً تُجَلِّلهُمْ سحائبُ رحمةٍ غُبْراً يفيضُ النورُ فى القَسَمات

وكَأَنَّ أجنحةَ الملائكِ عانقَتْ أرواحَهم بالبرّ والطاعات

فتنزلت بين الضلوع سكينة علوية موصولة النفحات

وتصاعدت أنفاسهم مشبوبةً وجْدا يسيلُ بِوَاكِفِ العبراتِ

هذى ضيوفُك يا إلهى تبتغى عفواً وترجو سابغَ البركات

غصّتْ بهم فى حلِّهِمْ ورحيلهم رحبُ الوهاد وواسعُ الفلوات

تركوا وراء ظهورهم دنيا الورى وأتَوْكَ فى شوق وفى إخبات

وفدوا إلى أبواب جودك خُشَّعاً وتزاحموا فى مهبط الرحمات

فاقبل إله العرش كلّ ضراعةٍ وامح الذنوب وكَفِّر الزلَّات

***

وتلفَّت الأقصى وبين جفونه دمعٌ وبين ضلوعه نيرانُ

ص: ۱۴۳

وتلفَّت الأقصى لمكَّة لوعةً أختاه! تنهش أضلعى الغربانُ

أختاه! أين المسلمون وحشدهم أين الملايين الغثاة! أهانوا؟

أختاه! وانقطعت حبال ندائه واغرورقت من دمعه الأجفانُ

وهوت معاول كى تدقَّ حياضه وهوت على أمجاده الجدرانُ

القبلتان مرابعٌ موصولةٌ درجت على ساحاتها الفتيانُ

القبلتان يموج بينهما الهدى نوراً ويخشع عنده الإنسانُ

القبلتان وكلُّ رابيةٍ لها حرمٌ وكلُّ شعابه أكنانُ

يهدى الحمام إلى الشِّعاف هديله ويردُّ جنحيه رضىً وأمانُ

ويضمُّ بينهما ظلال نبوَّةٍ والصَّالحين فطاب منه مكانُ

والكعبة الغرَّاء بين حجيجها نورٌ وتحت ظلاله ركبانُ

تتقطَّع الأيَّام من أحداثها وحجيجها متواصلٌ ريَّانُ

ص: ۱۴۴

يسعى وما ظمأ به، وبهاجر ظمأ الرُّبى ورضيعها ظمآنُ

أجرى لها الرَّحمن زَمزم آيَةً فَابتَلَّت السَّاحَات والأزمانُ

وجرى بكلِّ عروقها منه هوىً وصفت على جنباتها الغدرانُ

أمقام إبراهيم والبيت العتيق هدىً وآياتٌ له وبيانُ

الطَّائفون الرَّاكعون لربِّهم خفقت قلوبهم وضجَّ لسانُ

تتزاحم الأقدام فى ساحاته وترفٌّ بين ظلَاله الأبدَانُ

ومئَصدى ربواتها التَّوحيد والتكبير والإخبات والإذعانُ

عرفات ساحاتٌ تضجُّ ورحمةٌ تغشى ودمعٌ بينها هتَّانُ

لبَّيك يا اللَّه! وانطلقت بها رسلٌ وفوَّحت الرُّبى وجنانُ لبَّيك والدُّنياصدَى والأفق يرجعها ندىً يبتلُّ منه جنانُ

لبَّيك وحدك لَاشَريكَ لَكَ الرِّضَا وَالخير منكَ ببَابكَ الإحسَانُ

ص: ۱۴۵

لبَّيك، والتفت الفؤاد ودارت العينان وانفلتت لها الأشجانُ

دقَّت قوارعها الدِّيار فزُلزلت تحت الخطى الأرباض والأركانُ

جمعت مراميه البلاد فمشرقٌ غافٍ وغربٌ لفَّه النِّسيانُ

أين الحجيج! وكلُّ قلبٍ ضارعٍ ومشارف الدُّنيا له آذانُ

نزعوا عن السَّاحات وانطلقت بهم سبلٌ وفرَّق جمعهم بلدانُ

وطوتهم الدُّنيا بكلِّ ضجيجها وهوىً يمزِّق شملهم وهوانُ

ومضى الحجيج كأنَّه ما ضمَّهم عرفات أو حرمٌ له ومكانُ

بالأمس كم لبَّوا على ساحاته بالأمس كم طافوا هناك وعانوا

عرفات ساحاتٌ يموت بها الصَّدى وتغيب خلف بطاحه الألوانُ

لم يبق فى عرفات إلَّادمعةٌ سقطت فبكَّت حولها الوديانُ

هى دمعة الإسلام يلمع حولها أملٌ وتهرق بينها الأحزانُ

ص: ۱۴۶

يا أمَّةَ القرآن داركَ حلوةٌ ما طوَّفت ذكرى وهاج حنانُ فى مدح الرسولصلى الله عليه و آله

عبدالحسين الحويزى

جلّ فى الذكر للنبىّ ثناء ما حوت بعض وصفه الأنبياء

فهم نسبة لعلياء أرض وهو فى مجده الرفيع سماء

وهو روح الهدى وهم منه جسم نشطت للهدى به الأعضاء

وهو قطب للكائنات عليه قد اديرت من العلى أرحاء

وهو بحر بكلّ علم محيط راشح منه فى الخليقة ماء

قطرة من علومه تغرق الأر ض ومن بعضها يضيق الفضاء عرجت للسما له ذات قدس نشأت عن وجودها الأشياء

تلك ذات تجرّدت وصفات أنفذت آدماً لها أسماء

كونت قبل خلقه الكون نوراً وبمشكاته تجلى الضياء

ص: ۱۴۷

حلّ من بارئ السما قاب قوسين غداة انتهت به العلياء

حيث لم يدر أين حلّ سوى اللّه ومنه له أتاه النداء

قائلًا أنت خاتم الرسل جمعاً وعليهم لك استقل الولاء

أين للرسل من علاه مقام فيه للروح مهبط وارتقاء؟!

علة للوجود عائبة الصنع بها يصنع القضا ما يشاء

والمقادير طوع أمر يديه ينبريصرفها ويجرى القضاء

سله اللّه مرهفاً ذا غرارٍ فلّ حد الآجال منه مضاء

واولو العزم تحت ظل علاه خافق للعلى عليهم لواء

أفضل الأنبياء علماً وحلماً وبه للهدى أتت أنباء

وله حلت النبوة جيداً فصلت من عقوده الجوزاء

وتجلّت له الرسالة تاجاً قد تحلى به علًا وبهاء

ص: ۱۴۸

ذاک خير الأنام بطناً وظهراً مَن اليه يعزى الندى والسخاء

واحد ماله من المجد ثانٍ لم يخب منه بالطلاب الرجاء

قدصفا بينه وبين على مثل هارون الكليم أخاه

نفس هذا ونفس ذاک قديماً بالمعالى والكرامات سواء

هو وابناه والبتول وطه ضمّهم باليقين ذاک الكساء

خمسهٔ كان سادساً لهم الروح بهم يعرف الهدى والعماء وبهم ينزل السماء فتحيا الأرض فيه وتكشف الغماء

فهم الداء للقلوب اللواتى لم يفد للرشاد فيها الدواء

أولياء الإله يبدو ولاهم حيث أعداؤه لهم أعداء

بدل السيئات عن حسنات حبهم حيث طعمه الكيمياء

بهم باهل النبيُّ النصارى فأبان الحق المبين انجلاء

ص: ۱۴۹

آل بيت قد أذهب اللَّه عنهم كلّ رجس رجالهم والنساء

كم نجت فيهم عوالم قدماً حين حلّ القضا وعمّ البلاء

وبيوم الجزا لكلّ محب منهم رحمة يفيض الجزاء

ومن الكوثر الزلال يروون قلوباً تلوب وهى ضماء

عصمة فى الوجود يأوى إليهم كلّ من انزلت به الضراء

كلّ شىء يفنى وهم لاله الخلق وجه به يدوم البقاء

فالمثانى بهم مدى الدهر سبعاً ملؤها مدحة لهم وثناء

هم لوجه الإله نور تجلى تمّ فى رشدها فما له اطفاء

وهموا للورى أئمة حقّ علماء فى عصرهم حكماء

عن فيوض الاله ينهل منهم كرم هل سواهموا كرماء

قد أضاؤا كالزاهرات وجوهاً غير بدع فأمّهم زهراء

ص: ۱۵۰

يا حماة الهدى بكلّ زمان ولبارى السما هم الأولياء

يكشف الضر باسمهم فى البرايا حين تدعوا ويستجاب الدعاء

يا بنى الوحى رحمة اللّه أنتم وبكم منه تمت الآلاء

أقعس اللّه امّة جهلتكم ولكم عزة سمت قعساء شرعة الدين فى الوجود تبدت فيكم فهى بالسنا غرّاء

فعليكم من الإلهصلاة ما دعت فى أليفها الورقاء

## الحجّ عبر الحضارات والامم

ص: ۱۵۱

الحجّ عبر الحضارات والامم

ماجدة المؤمن

قد يعتقد بعض الناس أنّ الحجّ أمرٌ أو حالة تقتصر على الدين الإسلامى والمسلمين فقط، وبالكيفية التى فصّلتها كتب الفقه المستمدّة من الكتاب الكريم والسُنّة الشريفة.

ولكنّ المتتبّع للحضارات القديمة والديانات السماوية والوضعية يجد أنّ الحج ركن دينى أساسى، مارسته الحضارات المختلفة، وألِفَته الأديان السماوية والوضعية بشكل مشابه بعض الشىء للحج الإسلامى.

ولعلَّ الكشوفات الأثرية الحديثة والتطوّر فى المعارف والثقافة، والاطّلاع على الشعوب البدائية من خلال الدراسات «الإنثروبولوجية» الميدانية، لعلَّ كلّ ذلك كشف المزيد من المعلومات عن هذه الفريضة العالمية الكبيرة.

إنّ كثيراً من الهياكل والمعابد والمراكز الدينية المنتشرة فى العالم، فى بلاد وادى الرافدين وبلاد وادى النيل، وهياكل العبادة فى كثير من المدن والبلدان هى فى الحقيقة كانت مراكز أساسية للحج، يأتونها الزائرون قاصدين إليها لأداء أعمال

ص: ۱۵۲

وأفعال وممارسات وطقوس محدّدة يعرفها المنتسبون لتلك الديانات.. يأتون فى وقت محدّد وعلى جماعات، أَليس ذلك هو الحج؟

إنّ الحج وإن اختلف بين حضارة وحضارة ودين ودين، يبقى مرجعه ومحوره النموذجى هو الحج الذى فرضه اللَّه تعالى على عباده.

والمحور النموذجى والمرجع الحقيقى لكل حج فى تاريخ الإنسان هو حج الأنبياء والرسل وحج إبراهيم عليه السلام الذى دعا الناس بأمرٍ من اللَّه تعالى لأوّل بيت مقدّس على وجه الأرض، إلى أوّل بيت من بيوت اللَّه جُعل للهداية ولغفران الذنوب، وهو بيت اللَّه العتيق فى مكّة المكرّمة، قال تعالى: إنّ أوّل بيت وضع للناس للذى ببكّة مباركاً وهدًى للعالمين (۱)

.

أى: جعل هذا البيت لجميع الناس، ولجميع الأديان، منذ خلقه اللَّه تعالى حتّى يقوم الحساب، ولم يخصّصه لفئة معيّنة أو لدين معيّن؛ لأنّ الدعوة إلى الدين، مصدرها الواحد الأحد لا غير، فالخالق واحد، والدعوة إلى الهدى فى جميع الأديان السماوية التوحيدية واحدة أيضاً، ولا يمكن أن يفرق بين عباده، بأن يجعل لأحدهم بيتاً مباركاً ذا رحمة وخير وبركة، ولا يجعل للآخرين مثله، وقوله تعالى:

وضع للناس و هدًى للعالمين يدل على ذلك المعنى.

لكنّ الناس عبر المسيرة البشرية حرّفت الأديان والتعاليم السماوية، والكتب المنزلة، كصحف إبراهيم عليه السلام، وتوراة موسى عليه السلام، وإنجيل عيسى عليه السلام، وزبور داود عليه السلام، إلى ما تشتهى الأنفس ويميل الهوى عندهم اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرّتهم الحياة الدنيا (۲)

، وابتعدوا تماماً عن الدين، إلّامن هدى اللَّه تعالى منهم، قال تعالى:

ولقد بعثنا فى كلّ امّةٍ رسولًا أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى اللَّه ومنهم من حقّت عليه الضلالة (۳)

.

فلما ابتعد أكثر الناس عن الدين الحنيف- دين اللَّه- عبدوا الأصنام،

---

۱- ۱ آل عمران: ۹۶.

۲- ۲ الأنعام: ۷۰.

۳- ۳ النحل: ۳۶.

ص: ۱۵۳

وتعدّدت الآلهة، وصُنفت إلى إله الشمس وإله القمر وإله الخير وإله الشر...، وقدّسوا ظواهر الطبيعة من أشجار وغابات وجبال وأنهار وكواكب ووديان وأفلاك. وبعضهم الآخر قدّس قبور الموتى وحيوانات معيّنة...

وجعلوا منها أماكن ومراكز يزورونها فى أوقات معيّنة وأكثرها زيارات الأعياد؛ لتكون زيارة جماعية موقتة بزمن ومكان، وإذا اجتمعت هذه الثنائية كوّنت حجّاً!.

الحج فى حضارة وادى النيل

اشتهرت أرض مصر الفرعونية بالهياكل، والمقابر الضخمة كالاهرامات، وبتعدّد الآلهة إلّافى زمن اخناتون الموحِّد للآلهة.

فالهياكل انتشرت فى أنحاء مصر القديمة وأشهرها «الكَرْنَكْ» و «الأُقصُر» و «إدْفُو» و «دَنْدارة». وهذه الهياكل بعضها محفور فى شاهقصخرى كمعبد «أبى سِنْبل» فى بلاد النوبة، الذى هو أشهر الهياكل وقيل أقدمها، وله أهمية كبيرة فى نفوس المصريين القدماء، وحين تولّى رمسيس الثانى عرش مصر نحته فى الصخر الحىّ وأتمّ بناءه (۱).

واعتقد المصريون بآلهة كثيرة، ولكنّهم آثروا عبادة اثنين كان لهم السبق على جميع الآلهة الاخرى، أحدهما (أوزيريس) الذى لم يقهره الموت، والآخر هو الشمس التى تبهر البصر بضيائها فى سماء مصر الصافية، هذا هو الإله «رع» الذى كان أعظم الآلهة المصرية كإله للأحياء، والذى أقام المصريون لعبادته أفخم معابدهم. ولم يكن الهرم إلّارمزاً مقدّساً له (۲).

وكانت الهياكل على شكلٍ كبير من الضخامة؛ لتليق بالآلهة- كما يعتقدون- كمعبد «الكرنك» الذى يبلغ طوله حوالى (۱۰۰) متر تقريباً. والتصميم المعتمد هو

---

۱- ۱ انظر قصّة الحضارة، ول ديورانت، مج ۱، ج ۲. وكتاب الحضارات:ص ۲۶- ۲۷، وكذلك موسوعة المورد: ۱/ ۳۰.

۲- ۲ انتصار الحضارة، چيمس هنرى برستر، ترجمة د. أحمد فخرى:ص ۹۴، الجامعة العربية.

ص: ۱۵۴

نفسه تقريباً فى كلّ الهياكل. وأقسامه الأساسية هى: بُرجان ضخمان عند المدخل، وأمام كلّ من البرجين تنتصب مِسَلّة حجرية وسارية ترفرف عليها أعلام. وفى بعض المعابد يحيط بالمدخلصفّان من تماثيل «أبى الهول» (۱) وفى نهاية المدخل بوّابة تؤدى إلى باحة محاطة بالأعمدة، وفى نهاية الباحة «بهو الأعمدة» الذى لا يدخله إلّاالكهنة والمتنفّذون. ويلى «بهو الأعمدة» حجرة سرّية تحيط بها مقصورات تعجّ بالنفائس، وفى وسطها المركب المقدّس. بينما تمثال الإله يوضع فى فناء المعبد (۲).

ثمصار الآلهة فى آخر الأمر بشراً- أو بعبارة أصحّ أصبح البشر آلهة، ولم يكن آلهة مصر من الآدميين إلّارجالًا متفوّقين أو نساء متفوّقات خُلقوا فيصورة عظيمة باسلة (۳). فقد ألّهوا (أزوريس) الذى أصبح قبره فيما بعد محجّةً لهم وللأجيال بعدهم. ويذكر لنا التاريخ أنّ المصريين القدماء كانوا يعتقدون أنّ آلهتهم تجتمع فى معبد «أوزيرس» بمدينة «أبيدوس» فى عيد هذا المعبود، فكانوا يحجّون إليه بهذه المناسبة، ولمدينة أبيدوس تاريخ دينى وسياسى مرموق، ففيها دُفن أقدم ملوك مصر، وإليها انتقلت عبادة «أوزوريس» وفى المكان المعروف اليوم «بأم العقاب» جعل المصريون قبره، وعُدت أبيدوس كعبة يطوفون بها حول قبر الشهيد «أزوريس» الذيصار لديهم (إمام الموتى) والشهداء، لا يدخلون الجنّة إلّامن بابه، ويبنون لهم فيها مزارات...» (۴).

ولهذا الشهيد اسطورة تحكيها لنا الكتابات المسجلة على جدران المعبد باللغة «الهيروغليفية». ولأهمية هذه الاسطورة الخرافية فى معتقداتهم بحيث يصبح قبر بطلها كعبة يُحج إليها كلّ عام، ويُقدّم لها كل غالٍ ونفيس، تقول الاسطورة: «إنّه فى قديم الزمان كان يحكم هذه البلاد ملك اسمه "جب "وكان له ولدان من الذكور واثنتان من الإناث. وزوّج الملك ابنه أوزوريس من اخته ايزيس، كما زوج ابنه

---

۱- ۱ أبى الهول: تمثال رأسه على شكل إنسان، ووجهه كالفرعون خفرع يرقى تاريخه إلى حوالى ۲۲۵۰ ق. م.

۲- ۲ كتاب الحضارات، لبيب عبدالساتر:ص ۲۷.

۳- ۳ قصّة الحضارة، مصدر سابق:ص ۱۵۹.

۴- ۴ راجع الموسوعة العربية الميسّرة، مصدر سابق:ص ۱۵۹.

ص: ۱۵۵

ست من أخته تفتيس.. ولأنّ أوزوريس كان طيب القلب عادلًا ملّكه أبوه الوديان الخضر والسهول والأنهار. أما ست الذى كان شرّيراً حاقداً فقد ملّكه أبوه أرض الصحارى القاحلة والرمال القفر. وكان أوزوريس موسيقياً بارعاً أحبّهُ الناس، فحقد عليه أخوه ست، وتآمر مع آخرين حتيصنعصندوقاً من الذهب الخالص بحجم أوزوريس، وزعم فى حفل أقامه أنّه يهديه لمن يتسع له..

فأقام مأدبة واستلقى فيه كثيرٌ حتى استلقى الأخ، فأمر ست بإغلاق الغطاء وإلقائه فى النيل. وراحت الأمواج تتقاذف الصندوق.. ووظّفت زوجته الوفية، ما لديها من علوم السحر، حتّى عرفت محلّه الذى استقر فيه الصندوق. فركبت سفينة انطلقت بها.. وتحايلت على ملك ببلوس الذى احتفظ بالصندوق، وكشفت له عن شخصيتها، وأماطت اللثام عن سيّدها، فسمح لها باسترداد الصندوق. وإذ حلَّ عليها المساء، نامت فوق الصندوق الذى فيه زوجها، فجاءتها الرؤيا وهى نائمة بأنّها حملت من روح زوجها، وعندما عادت إلى مصر اختفت ومعها الصندوق فى جزيرة فيلة خوفاً عليه من (ست). وظلّت مختفيةً حتى ولدت «حورس». وعثر (ست) على الصندوق، وقطّع جثة أوزوريس إلى (۱۶) قطعة بعثرها فى جميع مقاطعات مصر، وفتشت الزوجة الوفية فعثرت عليها إلّاالقدم اليمنى.. وكانت هذه القدم تجلب الخير والخصب والطمى؛ لتنمو ربوع مصر بالخير والفيضان للنيل، ومنذ تلك اللحظةصار أوزوريس ملكاً للموتى يتولى حسابهم فى الآخرة، وأصبح ابنه «حورس» من بعد هو الإله.. ونُصب له تمثال برأس الصقر الذهبى..» (۱).

---

۱- ۱ انظر قصة الحضارة، مصدر سابق:ص ۱۵۹- ۱۶۷. وانتصار الحضارة، مصدر سابق:ص ۹۳- ۹۴. ومجلة العربى، استطلاع: سليمان مظهر:ص ۱۴۲- ۱۴۳ منهم من اختصر القصّة ومنهم من فصّلها.

ص: ۱۵۶

كعبة الفراعنة

معبد «أبى سنبل» وفيه قبر «إمام الموتى والشهداء!» أوزوريس

ص: ۱۵۷

الحجّ فی حضارة وادی الرافدین

أمّا فی حضارة ما بین النهرین- السومریة والبابلیة والأکدیة والآشوریة- التی استمرّت ثلاثة آلاف عام، کان (الإله آنو) علی رأس (البانتیون)، وکانت الآلهة تخرج بملابس محمولة بشرف علی أکتاف الکهنة، فی أعیاد رأس السنة، وبمراسم خاصّة وطقوس خاصّة، وکانت لها أهمّیة ذات حدّین، وقد یقوم الإله بزیارة طقسیة إلی معبودات اخری بمناسبة الأعیاد الکبیرة، لذا فإنّ (نابو) فی بورسیا یزور بانتظام والده مردوخ فی عید رأس السنة الجدیدة فی بابل (۱).

وتعدّدت الآلهة فی وادی الرافدین بتعدّد المدن والدویلات، وحصر السومریون آلهتهم فی مجموعتین: الثالوث الأوّل ویتألّف من «آنو» إله السماء «وأنلیل» إله الأرض، و «إیا» إله المیاه الجوفیة، فجمعوا بذلک بین عناصر المادّة الثلاثة: السائل والهواء والجماد. والثالوث الثانی یتألّف من «شَمَشْ» إله الشمس، و «سین» إله القمر، و «أدَدْ» الذی یجمع کلّ عناصر الطبیعة. وأدَدْ هذا أدخله «الاکدیون» معهم من بلاد «أمورّو». وأضافت کلّ دولة إلهاً خاصّاً بها مثل «مردوخ» و «آشور» و «عشتار» و «نَبُو» (۲).

وأهم الأبنیة الدینیة عندهم هی المعابد والمقابر: وعُرفت المعابد باسم «الزقورة» أقدمها ما بناه السومریون، وأشهرها «برج بابل» حیث عُبد الإله «نَبُو» (۳).

وکان لکلّ مدینة مهمّة- فی بلاد ما بین النهرین- معبد مهم، وفی کلّ معبد برج شامخ یسمّونَهُ «زقورة» شکله مربّع فی المعابد المربعة، ومستدیر فی المعابد البیضویة، تراقب منه الکواکب والنجوم. نظراً لما لعلم الفلک من أهمّیة وتأثیر فی الحیاة الیومیة والدینیة، وکانوا یعلنون من خلاله بدایة رأس السنة الجدیدة، لیعلنوا بدایات الطقوس الدینیة السنویة لزوّار الزقورة فی المعبد. وقد کشفت التنقیبات الحدیثة عن زقورات عدیدة منها زقورة اورک ونیبور وآشور وخورس

---

۱- ۱ انظر عظمة بابل، د. هاری ساکز، ترجمة د. عامر إبراهیم:ص ۴۱۲.

۲- ۲ الحضارات، لبیب عبد الساتر،ص ۴۲.

۳- ۳ المصدر السابق،ص ۴۶ وقصّة الحضارة: مج ۱/ ج ۲، الباب التاسع بابل.

ص: ۱۵۸

ونمرود وماری وغیرها، وکانت هذه أماکن مهمّة (للحج) فی أعیاد رأس السنة المعروفة عندهم آنذاک علی ما یبدو..

«ویشیر لنزن H. Lenzen، وهو حُجة فی موضوع الزقورة، ویؤکد أن المعبد العالی- أعلی الزقورة- لم یکن مجرّد مکان لاستراحة المعبود، بل أن طقساً حقیقیاً کان یتمّ إجراؤه هناک. ولذا فقد کانت الزقورة بهذا المعنی «مذبحاً عظیماً» وفی داخل المعبد، قریباً من قاعدة الزقورة، کانت غُرفة الإله الرئیس، وعدد من المصلیات الصغیرة بالنسبة للمعبودات المرتبطة به، علی حین یوجد خارج هذا الهیکل الرئیسی ساحة کبیرة حیث تجتمع العامّة فی أوقات الأعیاد» (۱).

یبدو من کلّ ذلک ومن الطقوس والمراسیم والرحلات الجماعیة إلی الزقورة (۲)ومع ما یصطحبها من ذبح وقرابین وأعمال خاصة من النحور وبعض المراسم الطقسیة السنویة. أنّها- الزقورات- أماکن حج لتلک الأقوام.. وبالطبع هو حج وضعی غیر إلهی واضح من آلهتهم المتعدّدة وعبادتهم للآلهة البشر.

والجدیر بالذکر أنّ حضارة وادی الرافدین الطویلة فی الزمن وفی التاریخ، لابد من أن تکون هناک أماکن اخری محلیة قصدها الزوّار؛ لغرض أداء طقوس معیّنة وشکلیات منظمة یمکن أن تحسّها أنواعاً من حجّهم.. ولعل السبب فی عدم العثور علی تلک الحقائق هو طبیعة البناء عندهم، حیث کان ذا أساس طینی ممّا لم تبقِ الفیضانات له شیئاً عبر الزمن. وهذا خلاف طبیعة البناء المصری القدیم الذی غالباً ما یکون بناءصخریاً یحافظ علیه مناخ مصر الجاف آلافاً من السنین.

وهناک مذهب دینی فی حضارة وادی الرافدین یرجع تاریخه إلی عهدٍ قدیم، وهو مذهب الصابئة، یدّعی أصحابه: «أنّ معلمیهم الأوّلین هما النبیان الفیلسوفان عاذیمون (أی الروح الطیب) وهرمس، وقد قیل: إنّ عاذیمون هو شیث (۳) الابن الثالث لآدم علیه السلام، وإنّ هرمس هو النبی إدریس علیه السلام (۴). وکان أورفیوس أیضاً من فلاسفتهم وأنبیائهم» (۵).

---

۱- ۱ عظمة بابل، مصدر سابق:ص ۴۱۰.

۲- ۲ الزقورة: برج هرمی متعدّد الطبقات، یعتبر بمثابةصرح دینی نموذجی علی ما یصفه د. هنری س. عبودی فیمعجم الحضارات السامیة. والزقورة تبدو فی الصورة أعلاه کالکعبة وسط الحرم. فالزقورة وسط المعبد تحیطها ساحة کبیرة لاستیعاب الحجاج فی موسم رأس السنة.

۳- ۳ شیث: وتعنی هبة اللّه، وهو الجد الثالث لإدریس علیه السلام، وقد حکم فی الناس بعد أبیه آدم علیه السلام واستشرعصحفهوما أنزل علیه فی خاصته من الأسفار والأشراع.

۴- ۴ إدریس: تزعم الصابئة أنّه هرمس، ومعنی هرمس عطارد. وقد أنزل اللّه تعالی علیه ثلاثینصحیفة، وکان قد نزّل قبل ذلک علی آدم، إحدی وعشرینصحیفة، وأنزل علی شیث تسعاً وعشرینصحیفة فیها تهلیل وتسبیح.

۵- ۵ انظر: دائرة المعارف الإسلامیة، مجموعة من المستشرقین: مج ۱۴/ص ۸۹. وکتاب الملل والنحل للشهرستانی:ص ۴۷.

ص: ۱۵۹

وكانت هذه الفئة تسكن مدينة حرّان الواقعة فى الجنوب الشرقى من تركيا الحالية «وهى بين طريق الموصل والشام» (۱).

وحرّان: مدينة قديمة جدّاً تقع قرب منابع نهر البليخ بين الرها ورأس عين، وقد اشتهرت بأنّها موطن إبراهيم عليه السلام ولابان، ولكن شهرتها ترجع بصفة خاصة إلى أنّها (قصبة الصابئة) وموئل دينهم (۲). واشتهرت فى التاريخ أنّها مقر عبادة (سن) إله القمر الذى زيّن معبده أكثر من ملك من ملوك الآشوريين، ولم تتغيّر الأحوال فىالمدينة علىأثر انهيار سلطان الكلدانيين وقيام دولة الفرس (۳). وكانت مركزاً هامّاً فى طريق التجارة من نينوى إلى قرقميش، وكانت مركزاً لعبادة إله القمر الآشورى (۴).

وحرّان المدينة المقدّسة عند الصابئة، ومقصد حجّهم حيث معبدهم مقر «سن» إله القمر، «وفئة من الصابئة تحج إلى حاران- أو حرّان- التى هاجر إليها

---

۱- ۱ معجم البلدان، ياقوت الحموى، باب الحاء والراء.

۲- ۲ انظر دائرة المعارف الإسلامية: مج ۷/ص ۳۵۴.

۳- ۳ انظر المصدر السابق:ص ۳۵۵.

۴- ۴ الموسوعة العربية الميسّرة، مصدر سابق:ص ۶۹۵.

ص: ۱۶۰

إبراهيم عليه السلام، وينسب إليها الصابئة الحرّانيون» (۱).

والصابئة فرق متعدّدة، رغم قلّتهم، فمنهم من ينتمى إلى كاظم بن تارح، وقد ذكرهم المقريزى بين الفرق المختلفة، وكأنّهم يقابلون دين إبراهيم عليه السلام بدين أخ له ينتمى إلى تارح، أبى إبراهيم فى رواية العهد القديم (۲).

ويقال: إنّ الحرّانيين ينتمون إلى حاران أو هادان أخى إبراهيم عليه السلام وقد يكون هو نفسه المقصود (كاظم) ولا دليل لنا على ذلك.

وقد ذكر أبو ريحان البيرونى فى الآثار الباقية: «أنّ أوّل المذكورين من الصابئة: يعنى المتنبئين يوذاسف، وقد ظهر عند مضى سنة من ملك طمهورث بأرض الهند، وأتى بالكتابة الفارسية، ودعا إلى ملّة الصابئين فاتبعه خلق كثير، وكانت الملوك البيشدادية وبعض الكيانية ممّن كان يستوطن بلخ، يعظّمون النيرين والكواكب وكليات العناصر، ويقدّسونها إلى وقت ظهور زرادشت عند مضى ثلاثين سنة من ملك بشتاسف، وبقايا أولئك الصابئين (بحرّان) يُنسبون إلى موضعهم، فيقال لهم: الحرانية وقد قيل: إنّها نسبة إلى هاران بن ترخ أخى إبراهيم عليه السلام وأنّه كان من بين رؤوسائهم أوغلهم فى الدين وأشدّهم تمسّكاً به» (۳).

والصابئة الحرّانيون لهم أقوال وآراء فى إبراهيم الخليل عليه السلام يندى لها الجبين، نذكر هنا ما ينسبونه إليه عليه السلام فى خروجه عن دينهم: «إنّ إبراهيم عليه السلام إنّما خرج عن جملتهم؛ لأنّه خرج فى قلفته برص، وإنّ من كان به ذلك فهو نجس لا يخالطونه، فقطع قلفته بذلك السبب يعنى (اختتن) (۴)، ودخل إلى بيت من بيوت الأصنام، فسمعصوتاً منصنم يقول له: يا إبراهيم خرجت من عندنا بعيب واحد، وجئتنا بعيبين، اخرج ولا تعاود المجىء إلينا، فحمله الغيظ على أن جعلها جُذاذاً، وخرج من جملتهم، ثم إنّه ندم بعدما فعله، وأراد ذبح ابنه لكوكب المشتريصدق توبته ففداه بكبش» (۵).

وهناك فرقة اخرى من فرق الصابئة تسمّى (المنديا) (۶) أو الصبوة، وهى

---

۱- ۱ إبراهيم أبو الأنبياء، العقّاد:ص ۸۹.

۲- ۲ المصدر السابق:ص ۹۰.

۳- ۳ الميزان فى تفسير القرآن، العلّامة الطباطبائى: ۱/ ۱۹۴.

۴- ۴ مذهب الصابئة يحرّم الاختتان ويعتبر المختتن خارجاً عن الدين.

۵- ۵ الميزان، مصدر سابق: ۱/ ۱۹۴.

۶- ۶ المنديا: فرقة من الصابئة وتسمّى نصارى يوحنا المعمدان.

ص: ۱۶۱

فرقة يهودية نصرانية تمارس شعيرة التعميد فى العراق» (۱).

وهناك فرق اخر، أفرد الشهرستانى لهم ولشرح أقوالهم فصلًا مسهباً غاية الإسهاب فى كتابه الملل والنحل.

ومن الصابئة من يعظِّم بيت اللّه الحرام والكعبة الشريفة ويحج إليها كلّ عام، وجاء فى الأحاديث الشريفة، أن أنواعاً من الحج تعدّدت فى الجزيرة العربية قبل الإسلام، وكان أهمّها الحج الجاهلى والحج الحنفى والحج الصابئى.

وتدّعى هذه الفرقة من الصابئة أنّ الكعبة وأصنامها كانت لهم، وعبدتها كانوا من جملتهم وأنّ اللّات كان باسم زحل، والعزى باسم الزهرة» (۲).

«والمشهور عن الصابئة أنّهم يوقّرون الكعبة فى مكّة، ويعتقدون أنّها من بناء هرمس أى إدريس عليه السلام وأنّها بيت زحل أعلى الكواكب السيّارة، ويُنقل عنهم عارفوهم أنّهم قرأواصفة محمّدصلى الله عليه و آله فى كتبهم ويسمّونه عندهم ملك العرب» (۳).

وقد ذكرهم القرآن الكريم فى ثلاثة مواضع فقط، فى سورة البقرة، الآية ۶۲.

وفى سورة المائدة، الآية ۶۹، وفى سورة الحج الآية ۱۷.

والصابئة دين خليط يشبه الجميع فى بعض شرائعه، ويختلف مع الجميع فى بعض شرائعه الاخرى (۴).

---

۱- ۱ دائرة المعارف الإسلامية: مج ۱۴/ص ۸۹.

۲- ۲ الميزان، مصدر سابق.

۳- ۳ إبراهيم أبو الأنبياء، العقّاد:ص ۹۱.

۴- ۴ إبراهيم أبو الأنبياء، العقّاد:ص ۸۷- ۹۰.

ص: ۱۶۲

الحجّ فی الحضارة الفارسیة القدیمة

وفی الحضارة الفارسیة القدیمة طقوس ورسوم وعقائد وأفکار یطول تعدادها لو أردنا الدخول إلیها، ولکن لنأخذ مقطعاً من تأریخها ولیکن الدیانة الزرداشتیة؛ لأنّها أشهر دیانة وأعظم تعالیم تمسّک بها الفرس منذ «القرن العاشر أو السادس قبل المیلاد» (۱) حتی یومنا هذا توجد بقایا من أتباعه فی مدینة یزد الإیرانیة وفی الهند.

والذین یدینون بالزرداشتیة یعرفون أن تعالیمها تأتی من خمسة کتب مقدّسة ادّعی بها نبیّهم «زرادشت» (۲) أنّها من وحی الإله الواحد أهورا- مزدا إله النور والسماء.

ومن بین هذه الکتب المقدّسة کتاب «الیاسنا» الذی یهتم بالشعائر والطقوس، ویمکننا أن نلتقط من هذه الشعائر والطقوس ما یمکن أن یمثّل شکلًا من أشکال الحج، حیث الزیارات السنویة المقدّسة إلی المعابد فی الأعیاد الدینیة، وتقدیم الأضاحی والنذورات ومراسم مقدّسة أخری..

ومن تعالیم هذا الکتاب «التقوی» یقول وِل دیورانت: «ولمّا کانت التقوی أعظم الفضائل علی الإطلاق- عندهم- فإنّ أوّل ما یجب علی الإنسان فی هذه الحیاة أن یعبد اللّه بالطهر والتضحیة والصلاة. ولم تک فارس الزرادشتیة تسمح بإقامة الهیاکل أو الأصنام، بل کانوا ینشئون المذابح المقدّسة علی قمم الجبال وفی القصور أو فی قلب المدن، وکانوا یوقدون النار فوقها تکریماً لآهورا- مزدا، أو لغیره منصغار الآلهة. وکانوا یتخذون النار نفسها إلهاً یعبدونه ویسمّونها «أنار» ویعتقدون أنّها ابن إله النور.. وکانوا یقرّبون إلی الشمس، وإلی النار- التی لا تنطفئ طیلة العام- وإلی أهورا مزدا، القرابین من الأزهار والخیر، والفاکهة، والعطور، والثیران والضأن والجمال والخیل والحمیر وذکور الوعل، وکانوا فی أقدم الأزمنة یقرّبون إلیها الضحایا البشریة (۳)شأن غیرهم من الامم، ولم یکن للآلهة من هذه

---

۱- ۱ قصّة الحضارة، مصدر سابق: مج ۱/ ج ۲/ص ۴۲۵.

۲- ۲ زرادشت: مصلح إیرانی ظهر فی إیران قبل المسیح بمئات السنین، وله قصّة مثیرة ومؤثّرة فی نفوس أتباعه، قیل: إنّ امّه قد حملت به حملًا إلهیاً قدسیاً؛ ذلک أنّ الملاک الذی کان یرعاه تسرّب إلی نبات الهَوْما، وانتقل مع عصارته إلی جسم کاهن حین کان یقرّب القرابین المقدّسة. وفی ذلک الوقت نفسه دخل شعاع من أشعة العظمة السماویة إلیصدر فتاة راسخة النسب سامقة فی الشرف، وتزوّج الکاهن بالفتاة، وامتزج الحبیسان الملاک والشعاع، فنشأ «زرادشت» من هذا المزیج، وقهقهه حین ولادته ففرّت من حوله الأرواح الخبیثة، وأحبّ هذا الولید الحکمة والاصطلاح، ثم تجلّی له رب النور الإله الأعظم، ووضع فی یدیه الأبستاق أی کتاب العلم والحکمة، وأمره أن یعظ الناس. وهکذا ولد الدین الزردشتی. وعمَّر زرادشت طویلًا حتّی أحرقه ومیض برق، وصعد إلی السماء، انظر قصّة الحضارة: مج ۱/ ج ۲/ص ۴۲۴.

۳- ۳ کان تقدیم الضحایا البشریة قبل عهد زرادشت أی فی عهد المجوس الذی قضی علیهم زردشت.

ص: ۱۶۳

القرابين إلّارائحتها.. لأنّ الآلهة- على حدّ قول الكهنة- ليست فى حاجة إلى أكثر من روح الضحية (۱).

«وكان الأهلون- عامّة الشعب المتديّن- يجتمعون فى الأعياد وكلّهم يرتدون الملابس البيضاء. وكانت (الشريعة الأبستاقية) (۲) كالشريعتين الإبراهيمية والموسوية مليئة بمراسم التطهير والحذر من القذارة، وكان فى كتاب الزرادشتية المقدّس فقرات طويلة ممّا خصّت كلّها بشرح القواعد الواجب اتباعها لطهارة الجسد والروح» (۳).

ونفهم ممّا سبق أنّ لهم زيارات سنوية لمعابدهم يؤدّون فيها طقوساً خاصّة، ويلبسون الملابس البيضاء، ويقدّمون الضحايا ممّا يدلّ على أنّ لهم حجّاً بالمعنى اللغوى الذى فهمناه.

---

۱- ۱ قصّة الحضارة، مصدر سابق:ص ۴۳۳.

۲- ۲ الشريعة الابستاقية هى نفسها شريعة زرادشت وتنسب إلى كتابه المقدّس.

۳- ۳ قصّة الحضارة، مصدر سابق:ص ۴۳۹.

ص: ۱۶۴

الحجّ فی الحضارة الرومانیة

والحضارة الرومانیة کذلک عرفت الحج، ونظّمت طقوساً خاصّة به، ممّا یتعلّق بدیانتهم، وبنت الهیاکل الکبیرة (۱) المربعة منها والمستدیرة، وقدّمت للهیاکل هدایا وأضاحی ونذورات، وعددت الآلهة، وجعلت لکلِّ شیءٍ إلهاً، وتقرّبت للآلهة؛ لکسب عونها ورضاها، أو لاتقاء غضبها. وکان الکهنة یوصون الحجّاج أو زائری الهیاکل والمعابد أن یلتزموا بالدقّة فی ممارسة الطقوس والشعائر الخاصّة فی الاحتفال فی الأعیاد السنویة وغیر السنویة، وإذا وقع خطأ فی طقس من هذه الطقوس أیّاً کان نوعه، وجبت إعادته من جدید، ولو تطلّب ذلک إعادته ثلاثین مرّة (۲).

وکان أهم ما فی هذه الطقوس، التضحیة «وفی أکبر المناسبات أهمیة عید السو أفی یلیة (Su- ove- taur- illa) أی (عید الخنزیر والشاة والثور). وکانوا یعتقدون أنّه إذا تلیتصیغ خاصة علی التضحیة استحالت إلی إله یراد منه أن یتقبلها، وعلی هذا الاعتبار کان الإله نفسه هو الذی یضحی به» (۳).

وهناک مراسم اخری فی عید التطهیر «وکان احتفال التطهیر من أکثر هذه الطقوس متعة، وکان هذا التطهیر یحدث للمحصولات الزراعیة أو لقطعات الماشیة أو للجیش أو المدینة. وکانت الطریقة المتّبعة فی هذا الاحتفال أن یطوف موکب بالشیء المراد تطهیره، ویقدّم له الصلوات والذبائح والانشودة والرقیة، ورجاء الإجابة فانّ لم یجب فإن غلطة ما قد حدثت فی الطقوس المرعیة» (۴).

وهناک مکان آخر حجّ إلیه الرومان وهو إله القمر (دیانا) «وکانت- دیانا- فی زعمهم روح شجرة جیء بها من أریشة (Aricea) حینما خضع هذا الإقلیم من أقالیم لا ینوم لحکم رومة، وکان بالقرب من أریشیا بحیرة نیمی Nemi وأیکتها، وکان فی هذه الأیکة مزار دیانا ملجأ الحجاج، الذین یعتقدون أن هذه الالهة قد ضاجعت فی هذا المکان فربیوس Virbius ملک الغابات الأوّل، ولکی یضمن دوام

---

۱- ۱ أعظم هیکل رومانی هو هیکل یونو المنذرة أو الحارسة علی القمّة الشمالیة لتل الکپتول وعلی المنحدرالجنوبی من هذا التل یوجد معبد ساترن، ویرجع بناء ذلک المزار أو الهیکل- الذی هو أقدس مزارات رومة- یرجع تاریخه إلی عام ۴۹۷ ق. م. ولا زالت آثاره باقیة حتی الآن. انظر قصّة الحضارة: مج ۵/ ج ۱/ص ۲۹۳.

۲- ۲ المصدر السابق: ج ۲/ص ۱۳۳.

۳- ۳ المصدر السابق:ص ۱۳۵- ۱۳۶.

۴- ۴ المصدر نفسه.

ص: ۱۶۵

إخصاب ديانا وإخصاب الأرض كان خلفاء فربيوس- وهم كهنة الصائدة وأزواجها- يستبدل بهم جميعاً واحداً بعد واحد أى عبد قوى يعوذ نفسه بغصن (يسمى عندهم بالغصن الذهبى) يأخذه من شجرة البلوط المقدّسة إحدى أشجار الأيكة ويهاجم الملك ويذبحه. وقد بقيت هذه العادة إلى القرن الثانى بعد ميلاد المسيح» (۱).

أمّا رومة المسيحية فقد اتخذت أشكالًا أُخرى وأنواعاً من الحج سنتحدّث عنها فى (الحجّ فى الديانة المسيحية) وفى وقت آخر إن شاء اللّه تعالى.

الحجّ فى الحضارة الهندية

أمّا الهند فلا يمكن استيعابها بأسرها؛ لكثرة السكان واختلاف اللغات والأديان، فهى ليست أمّة واحدة كمصر أو بابل أو رومة، بل هى قارة بأسرها.

لقد تعدّدت الأديان فى الهند، وأخذت عقائدها الدينية ما يمثّل كل مراحل العقيدة من الوثنية البربرية إلى أدقّ وحدة فى الوجود وأكثرها روحانية منذ عام ۲۹۰۰ ق. م إلى يومنا هذا..

لقد وضع الهنود لهم أعياداً سنوية كغيرهم من الامم، وبعض هذه الأعياد يصاحبها حج إلى معبد أو ضريح أو هيكل معيّن، وممارسة بعض الطقوس والشعائر المتعلّقة به، كما وجدنا ذلك عند بقية الامم، فغالباً ما يكون الحج مصحوباً بعيد سنوى دينى.

والهنود قلّدوا ما قبلهم من الأقوام، الذين نطقوا باللغة السنسكريتية، ووضعوا الأدعية والصلاة وغيرها بتلك اللغة «فكانوا يسيرون مواكب عظيمة أو أفواجاً من الحجّاج، قاصدين الأضرحة القديمة، ولم يكونوا ليفهموا ما يُقال من عبارات الصلاة فى تلك المعابد؛ لأنّها كانت تقال «بالسنسكريتية»، لكنّهم كانوا يفهمون الأوثان، فيزينونها بالحُلى ويطلونها بالطلاء، ويرصعونها بكريم الأحجار، وكانوا أحياناً يُعاملونها كأنّها كائنات بشرية..» (۲).

---

۱- ۱ المصدر السابق:ص ۱۲۸.

۲- ۲ قصة الحضارة: مج ۲/ ج ۳/ص ۲۲۴- ۲۲۵.

ص: ۱۶۶

وأعظم الطقوس الجماعية عندهم هى تقديم القرابين، فالقربان عند الهندى ليس مجرّدصورة خاوية؛ لأنّه يعتقد أنّه إذا لم يقدمه للآلهة طعاماً تموت جوعاً. ولما كان الإنسان فى مرحلة أكل اللحوم البشرية، كانت القرابين فى الهند كما فى غيرها من بلاد العالم قرابين أو ضحايا بشرية.. فلمّا تقدّمت الأخلاق أخذت الآلهة تكتفى بالحيوان قرباناً (۱).

وهناك مركز رئيسى للحج عند الهنود منذ القرن ۱۶ ق. م وهو مدينة بنارس الجليلة القدر عندهم، كعبة يحجّون إليها سنوياً يقدّسها البوذيون والچين، ويقصدها سنوياً حوالى مليون حاج؛ لزيارة معابدها وأضرحتها التى تمتد ۶۵ كم بموازاة الجانج، وبها المعبد الذهبى (۲).

يقول ول ديورانت فى شأن هذه المدينة:

«.. وبنارس هى المدينة المقدّسة للهند، إذ باتت كعبة الملايين من الحجّاج، يؤمّها الشيوخ من الرجال والعجائز من النساء جاءوا من كل أرجاء البلاد؛ ليستحموا فى النهر المقدّس (نهر الكنج) حتى يستقبلوا الموتى برآء من كل إثم أطهاراً من كلّ رجس. إنّ الإنسان ليأخذه الخشوع، بل يأخذه الفزع، حين يتذكّر أنّ أمثال هؤلاء الناس قد حجّوا إلى بنارس مدى ألفى عام، وغمسوا أنفسهم فى مياهها، وهم يرتعشون من لذعة البرد فى فجر الشتاء، وشمّوا بنفس متقززة لحم الموتى وهو يحترق، فعلوا كلّ ذلك وهم يفوهون بنفس الدعوات التى كان يقينهم أن تجاب، فعلوا ذلك قرناً بعد قرن، وتوجّهوا بالدعاء إلى نفس الآلهة التى لبثت عليصمتها، لكن عدم استجابة إله من الآلهة لا يحول دون تعلّق القلوب به، فلا تزال الهند تعتقد اليوم بنفس القوّة، التى كانت تعتقد بها فى أى عصر مضى فى الآلهة، الذين لبثوا كلّ هذا الزمن ينظرون إلى فقرها وبؤسها، فلا تأخذهم من أجلها رحمة (۳). وما زال السيخ يحجّون إلى هذا المعبد (۴).

هذا نموذج لحج الهند القديمة، وإذا تقدّمنا فى الزمن بعيداً من ذلك التاريخ..

---

۱- ۱ المصدر نفسه.

۲- ۲ الموسوعة العربية الميسّرة:ص ۴۰۷.

۳- ۳ قصة الرحمة: مج ۲/ ج ۳/ص ۲۲۷.

۴- ۴ انظر موسوعة المورد: مج ۵/ص ۱۱.

ص: ۱۶۷

تقدّمنا إلى الهند فى القرن الثامن الهجرى، فسنجد نوعاً آخر من الحج المنحرف ينسبه أصحابه هذه المرّة إلى الإسلام، ذلك هو الحج على المـذهب الـذِكْرى، وقـد أسّـس هذا المذهب: محمد المهدى الأتكى وضـمّن آراءه فى كتابه البرهان. وتبدأ قصّة هذا الحج كما كتبها (أحمد مولانا عبدالخالق رحمه الله) قال:

«كـان الضـال ملّـا محمّـد المهـدى الأـتكى يسـكن فى البنجـاب، وانتقـل منه من موضع إلى موضع حتى وصل إلى موضع مشـهور فى بلوشسـتان المسـمّى ب (كيـج) وبـدأ يسـتفيد من جهّال هـذه المدينـة اسـتفادة باطلة، ويدّعى بأنّه «المهدى الموعود» فصار مقبولًا عند الخـاص والعـام، ولم يمر وقت طويـل حتّى كتب كتابـاً ينـبئ فيه امّته المضـلة بـأنّه قـد نُسـخت الشـريعة المحمّديـة بمجيئه فى الـدنيا، واعتقادها كفر ولا يحاسب أحد يوم القيامة عن أركانها الأربعة من الصوم والصلاة والحج والزكاة» (۱).

وبهـذا الكلام اسـتطاع محمـد الاـتكى أن يصـرف المسـلمين سـكّان تلـك المنطقـة عن الصوم والصـلاة والزكاة، والحـج إلى الكعبة المشـرّفة؛ وابتكر لهم حجّاً مشابهاً للحـج الاسـلامى المحمّـدى لأماكن شبيهـة بمقـدّسات مكّة المكرّمة كجبل عرفات وجبل ثور وغار حراء، وبنى لهم كعبة ليحجّوا إليها..

ويضـيف أحمـد مولانا قائلًا: «والحـجّ:- لا يحـج معتقـدو هـذا المـذهب- المذهب الذِكْرى- إلى بيت اللّه الحرام الذى أمر المسـلمون بزيـارته. والحـج فى الأشـهر الحرام به، وإنّمـا اتخـذوا جبلًا معروفاً باسم (كوه مراد) حجّاً لهم حيث يقع فى جنوب مدينـة (تربت) وهو منسوب إلى نائبه الضال (ملّا مراد) ساكن تلك المدينة، فيحجّون فى الأيام الأخيرة من شهر رمضان بدايةً من ۲۷ من رمضان ويستغرق ثلاثة أيّام» (۲).

ويضـيف أحمد مولانا أيضاً: «إنّ محمد الأتكى ادّعى أن كتابه (البرهان) (۳) أو بلغتهم (بركهور) كـان ينزل عليه فى جبل (كوه إمام) من خلال «مهبط الالهام» أو

---

۱- ۱ الفاروق، مجلّة إسلامية ثقافية، فصلية تصدر عن رئاسة الجامعة الفاروقية، باكستان:ص ۳۶ العدد ۵۴/ ۱۹۸۸ م.

۲- ۲ المصدر السابق:ص ۳۷.

۳- ۳ البرهان: كتاب ألّفه محمّـد الاتكى مؤسـس المـذهب الذكرى، وادّعى أنّه قرآنهم الجديد النازل عليه من السـماءوالناسخ لقرآن محمّـد بن عبداللّهصـلى الله عليه و آله. وفيه كـلّ تعـاليم المـذهب، وفيه أحـاديث عن الرسولصـلى الله عليه و آله تؤكّـد ظهـور محمد المهدى الاتكى فى القرن الثامن الهجرى.

ص: ۱۶۸

الوحی تحت الشجرة، وجعل لهم هذا الجبل (کغار حراء) ثم اتخذ لهم میداناً واسعاً کعرفة، حتی إذا أرادوا الحج ذهبوا لزیارته، وهو میدان یسمّی (بکوه دن) و «کارتیزهزئی» الذی کان نهراً أو منبعاً للماء أصبح لهم بئر زمزم کما فی مکة، ولکن من سوء حظّهم نضب ماؤها الآن بأفعالهم الخبیثة» (۱).

والطریف أنّ معتنقوا هذا المذهب یؤکّدون بأن للرسول محمّدصلی الله علیه و آله أحادیث تؤکّد وتبشِّر بمجیء إمامهم الموعود (محمّد المهدی) فنری الشیخ محمد قصر قندی فی نسخته القلمیة یقول:

«إنّ أبا بکر الصدیق سأل رسول اللّهصلی الله علیه و آله: متی یکون خروج المهدی؟

فقالصلی الله علیه و آله: السلام: «فقد یجیءُ بعد مماتی فی بلاد الهند سنة سبع وسبعین وتسعمائة اسمه کاسمی واسم أبیه کاسم أبی» (۲).

الحج فی الصین

والصین کالهند، فهی لیست موطناً موحّداً لُامّة واحدة، بل هی خلیط من أجناس مختلفة الأصول متباینة اللغات غیر متجانسة.

وقد حدّثنا المؤرِّخون بأحادیث مفصّلة عن تاریخها منذ (۳۰۰۰ ق. م) حتی العصر الحدیث، عن عاداتهم، وتقالیدهم ودیاناتهم... ولو أردنا استیعاب ذلک بأسره لطال الحدیث بنا، ولکن لنأخذ نموذجاً یعطیناصورة منصور حجّهم وطریقتهم فی الحج، علماً أن أشهر هیکل حج إلیه الصینیون کان «هیکل السماء ومذبحه» اقتداءً بسنّة الإمبراطور العظیم «تای دز ونج»: الذی کان یأتی هذا الهیکل فی الساعة الثالثة منصباح رأس السنة الصینیة للصلاة والدعاء لأسرته بالتوفیق والفلاح ولشعبه بالرخاء، ویقرب القربان للسماء التی یرجو أن تکون بصفّهِ لا فیصفِّ عدوّه. وموقع هذا الهیکل بالقرب من سور «پیچنج» التتاری الجنوبی، ویتکوّن مذبح هذا الهیکل من سلسلة من الدرج والشرفات الرخامیة، التی کان لعددها الکبیر ونظامها أثر سحری فی نفوس الزائرین، والهیکل نفسه

---

۱- ۱ الفاروق، مصدر سابق:ص ۳۷.

۲- ۲ المصدر نفسه:ص ۳۶.

ص: ۱۶۹

(بجودة) معـد من ثلاث طبقات قائمة فوق ربوة من الرخام ومشيّدة من الآجر والقرميد الخاليين من الرونق. وقد نزلتصاعقة من السـماء على هـذا المعبد فى عام ۱۸۸۹ م فأصابتهُ بضـرر بليغ (۱). وهـذا الهيكل كان لعامّـة الشـعب أى كان معبداً عامّاً للجميع. وهناك معبد وهيكل مخصّص للديانة الرسمية، وهو الذى أمر ببنائه

هيكل السماء فى پينج

الامبراطور المـذكور أعلاه «تاى دزونج»، فلمّا تربّع هذا الامبراطور العظيم على العرش أمر أن يشاد هيكل ل «كنفوشـيوس» (۲) فى كلّ مدينـة وقرية فى جميع أنحاء الامبراطورية، وأن يقرب لها القرابين (۳). وبنى هيكلًا خاصّاً للديانة الرسـمية فى «پيكنج» والمسمى بهيكل «كنفوشيوس»، وحارسه پاى- لو، وكان فخماً محفوراً أجمل حفر..

وقـد أدخلـت عـدّة تعـديلات عليـه، وأُعيـد بنـاء بعض أجزائه عـدّة مرّات، وقـد وضـعت لوحـة روح أقـدس القديسـين المعلم والأدب كنفوشيوس على قاعدة خشبية فى مشكاة مفتوحة فى الهيكل، ونقشت العبارة الآتية فوق المذبح الرئيسى: «إلى

---

۱- ۱ قصّة الحضارة: مج ۲/ ج ۴/ص ۱۸۲- ۱۸۳.

۲- ۲ كنفوشيوس: ولد عام ۵۵۱ ق. م فى مدينـة تشو- فو إحدى البلاد التى كانت تكوِّن وقتئذ مملكة لو، والتى تكون الآن ولاية شان توبـخ. وصار فيلسوفاً، ومعلّماً محبوباً تهوى إليه القلوب، وألَّف خمسـة مجلّـدات أسـماها كتب القانون الخمسـة ولما مات عن عمر ۷۲ سنـة واراه تلاميذه التراب باحتفالٍ مهيب جدير بما تنطوى عليه قلوبهم من حبٍّ له وإجلال، وأحاطوا قبره بأكواخٍ لهم أقاموا فيها ثلاث سنين يبكون كما تبكى الأبناء على آبائهم. ثم بنى الامبراطور العظيم فوق قبره هيكلًا ومعبـداً وأصـبح مكاناً يحجّ إليه الصـينيون آلاف الأعوام.

۳- ۳ قصة الحضارة: مج ۲/ ج ۴/ص ۶۶.

ص: ۱۷۰

المعلِّم الأعظم والمثال الذى تحتذيه عشرة آلاف جيل» (۱)..

ويمكن تسجيل عدد آخر من الأماكن العبادية المناسبة للحج، ولكن نكتفى بهذين النموذجين اللذين يعتبران أكثر الأماكن أهمّية وقصداً للزيارة فى تاريخ الصين.

الحجّ فى اليابان

وحين ننتقل إلى اليابان نجدها قد تأثّرت بالصين بكثير من الامور كالفلسفة والعقائد الدينية وفن بناء المعابد وغيرها.. غير أنّ معابد اليابان كانت أغنى من معابد الصين زخرفاً وأرقى نحتاً. فما يُرى فى معابد اليابان من بوّابات فخمة على طول المرتقى أو المدخل الذى يؤدّى إلى الحرم المقدّس وغيرها لا يُرى فى معابد الصين.

واعتادت فئة فى اليابان على تقديس أرواح أسلافها فحيث تلتقى عبادة أرواح الأسلاف بالطقوس البوذية (۲) فى تعايش سلمى منسجم، تقوم معابد (الشينتو)- أى معابد تقديس أرواح الأسلاف- مستقلة عند المعبد البوذى ومجاورة له وتسمّى فى لغتهم: «فوجى ياما». ولفظة فوجى تعنى «النار» (۳).

كما يؤمون المعابد البوذية فى مدينة «نارا» حيث أقسم أسلافهم القدماء هناك على تحرير وطنهم من التبعية لإمبراطور الصين، فأصبح معبدها محجّةً لهم، ولم تكن ديانة «شنتو» بحاجة إلى تفصيل مذهبى أو طقوس معقّدة أو تشريع خلقى، ولم تكن لها طبقة من الكهنة خاصة بها، كلا! ولا تذهب إلى ما يبعث العزاء فى نفوس الناس من خلود الروح ونعيم الفردوس، فكان كلّ ما تطالب به من معتنقيها أن يحجّوا آناً بعد آن لأسلافهم وأن يقدّموا لهم ضراعة الخاشعين، ويضحّوا بالقرابين ويقدّموا النذور وغيرها (۴).

ويمكن أن نعدّ فى اليابان نوعاً آخر من الحج يتعلّق بالزهور ويمكن أن نسمّيه (حج الزهور):

---

۱- ۱ المصدر نفسه:ص ۱۸۲.

۲- ۲ البوذية كانت تمارس فى اليابان ولكن دخلت تعاليمها عام ۵۲۲ م من الصين بتفاصيل، وكان على الرجل‌اليابانى أن يختار لنفسه مذهباً من عدّة مذاهب فى البوذية، أو أن يختار لنفسه سبيلها فى حجصبور إلى حيث دير «كوپاسان» وهناك يبلغ الجنّة بأن يدفن فى أرض تقدّست بفضل ما فيها من عظام «كوبوداىشى» ذلك العظيم فى علمه وفى تديّنه وفى فنّه.

۳- ۳ موسوعة المورد: ۴/ ۱۷۷.

۴- ۴ انظر قصّة الحضارة: مج ۳/ ج ۵/ص ۱۰- ۱۴.

ص: ۱۷۱

فالزهور عند اليابانيين بمثابة الدين، فهم يعبدونها عبادة تشيع فيها روح التضحية بالقرابين، ويلتقى فيها أفراد الشعب جميعاً، وهم يرقبون فى كلّ فصل من فصول العام ما يلائمه من زهور، فإذا ما أزهرت شجرة الكريز مدى اسبوع أو اسبوعين فى أوائل شهر ابريل، يخيل اليك أنّ أهل اليابان جميعاً قد تركوا أعمالهم ليحدجوا فيها بأبصارهم، بل ليحجّوا إلى الأماكن المقدّسة التى تزخر بهذه المعجزة، ويكمل فيها إزهار هذا الضرب من الشجر (۱).

حجّ الأنبياء والحضارات

لقد قرأنا الحج فى الحضارات فى النقاط السابقة، ولنا أن نتساءَل... أين عاش الأنبياء، أليس هم بشراً جاؤوا لإرشاد الناس، وأين كان الناس أليسوا هم أبناء الحضارات المختلفة المنتشرة فى العالم؟

---

۱- ۱ قصّة الحضارة، المصدر السابق:ص ۵۹.

ص: ۱۷۲

الحقيقة أنّ الأنبياء وهم كثيرون جدّاً، لابدّ من أنّهم عاشوا فی ثنايا الحضارات المختلفة يرشدون الناس، ويدلونهم على طريق اللّه الصائب، وعلى الرغم من أننا نعرف أنّ إبراهيم عليه السلام عاش فی حضارة وادی الرافدين، ويوسف وموسى عاشا فی حضارة وادی النيل، وأنبياء بنی إسرائيل عاشوا فی الحضارة الفينيقية وغيرها وآخرين فی حضارات اخرى، إلّاأننا لا نعرفهم جميعهم كما جاؤوا فی أحاديث نبيّناصلی الله عليه و آله والأئمّة الأطهار عليهم السلام أنّهم (۱۲۴) ألف نبیّ أو أكثر و (۳۰۰) رسول أو أكثر.

ولكن على أیّ حال لابدّ من أن نذكّر أنّ ما تبقى من الشعائر الصحيحة فی تلك الحضارات هی لا شك جاءت بفضل كثرة الأنبياء، الذين عاشوا فی تلك الحضارات. فقد كان الأنبياء فی كلّ الحضارات القديمة، القدوة الحقيقية لشعوبهم، بل ولكلّ العالم، وتصرّفاتهم مستمدّة من السماء لا يفعلون شيئاً شائناً مضرّاً بالناس، وإلّا لا يمكن وصفهم بالأنبياء والقدوة، فالمقتدى به يجب أن يكون أفضل الناس.. وهكذا كان الأنبياء فی كلّ مكان وزمان. ولمّا كان الحج فريضة أمر اللّه تعالى بها، فقد كانوا أولى المبادرين إليه، وكانوا أفضل من يقوم به ويؤدّی شعائره وممارسته..

فقد جاء فی الروايات عن النبیّ محمّدصلی الله عليه و آله وعن أهل بيته الكرام عليهم السلام، فی حج الأنبياء، أنّ الأنبياء والرسل مارسوا الحج جميعهم إلى بيت اللّه الحرام، ولم يتخلّف نبیٌّ واحد عن هذا المسار الربّانی السماوی.. وإليك بعض الأحاديث:

عن الحلبی: سُئِل أبو عبداللّه الصادق عليه السلام عن البيت أكان يحجُّ إليه قبل أن يبعث النبیّ محمّدصلی الله عليه و آله؟ قال: «نعم وتصديقه فی القرآن الكريم قول شعيب حين قال لموسى حيث تزوّج: على أن تأجرنی ثمانی حجج ولم يقل ثمانی سنين، وأنّ آدم ونوحاً حجّا، وسليمان بن داود قد حجَّ البيت بالجن والإنس والطير والريح، وحجّ موسى على جمل أحمر يقول: لبيك لبيك، وأنّه كما قال اللّه: إنّ أوّل بيتٍ وضع

ص: ۱۷۳

للناس للذى ببكة مباركاً وهدًى للعالمين، وقال: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، وقال: أن طهّرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود وأنّ اللّه أنزل الحجر لآدم وكان البيت» (۱).

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال قائل: فَلِمَ جعل وقتها فى ذى الحجّة؟ قيل: لأنّ اللّه تعالى أحبَّ أن يُعبد بهذه العبادات فى أيّام التشريق، فكان أوّل ما حجّت إليه الملائكة وطافت به فى هذا الوقت، فجعله سُنّة ووقتاً إلى يوم القيامة. فأمّا النبيّون آدم ونوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمّد (صلوات اللّه عليهم) وغيرهم من الأنبياء إنّما حجّوا فى هذا الوقت، فجُعلت سُنّة فى أولادهم إلى يوم القيامة» (۲).

وجاء فى أخبار مكة للأزرقى، قال: «ما بين الركن إلى المقام إلى زمزم قبر تسعة وتسعين نبيّاً جاءوا حُجّاجاً فقبروا هنالك» (۳).

البيت الحرام، وجهة حج الأنبياء

---

۱- ۱ بحار الأنوار: ۹۹/ ۹۴.

۲- ۲ المصدر السابق:ص ۴۳.

۳- ۳ أخبار مكّة، الأزرقى.

ص: ۱۷۴

الحجّ فی الجاهلیة

والجاهلیون فی الجزیرة العربیة ونواحیها قدّسوا البیت الحرام والکعبة الشریفة ومنی وعرفات، وطافوا ولبّوا ونحروا ورموا الجمرات وأحرموا، وکان حجّهم یبدأ فی الیوم التاسع من شهر ذی الحجّة، وعندما یصل الحجاج إلی عرفة، یرتدون لباساً خاصّاً بالحجّ، قال الجاحظ فیهم:

«کانت سیماء أهل الحرم إذا خرجوا إلی الحلِّ فی غیر الأشهر الحُرم، أن یتقلّدوا القلائد، ویُعلّقوا علیهم العلائق، فإذا أوذم أحدهم الحج، تزیّا بزیّ الحاج» (۱).

وکان الحج الإبراهیمی المحور الأساس فی الحج الجاهلی، ولم یحفظ العرب من شریعة إبراهیم علیه السلام شیئاً إلّاالحج فی مظاهره، غیر أنّهم زادوا فیه وحذفوا منه، وأدخلوا الأصنام فی الکعبة الشریفة، حتّی بلغ عددها أکثر من (۳۰۰۰)صنم، علی رأسها هُبل واللات والعزی ومناة... «.. وهم بعدُ یعظّمون الکعبة ومکّة، ویحجّون ویعتمرون، علی إرث إبراهیم وإسماعیل علیهم السلام..» (۲).

«ومنهم علی ذلک من بقایا عهد إبراهیم وإسماعیل یتنسّکون بها: من تعظیم البیت، والطواف به، والحج، والعُمرة، والوقوف علی عرفة ومزدلفة، وإهداء البُدن، والإهلال بالحج والعُمرة، مع إدخالهم فیه ما لیس منه» (۳).

وذکر القرآن الکریم حجّهم وأعمالهم عند بیت اللّه الحرام، بأنّها مزیج من الشرک والتفاخر والتجارة والهرج والمرج، قال تعالی: وما کانصلاتُهم عند البیت إلّامُکاءً وتصدیة (۴)

ویتنسّکون عنده مناسک یسمّونها الیوم أعیاداً وموالد کشأن الجاهلیة الاولی، وکلّ ذلک لا یصیب به تشریع اللّه.. إلّامن حمله الهوی أو الجهل أن یرکب رأسه فیقول، بغیر علم ولا بیّنة..» (۵). وقد عبّر عنهم القرآن الکریم بقوله تعالی:

إن یتّبعون إلّاالظن وما تهوی الأنفس ولقد جاءهم من ربّهم الهدی أم

---

۱- ۱ البیان والتبیین، الجاحظ: ۳/ ۶۵.

۲- ۲ کتاب الأصنام، الکلبی:ص ۶.

۳- ۳ المصدر نفسه.

۴- ۴ الأنفال: ۳۵.

۵- ۵ دائرة المعارف الإسلامیة، مصدر سابق، المعلق فی الحاشیة محمد حامد الفقی:ص ۳۰۵.

ص: ۱۷۵

للإنسان ما تمنّى (۱)

.

وكـان لكلّ قبيلـة من قبائل العرب فى الجاهليـة،صـنمها الخاص بها تهلل حوله حتى تصل مكّـة، وكان عبّاد كلّصـنم إذا أرادوا الحـج، انطلقوا إليه، وأهلّوا عنـده ورفعوا أصواتهم، ووقفت كلّ قبيلـة عندصـنمها وصـلّت عنده، وكانوا عند ترديد التلبية يصـفقون ويصـفرون (۲). وكانت التلبية هى: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك! إلّا شريكٌ هو لك! تملكُهُ وما مَلَكْ! (۳).

وكان من شـعائرهم فى الطواف، أو لبعض منهم أن يطوفوا عرايا متجرّدين من كلّ ثيابهم، وهى شـعيرة وثنيـة واضـحة على الانحراف، وقد ذكر ذلك القرآن الكريم وكُتب الأحاديث والسير وكتب التاريخ.

والجـدير بالـذكر أنّ الحـج إلى «بيت اللّه الحرام» فى زمن الجاهليـة لم يكن مقتصـراً على العرب فقط، فقـد ذكر لنا التاريخ أن الفرس وغيرهم حجّوا إليه وعظّموه وقـدّموا إليه الـذهب والفضّـة والقرابين والنـذورات وغيرها.. فقـد جاء فى مروج الذهب للمسـعودى: «وقد كانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام، وتطوف به، تعظيماً له».

والمكاء: الصـفير، بصـيغة المبالغة طائر بالحجاز شديد الصفير، ومنه المثل السائر: (بنيك حمّرى ومكئكينى) والتصدية التصفيق بضرب اليـد على اليد، والمعنى أنّ المشـركين فى الجاهلية كان حجّهم وأعمالهم عند البيت الحرام، ما هى إلّا ملعبة من المكاء والتصدية (۴). وهرجاً ومرجاً لا خشوع فيها ولا خضوع، لأنّها كانتصفيراً بالأفواه، وتصفيقاً بالأيدى (۵).

وقـد ورد عن الحـج فى الجاهليـة: «أنّه كان يقام فى الجاهلية كلّ عام سوقان فى شـهر ذى القعدة أحدهما فى عكاظ والآخر فى مجنة، وكان يتلوهما فى الأيام الاولى من ذى الحجـة سوق ذى الحجاز، ومنه يخرج الناس إلى عرفات مباشـرة.. وكان الحـج إلى عرفات يقع فى التاسع من ذى ا لحجة، وكانت شتّى قبائل العرب

---

۱- ۱ النجم: ۲۳.

۲- ۲ كتاب الأصنام:ص ۷.

۳- ۳ انظر أخبار مكة: ۱/ ۷۵. وتاريخ اليعقوبى: ۱/ ۲۹۶.

۴- ۴ الميزان: ۹/ ۷۴.

۵- ۵ الكاشف: مج ۳/ص ۴۷۵.

ص: ۱۷۶

تشترک فیه» (۱).

وللحج فی الجاهلیة مظاهر خاصّة من أعمال وحرکات عابثة وأفعال لا معنی لها؛ لأنّها رموز وشعائر ومناسک مقتبسة وغیر مقتبسة وتلبیات، دون حضور قلب وهدی، بل حضور هوی وعصبیة قبلیة، ومحبّة وإخلاص للأصنام التی لا تنفع ولا تضرّ ولا تعی ولا تسمع ولا تغنی عنهم شیئاً.

«والواضح الذی لا شکَّ فیه: أنّ الوثنیین قد اتخذوا بما أوحی إلیهم الشیطان، معابد وهیاکل یحجّون إلیها. لیس العرب وحدهم ولا فی القدیم فقط، بل الناس هذا شأنهم حین تغلب علیهم الجاهلیة، ویُشرعون من الدین ما لم یأذن به اللّه. فقد أقاموا من قبور أولیائهم ومن تماثیل معظمیهم الذین غلوا فیهم، فأعطوهم الآلهیة، ما یحجّون إلیه کلّ عام ولجدِّها إبراهیم علیه السلام، وتمسّکاً بهدیه، وحفظاً لأنسابها، وکان آخر من حجّ منهم ساسان بن بابک وهو جدّ أردشیر بن بابک، وهو أوّل ملوک ساسان وأبوهم الذی یرجعون إلیه... فکان ساسان إذا أتی البیت طاف به وزَمْزَمَ علی بئر إسماعیل» (۲).

وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الإسلام بذلک، فقال:

وما زلنا نحجُّ البیتَ قِدْما ونلقی بالأباطح آمنینا

وساسان بن بابک سار حتی أتی البیت العتیق یطوف دینا

فطاف به، وزمزم عند بئر لإسماعیل تروی الشاربینا (۳) وقال المسعودی أیضاً: «وکانت الفرس تهدی إلی الکعبة أموالًا فیصدر الزمان، وجواهر، وقد کان ساسان بن بابک هذا أهدی غزالین من ذهب و جواهر وسیوفاً وذهباً کثیراً فقذفه فی بئر زمزم» (۴).

ثم یضیف قائلًا: «وقد ذهب قوم من مصنّفی الکتب فی التواریخ وغیرها من

---

۱- ۱ دائرة المعارف الإسلامیة: مج ۷/ مادة الحج/ص ۳۰۴- ۳۰۵.

۲- ۲ مروج الذهب، المسعودی: ۱/ص ۲۵۴.

۳- ۳ المصدر السابق.

۴- ۴ المصدر نفسه:ص ۲۵۵.

ص: ۱۷۷

السير أن ذلك كان لجرهم حين كانت بمكّة، وجرهم لم تكن ذات مال فيضاف ذلك إليها، ويحتمل أن يكون لغيرها، واللَّه أعلم» (۱).

البيت الحرام

وجهة حج الجاهلية أيضاً-

الهوامش:

---

۱- ۱ المصدر السابق.

ص: ۱۷۸

ص: ۱۷۹

ص: ۱۸۰

ص: ۱۸۱

## مهمّات مشبوهة فی الدیار المقدّسة (۳)

ص: ۱۸۲

مهمّات مشبوهة فی الدیار المقدّسة (۳)

حسن السعید

یهود ونصاری متنکّرون بثیاب عربیّة.. وأسماء إسلامیة!

مع تزاید قوّة أوروپا، فی القرون المتأخّرة، وضعف العالم الإسلامی..

انطلقت فی الغرب موجة من الاهتمام الظاهری بما هو عربی قادم من جزیرة العرب، وأخفی ذلک الاهتمام الحقیقی الناتج عن اعتبارات سیاسیة واستراتیجیة.

وبدا للحظة من الزمن أنّ همّ الاوروپیین منصرف للتعرّف علی الأماکن المقدّسة بالذات، ومحاولة رصد تحصیناتها، ومعرفة طبائع السکّان وتقالیدهم، والتعرّف علی المراسیم الدینیة کالحجّ، ودورها فی حیاتهم (۱).

وفی هذا الاتجاه، انتهینا فی الحلقتین السابقتین إلی ما خلاصته:

فی نهایة القرن السابع عشر وبدایة القرن الثامن عشر، کانت قد توفّرت لدی الغربیین المعلومات الأساسیة عن شبه جزیرة العرب: عن المدینتین المقدّستین، والیمن والبدو.

کما أنّ من الواضح أنّ «دی فارتیما» وحده کان، حتی هذا التاریخ، هو الرائد،

---

۱- ۱ یُراجع مقال؛ «رجال علی ظهر الرمال العربیّة» للاستاذ عبدالرحیم حسن، مجلّة العالم لندن- العدد ۲۷۶: ۲۷ آیار مایو ۱۹۸۹ م- ۲۲ شوال ۱۴۰۹ ه،ص ۵۰.

ص: ۱۸۳

أمّا الآخرون فلم یکونوا سوی روّاد مصادفة. ومنذ القرن الثامن عشر بدأ فی تاریخ الریادة إلی شبه جزیرة العرب ما یمکن أن یسمّی بالریادة الحقیقیة، التی دشّنها شیخ الرحالة «نیبور» [۱۷۳۳- ۱۸۱۵ م] فی رحلته الاستکشافیة المثیرة، التی بدأها وأربعة زملاء آخرین عام ۱۷۶۱ م، بناءً علی تکلیف خاص من فردریک الخامس ملک الدنمارک، وقد لقیت هذه الحملة مصادفات عجیبة انتهت بمعظم شخوصها إلی الهلاک. وکان من ثمار هذه الرحلة ترک مذکّرات مهمّة، عن عموم بلاد الجزیرة العربیة والعراق، ورسم خریطة کاملة للیمن (۱).

وما یعنینا من رحلة «نیبور» هو؛ أنّه أبحر مع رجاله الأربعة ومعهم خادمهم السویدی جنوباً فی البحر الأحمر إلی جدّة، حیث استأجروا بیتاً، وانتظروا هبوب ریاح مواتیة؛ لاستئناف سفرهم إلی أماکن أبعد. وقد انتظروا حوالی ستّة أسابیع، قبل استئناف المسیرة فی سفینة مفتوحة.. وفی هذه المرّة لم یرافقوا جموع الحجّاج، الذین رافقوهم عند مغادرة السویس، والذین کانوا قد وصلوا مکّة وأدّوا فریضة الحج ثم عادوا.. (۲).

ولأسباب نجهلها، لم یتغلغل «نیبور» إلی الأماکن المقدّسة، فی الوقت الذی ذهب بعیداً فی مغامرته الجریئة، حینما جاب بقاعاً کانت عصیّة، حتّی ذلک الوقت وإلی وقت لاحق، علی أمثاله. الأمر الذی أکسبه شهرة واسعة، وعدّه المؤرّخون علامة فارقة، فی تاریخ رحلات الاستکشافات الغربیة إلی الجزیرة العربیة.

علی أنّ ثمّة جهوداً متواضعة سبقته للتعرّف علی المناطق الساحلیة، وخاصّة فی مطلع القرن السابع عشر. وقد کانت شرکة الهند الشرقیة معنیّة بجمع المعلومات عن موانئ البحر الأحمر وأهمیتها، فکلّفت عدداً من رجالها بذلک. وکان من جملتهم «القس جوزیف اوفینکتون» الذی کتب فی وصف جدّة وأهمیتها، فنشر الوصف فی کتابه المسمی «رحلة إلیصوراة»] A VoYage to Suratt [.

وهو یقول: إنّ المیناء الرئیسی فی البحر الأحمر یعود للسلطان.. وهو میناء

---

۱- ۲ المرجع نفسه: ۵۱.

۲- ۳ بیتر برینث؛ «بلاد العرب القاصیة»، ترجمة خالد أسعد عیسی وأحمد غسّان سبانو، بیروت، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۱ م،ص: ۸۵.

ص: ۱۸۴

مکّة. ولیست الأراضی المحیطة بهذین البلدین ذات فائدة مطلقاً، کما أنّها غیر قابلة للاصلاح والتحسین، بحیث إنّها قد اصیبت بلعنة من الطبیعة، فحُرمت من نِعَم اللّه تعالی بندرة وجود الأشیاء کلّها فیها، ما لم تستورد لها من الخارج.. وتزدهر جدّة بمواصلاتها الدائمة مع الهند وایران والحبشة، وأجزاء الجزیرة العربیة الاخری، فیأتی العرب إلیها بِبُنهم (قهوتهم) لیشتریه الأتراک ویحملوه إلی السویس، ویأتی إلیها علی الشاکلة نفسها الحجّاج فی کلّ سنة من أنحاء العالم الإسلامی جمیعه.

وفی عهد الشریف سعید (۱۷۰۰ م) وصل إلی جدّة رجل انگلیزی یُدعی «ویلیام دانیال»، وآخر فرنسی یُدعی «شارل جاک بوسیه». فخلّفا وصفاً واضحاً عمّا شاهداه. فقد کان الأوّل شاهد عیان للخصام، الذی حصل بین الشریف الأکبر سعید، والباشا الذی کان یمثّل السلطان فی الحجاز.

أمّا الفرنسی فقد وصل إلی جدّة، فی الیوم الخامس، من کانون الأوّل (دیسمبر) أی بعد الحادث المار ذکره بأیّام قلیلة (۱).

وأیّاً کانت قیمة المشاهدات والانطباعات، التی ترکها هؤلاء وغیرهم، فإنّ الرحالة الدانمارکی «ینبور» قد ترک بصماته الواضحة فی تاریخ الرحلات الغربیة، طیلة عقود طویلة. لقد تزامنت شهرة ینبور وذیوعصیته فی الدوائر المعنیّة بالشرق مع تنامی حرکة التنویر الفلسفیة فی القرن الثامن عشر.

وقبل أن یؤذن هذا القرن بالرحیل، کان هناک حدثان خطیران فی المشرق الإسلامی، أثارا الانتباه لدی البعض والمخاوف- إلی حدّ الذعر- عند البعض الآخر، وهما؛ غزو نابلیون لمصر عام ۱۷۹۸ م، والذی کان إیذاناً ببدء مرحلة الاختراق الحضاری للمشرق الإسلامی، من قبل دوائر الغرب وطلائعه الاستعماریة.

الحدث الثانی تمثّل بتصاعد قوّة الوهابیین فی قلب الجزیرة العربیّة، وتحرّک محمّد علی باشا لضرب القوّة الجدیدة. وهنا وجد الغرب فرصته الذهبیة لتکثیف

---

۱- ۴ جعفر الخلیلی؛ «موسوعة العتبات المقدّسة- قسم مکة»، ۲: ۲۵۸ ط ۲، بیروت، ۱۴۰۷ ه- ۱۹۸۷ م.

ص: ۱۸۵

جهوده فی المنطقة (۱).

وعلی حین کانت أوروپا تهتزّ وترتعد وتسقط فریسة الحروب النابلیونیة، ظهر وکأن بلاد العرب أیضاً قد أصبحت تحت قبضة حرکة استبدادیة مطلقة.. وفی أثناء سنوات الغلیان والفوضی هذه، مرّ رحّالتان جدیدان، فی هذه البلاد الصحراویة، وفی تلک المدن المقدّسة (۲)، وقد تظاهرا بالإسلام، منتحلین لهما اسمین مسلمین، فی نطاق إخفاء مهمّاتهما السریّة.

الیهودی.. الجاسوس

وبعد ست وأربعین سنة من رحلة نیبور، وبالتحدید عام ۱۸۰۷ یصل الحجاز رجل یهودی اسبانی الأصل یُدعی «دومنیکو بادیا أی لیبلیج» لینتحل اسماً ونسباً عربیّاً «علی بک العبّاسی»، ویدّعی لنفسه أن شریف مکة (الشریف غالب) قد لقّبه «خادم بیت اللّه الحرام»، وأنّه استقبله بحفاوة، وأشرکه معه فی غسل الکعبة المشرّفة.

وقد تضاربت الآراء فی حقیقة هذا الرجل، کما یقول «برینث» فقد یکون عمیلًا للفرنسیین أو البرتغالیین أو ربّما الانکلیز، وهناک من یذهب إلی أنّه کان جاسوساً لسلطان مصر «محمد علی باشا» الذی کان یجهّز لحملة ضد الوهابیین، فإن «علی بک العباسی» یکون قد وضع حدّاً للجهود، التی قامت علی الرغبة الغامضة والطمع فی المنال القریب المتوقّف علی اکتشاف الحدود الساحلیة. کما أنّه سیکون أوّل أوروپی احتک بالناس، من موقع لم یثر حساسیتهم، وکان لادعائه النسب العباسی، وتأکیده لشریف مکّة بأنّه کان واحداً من عائلتهم الوجه الذی دخل به قلوب الناس، فاستغل ذلک للتجسّس علیهم (۳).

فما هی، یا تری، حکایة «العبّاسی» هذا؟

وما هی حقیقة تظاهره بالإسلام؟

---

۱- ۵ مجلّة العالم؛ م. س.

۲- ۶ بلاد العرب القاصیة؛ م. س: ۹۸.

۳- ۷ مجلة العالم؛ م. س: ۵۱.

ص: ۱۸۶

وماذا تكمن وراء ذلك من دوافع.. وأهداف؟

وحتى نصل إلى جليّة الموقف، لابدّ من تتبّع تحرّكات هذا اليهودى، لنمسك برأس الخيط.

ففى عام ۱۸۰۶، وصل إلى الاسكندرية، وكان قد ترك موطنه متوجهاً إلى شمال أفريقيا قبل ثلاث سنوات (۱) أى أنّه بدأ رحلاته عام ۱۸۰۳ م، التى شملت المغرب وطرابلس وقبرص ومصر والجزيرة العربية وفلسطين وسوريا وتركيا، وفى العام ۱۸۰۷ تمّت رحلاته، وقد دوّنها بعد عودته إلى أوروبا، واستقراره فى فرنسا باللغة الفرنسية، فى كتاب من جزأين (۲).

لا نعرف الشىء الكثير عن تفصيلات حياته. إذ يكتنفها قدر غير يسير من الغموض. وما معروف عنه أنّه كان عالماً ذكياً أجرى اتصالات مع كثير من علماء أوروبا. ولكنّه اختفى فجأةً، ولم يسأل أحد عن سبب اختفائه، وذلك لأنّ السلطات المختصّة كانت تعرف إلى أين ذهب، كما يقول «برينث».

فقد أبحر إلى البحر الأحمر، ومن ثمّ إلى جدّة، وكان ينوى أن يشقّ طريقه إلى مكّة (۳).

وفى مقدّمته للطبعة الجديدة لكتاب «رحلات على بك» التيصدرت عام ۱۹۹۳ كتب الاختصاصى البريطانى «روبين بدويل» قائلًا: «لم يقدّم رحالة فى العالم العربيصورة غامضة كالتى قدّمها «على بك»، كما أن تقريره يبدأ بطريقة مبتورة لا مثيل لها».

وبالفعل يستهل «على بك» سرده بصلاة قصيرة بالعربيّة، يصرّح بعدها بأنّه قرّر القيام برحلة الحجّ إلى مكّة المكرّمة، من أجل مراقبة البلاد التى سيمرّ بها، لصالح البلد الذى سيستقرّ فيه فى نهاية المطاف.. وكان هذا البلد- كما نعلم لاحقاً- فرنسا.

---

۱- ۸ بلاد العرب القاصية؛ م. س: ۹۸.

۲- ۹ يُراجع التحقيق الموسوم؛ «على بيك العبّاسى الجاسوس للأسبان والفرنسيين: رحلاتهصورة دقيقة عن العالم العربى بين ۱۸۰۳ و ۱۸۰۷»، المنشور فيصحيفة الحياة طبعة لندن- الأحد: ۲۶ أيلول سبتمبر ۱۹۹۳ م- ۱۰ ربيع الثانى ۱۴۱۴ ه،ص ۱۷.

۳- ۱۰ بلاد العرب القاصية؛ م. س: ۹۸.

ص: ۱۸۷

مهمّة خاصة فی المغرب

بعد هذه المقدّمة المختصرة، یصف وصوله إلی طنجة فی حزیران (یونیو) ۱۸۰۳ م ویزعم أنّ اسمه «علی بک العباسی» وأنّه ینحدر من سلالة هارون الرشید، ویقیم فی مدینة حلب. لکن «بدویل» یقول: «إنّ قصّة هویته الکاملة ما تزال مدفونة فی محفوظات مکتب استخبارات ما، أو أنّها فقدت إلی الأبد».

والواقع أنّ المعلومات عنه قلیلة، ویتردّد أنّه کان جاسوساً، عمل أوّلًا لحساب الأسبان، ومن ثم لحساب نابلیون. وهو من أصل أسبانی، ولد فی برشلونة عام ۱۷۶۶ م. درس اللغة العربیة والعلوم (الفیزیاء وعلم النبات والجیولوجیا) فی جامعة فالنسیا. وفی ۱۸۰۱ م قدّم خدماته کمستکشف فی غرب أفریقیا إلی شخصیة بارزة فی السلطة الأسبانیة، وفی العام ۱۸۰۲ زار لندن حیث قدّم إلی «جمعیة المساعدة لاکتشاف المناطق الداخلیة فی أفریقیا» مشروعاً للوصول إلی تبکتو عن طریق الجنوب، عبر جبال الأطلس. وبعد سنة فقط، وصل إلی المغرب بزی عربی کامل، وثراء واضح، وحاشیة بارزة.

ویعتقد المؤرّخون الذین اهتموا بسیرة «علی بک» أنّ نفقات الرحلات کانت باهظة إلی حدّ لم یکن بإمکان أسبانیا وحدها أن تتحمّلها، ولذلک فمن المحتمل أنّه عمل أیضاً کجاسوس لحساب نابلیون، الذی کان یطمح منذ حملته علی مصر فی العام ۱۷۹۸ م، إلی استغلال العالم الإسلامی لصالح فرنسا. وکان الامبراطور الفرنسی أمر باجراء أسبار سرّیة علی شواطئ شمال أفریقیا، وجهّز الخطط المختلفة، من أجل استعمار الأراضی الزراعیة الغنیة فی المنطقة ذاتها.

ویقول «علی بیک»: إنّه، خلال إقامته فی المغرب، أصبحصدیقاً للسلطان مولای سلیمان، وأهداه عشرین بندقیة، وبرمیل بارود، ومظلّة جمیلة. وفی المقابل، قدّم له السلطان رغیف خبز من فرنه الخاص، کدلیل علی الاخوّة، والأهم من ذلک، حسب کلام الرحالة: «أهدانی السلطان أراضی واسعة، سمحت

ص: ۱۸۸

لی بأن أحافظ علی المصاریف التی کان یتطلّبها مرکزی، فضلًا عن أموالی الخاصّة».

قضی «علی بک» سنتین فی المغرب، واستطاع أن یعطی تفاصیل دقیقة عن البلد ومناطقه وسکّانه. غیر أن العلماء المختصّین بشؤون المغرب حدیثاً لم یجدوا أیّة إشارة إلیه فی المراجع المعاصرة له. ممّا یؤکّد أنّ هذا الیهودی کان ضالعاً فی مهمّة سرّیة، ولیس فی مهمّة علمیّة؛ لذا فإنّ المعلومات التی سجّلها والانطباعات التی رصدها قد أخذت طریقها الی کوالیس أجهزة الرصد الاستعماریة.

وما یعزّز هذا التحلیل، هو أنّ «بدویل» یقول فی المقدّمة: «لم تکن هناک أیّة فائدة بالنسبة إلی أسبانیا فی متابعة تمویل رحلات "علی بک "بعد المغرب، إلّاأنّ انتقاله تزامن مع اندلاع الحرب الفرنسیة- الروسیة، وبروز سیاسة جدیدة عند نابلیون تهدف إلی اکتساب أصدقاء فی ترکیا وایران ومصر.. وحتی فی مسقط».

أمضی «علی بک» أشهراً قلیلة فی طرابلس، انتقل بعدها إلی قبرص، ثمّ توجه إلی مصر، حیث التقی محمد علی باشا. وفی کانون الأوّل (دیسمبر) ۱۸۰۶ م بدأ رحلته إلی مکّة المکرّمة التی وصل إلیها بعد شهر، فی ۲۳ کانون الثانی (ینایر) ۱۸۰۷ م. فاستقبله أمیر المدینة بحفاوة وعیّن موظفاً کبیراً لمرافقته (۱).

التظاهر بأنّه من أشراف المسلمین!

إذن، هذا الیهودی الذی تزیّا بزی المسلمین، وسمّی نفسه «علی بک العباسی» کان مکلّفاً بمهام خاصّة من قبل الحکومة الفرنسیة (۲) وعندما وصل إلی بلاد العرب لم یکن هذا الذی وصل إلی الشواطئ العربیة رحالة أو عالماً أسبانیاً، بل کان رجلًا مسلماً، ومن أشراف المسلمین..!!، إذ اختار لنفسه اسماً مرموقاً وأجداداً ممتازین، کما یقول «برینث».

ولکی یدلّل علی مصداقیته ولیبعد الشبهات عنه، اعتاد الخدم من حاشیته

---

۱- ۱۱صحیفة الحیاة؛ م. س.

۲- ۱۲ موسوعة العتبات المقدّسة؛ م. س، ۲: ۲۵۹.

ص: ۱۸۹

وضع سجادته المخصصة لصلاته خلف سجادة الإمام مباشرة. وقد وصل علی بک إلی مکّة وهناک استقبله شریف مکة. وإذا کان هناک مجال للتساؤل حول عبقریته فقد زالت هذه الشکوک الآن. إذ إنّ «علی بک» کان یجید اللغة الفرنسیة والأسبانیة والایطالیة، ولکنّه کان حریصاً علی تکلّم اللغة العربیة بطلاقة وسهولة أزالت کلّ الشکوک حول أصله ومحتده. ولو کان هناک أدنی شک فی هذه القضیة، لکان المسوؤل عن بئر زمزم، والذی کان یقدّم ذلک الماء المقدّس للأشراف والنبلاء ویدس السم- علی حدّ زعم برینث- لمن تحوم حولهم الشکوک، لکان هذا قد نفّذ فعلته بالنسبة لعلی بک.

دخل «علی بک» مکّة متحدیّاً العادات والتقالید، فقد کان راکباً بعیره، وقد سُمح له بذلک لإصابته أثناء الرحلة. وعند دخوله مکّة اتّجه إلی الکعبة مع بقیّة الحجّاج مباشرة، وکان اثنان من خدمه یدعمانه ویساعدانه علی السیر والطواف.

ویقول «علی بک» فی مذکّراته: «إنّ الخدم الذین أحاطوا بی داخل الرواق المعمد الممتد علی مدی البصر، وساحة (المعبد) الهائلة، وبیت اللّه المغطّی من قمّته لأسفله بالقماش الأسود، والمحاط بحلقة من المصابیح، وتأخّر الوقت وسکون اللیل، ومرشدنا الذی کان یتفوّه بکلمات کما لو أنّه یتلو شیئاً قد اوحی إلیه، کلّ هذه الأشیاء قد شکّلتصورة مؤثّرة لا یمکن أن تنمحی من ذاکرتی أبداً».

وعلی الرغم من هذا التأثّر، إلّاأنّ «علی بک» کان یتوخّی الدقّة فی أوصافه طیلة مدّة إقامته. فهو یصف بالتفصیل الأروقة المعمدة والقباب والمآذن فی المسجد العظیم، ویخبرنا عن الأماکن المبلّطة والأماکن ذات الأرض الرملیة. ویمیّز الأمکنة التی تخصّ أتباع کلّ مذهب من المذاهب، فالمالکیة هنا، والحنفیة هناک، والشافعیة من جهة، والحنابلة وهم مؤسسو المذهب الوهابی من جهة اخری. وقد سُمح لعلی بک بصفته من الزوّار ذوی الأهمّیة بالاشتراک فی غسل الکعبة، وهکذا فإنّ علی بک هو أوّل زائر عُرف عنه أنّه قام بمثل هذا العمل (۱).

---

۱- ۱۳ بلاد العرب القاصیة؛ م. س: ۹۹- ۱۰۰.

ص: ۱۹۰

وبـذا، یکون علی بک ثانی رحالـة أجنبی یقـدّم للغرب وصـفاً عن مکّـة المکرّمـة، بعـد «جوزیف بیتز» (الـذی تحـدّثنا عنه بشـیء من التفصـیل فی العـدد الماضـی) فی کتـابه الـذی وضـعه فی أواخر القرن السـابع عشـر، تحت عنـوان «وصـف أمیـن لدیانـة وأخلاـق المحمدیین». إلّاأنّ سرد علی بک أکثر دقةً وشمولًا، فهو یصف المدینة والحرم الشریف بصورة شاملة، ویقدّم التخطیطات والرسومات، ویتناول أوضاع الأهالی، والظروف السیاسـیة والتجاریـة، والأسواق والبضائع، والمبانی، والفنون، والعلوم، والحیوانات والزراعة.. والأهم من کلّ ذلک أنّه کان أوّل من حدّد موقع المدینة الحقیقی (۱).

شریف مکّة.. کما یراه علی بک

اجتمع علی بک بالشـریف غالب. فقال: إنّه فی العقد الرابع من العمر، ووصـفه بأنّه کان أنانیاً غیر متعلّم (۲) وأنّه علی جهله ذو حصافة ودهاء. رآه لأول مرّة فی مجلسه وهو یدخن النارجیلة التی کانت محجوبة خوفاً من الوهابیین. فلم یر السائح الأوروپی غیر النرپج الذی کان یتصل من خرق فی الحائط بالنارجیلة وراءه فی الغرفة المجاورة للمجلس (۳).

ویمضـی «علی بـک» فی نقل انطباعاته عن شـریف مکـة، زاعماً أنّ الانگلیز کانوا یعتبرونه أحسـنصدیق لهم، ولـذلک کانوا یشـجعون التجارة مع الهنـد بواسـطته، کما یقول: إنّ الشـریف کان یبعث بسـفنه لتتاجر مع مخا ومسـقط وصوراة، وأنّه کان یدّعی بعائدیة مصوع وجزیرة سواکن له، مع أنّهما کانا یخضعان للسلطان بصورة اسمیة (۴).

وعن بعض مهمّـات الشـریف غالب یـذکر «علی بک» قائلًا: «دخل شـریف مکـة وسـلطانها محمولًا علی أکتاف بعض أتباعه، ورؤوس البعض الآخر تحیط به شیوخ القبائل. وقد حاول بعض الزوّار اللحاق بهم، ولکن الحرّاس- وهم من

---

۱- ۱۴صحیفة الحیاة؛ م. س.

۲- ۱۵ موسوعة العتبات المقدّسة؛ م. س، ۲: ۲۶۰.

۳- ۱۶ أمین الریحانی؛ «تاریخ نجد الحدیث» المنشور ضمن الأعمال العاملة، ۵: ۷۸ بیروت، ۱۹۸۰ م.

۴- ۱۷ موسوعة العتبات المقدّسة؛ م. س، ۲: ۲۶۰.

ص: ۱۹۱

أصل أفریقی- منعوهم، وذلک بضرب کلّ من یقترب بعصیّهم. وقد بقیت بعیداً عن الباب، وذلک لتجنّب الاختلاط بالجمهور، وعندها رأیت السیّد المسؤول عن بئر زمزم یشیر إلیّ بیده أن أتقدّم، وذلک بأمر من شریف مکّة، ولکن کیف أستطیع أن أشق طریقی، خلال الألوف من الناس أمامی؟»

بدأ الحرّاس بغسل الکعبة بالماء المقدّس من ماء زمزم، وقد تلقّف الجمهور تلک المیاه، وکان البعیدون من الحضور ینادون طالبین حصّتهم من الماء، وقد قُدّمت آنیة الشرب، ونال علی بک وعاءً شرب بعض ما فیه، وصبّ الباقی علی نفسه، وذلک لأنّ الماء یحمل برکة اللّه فیه، ومع ذلک فقد کان ممزوجاً بماء الورد ذی الرائحة الزکیة. وبعد ذلک حاول علی بک الوصول إلی باب الکعبة، وقد حمله عدّة أشخاص من فوق رؤوسهم، وأخیراً وصل إلی الباب حیث ساعده الحرس الافریقیون علی الدخول. وفی داخل الکعبة سلّموه حزمات من (الفراشی) وبدأ یشطف أرض الکعبة، کما کان الشریف یشطف أیضاً وبحماس عظیم، مع أنّ أرض الکعبة کانت نظیفة ولامعة کلوح من الجلید. «وعندما انتهت هذه الاحتفالات أعلن الشریف أنّه قد أنعم علیّ بلقب خادم بیت اللّه الحرام، وعندها تلقیت تهانی ومبارکات جمیع المشترکین» (۱).

وصف مناسک الحجّ

ویأتی بعد ذلک علی إیراد تفاصیل اخری عن مناسک الحج؛ لیطلع علیها قرّاؤه فی أوروپا، فذکر کیفصعد إلی قمّة جبل عرفات، وهو المکان الذی یُقال: إنّ آدم قد قابل به حواء بعد انفصال طویل. ثم یذکر أنّه کان هنالک علی قمّة جبل عرفات مکان مقدّس، عمل الوهابیون علی هدمه. ثمّ یذکر لقرّائه عن رمی الجمرات أی الحجارة فی منی. وقال: إنّ هذه الحجارة ترمز إلی بیت الشیطان، وهو بناء غریب الشکل یرمی علیه جموع لا تُحصی ولا تُعد من الحجّاج الحصی

---

۱- ۱۸ بلاد العرب القاصیة؛ م. س: ۱۰۰.

ص: ۱۹۲

والحجارة، وهو يقول: ولمّا كان الشيطان ماكراً وحقوداً بحيث بنى بيته فى مكان ضيّق لا يزيد فى اتساعه عن أربع وثلاثين قدماً، وأنّه فضلًا عن ذلك مملوء بالحجارة الضخمة، التى يجب على الإنسان تسلّقها، إذا كان عليه أن يصيب الهدف. فالحجّاج مدعوون لإتمام هذا المنسك أو هذه العملية رأساً بعد وصولهم إلى (منى)، وهكذا تسود الفوضى النادرة المثال، ولكنّى أخيراً وبعد أن ساعدنى خدمى وأصدقائى تدبّرت أمر إتمام هذا الواجب المقدّس، ولكن أصبت بجرحين فى رجلى اليسرى.

كانت ملاحظاته عمّا رأى دقيقة، ولكنّها جافّة، ولم تكن تخلو من إشارات خفيّة وتلميحات تهكمية فيها. فهو يلاحظ مثلًا أنّ الأرض خارج الكعبة كانت على مستوى أرض الكعبة الداخلى، ولكن لا يمكن الوصول إليها الآن إلّاباستعمال بعض الدرجات، وهو يقول: «الحقيقة أنّ الإنسان يجب أن يفترض أنّ الحجر الأسود كان موضوعاً فى مكان آخر غير المكان الذى هو فيه الآن، وذلك لأنّه منخفض بمقدار قدمين عن مستوى البوابة. فالكفّار ربّما دار بخلدهم أنّ الحجر الأسود لم يكن موجوداً أو أنّه كان تحت الأرض..».

ثم يقول: «أمّا أنا فلا أعتقد بمثل هذه الأفكار حول ذلك العهد الإلهى الثمين المقدّس» (۱) ثم يعطى مقاييس الحجر الأسود فيقول: «يعتقد ان الملاك جبريل قد جلب الحجر الأسود من الجنّة، وكان شفافاً وقد قدّمه لإبراهيم الخليل، ولمّا لمسته امرأة نجسة تحوّل إلى اللون الأسود» ثم يعود.. فيقول: «فى الحقيقة أنّ هذا الحجر هو من البازلت البركانى، وهو محاط ببعض البلورات الصغيرة المدببة اللامعة، ويحتوى بعض سلكات الألمنيوم على أرضية سوداء، وهو أسود غامق يشبه المخمل الأسود والفحم باستثناء نتوء واحد يميل إلى الاحمرار» (۲).

ولسنا بحاجة إلى التأكيد على أنّ على بك أو (دومنيكو باديا) لم يُظهر لنا تفاعله الروحى مع مناسك الحج، وأنّى له ذلك وهو اليهودى المكلّف بمهمّة

---

۱- ۱۹ علّق مترجما الكتاب على هذه النقطة بقولهما: «لا داعى لهذا الافتراض، فان الحجر الأسود، حتّى عندما سُحب من مكانه فانّه قد اعيد إلى مكانه نفسه الذى ما يزال عليه حتى اليوم» الكتابص ۱۰۱، هامش.

۲- ۲۰ بلاد العرب القاصية؛ م. س: ۱۰۱- ۱۰۲.

ص: ۱۹۳

خاصّة؟! لهذا اقتصر عمله على وصف المناسك وكل ما تقع عليه عيناه وصفاً دقيقاً.. ليس إلّا (۱). ولعل هذا الأمر كان فی مقدّمة مهمّته السرّية التی نُدب إليها!

مشاهدات عن الوهابيين

وإذاصرفنا النظر عن مهمّة على بك السياسية، فإنّه أوّل أوروپی شاهد جموع الوهابيين فی مكّة، وحجّ معهم واعتمر، إذ كان الأمير سعود وأبو نقطة يتقدّمان الحجّاج إلى عرفات، وهم خمسة وأربعون ألفاً، ومعهم على بك (۲).

ومن طريف ما يذكره «على بك العبّاسی» هذا، الذی أصبح كتابه مرجعاً مهمّاً للغربيين عن مكّة، وصفه لجماعة من البدو الوهابيين الذين جاءوا إلى الحجّ فی مكّة سنة ۱۸۰۷ م بصفته شاهد عيان (۳)، وقد سنحت له الفرصة لرؤية الجيش الوهابی، وهو يدخل مكة فيصباح أحد أيام شباط (فبراير) عام ۱۸۰۷ م، عندما رأى حشداً من الرجال يكادون يكونون عراة، وهم متنكّبون البنادق، والسيوف فی أحزمتهم (۴).

يقول على بك: «.. وسرعان ما دخل البلدة جمهور من الرجال العراة، الذين لم يكونوا يلبسون شيئاً إلّاالأسمال التی كانت تستر عوراتهم. وكان عدد قليل منهم يضعون بالإضافة إلى ذلك شيئاً فوق أكتافهم، كما كان قسم آخر منهم عراة بالكلية، لكن الجميع كانوا مسلّحين إمّا بالبنادق أو بالخناجر. وحالما وقعت أعين المكّيين على هذا السيل من العراة المسلّحين، هرعوا إلى البيوت كلّهم، واختفوا عن الأنظار. وكان البعض من هؤلاء يركبون الخيول، مع عريهم وتسلّحهم بالرماح، ويرتلون أدعيتهم وجملهم الدينية بصوت مرتفع كلّ بالطريقة التی يختارها، ومن دون خشوع أو انتظام. وقد تولّى أطفال مكّة، وهم الأدلّاء على الدوام، إرشادهم والطواف بهم؛ لأنّ الكبار قد تلاشوا عن الأنظار. ولذلك أخذوا يمرّون فی داخل البيت الحرام، ويقبّلون الحجر الأسود، وكأنّهم مجموعة محتشدة من الزنابير (۵).

---

۱- ۲۱ للأسف، نجد بعض الباحثين يُحسن الظن بجهود أمثال «على بك»، ويصنّفها على أنّها جهود علمية ..! مجرّدة، تتوخّى خدمة العلم والحقيقة!، وهذا المنحى نلمسه فی موسوعة «المستشرقين» بأجزائها الثلاثة، من

۲- ۲۲ تاريخ نجد الحديث؛ م. س: ۷۸.

۳- ۲۳ موسوعة العتبات المقدّسة؛ م. س، ۲: ۲۶۰.

۴- ۲۴ بلاد العرب القاصية؛ م. س: ۱۰۲.

۵- ۲۵ موسوعة العتبات المقدسة؛ م. س.

ص: ۱۹۴

ویشیر علی بک إلی أنّ الناس عندما رأوا هذا السیل من الرجال المسلّحین العراة هربوا وأخلوا الشوارع لهم. وهکذا ملأ هؤلاء الشارع تماماً. أما أنا- یقول علی بک- فقد بقیت فی مکانی، ثم تسلّقت کومة من القمامة حتی أستطیع الرؤیة بشکل أفضل، راقبت مرور جیش مؤلف من خمسة أو ستّة آلاف رجل، وکان أمامهم ثلاثة أو أربعة فرسان یرکبون الخیول والجمال وفی أیدیهم حراب کالسابقین، ولکنّهم لم یحملوا أعلاماً أو طبولًا أو أیّة إشارة تشیر إلی النصر العسکری، وفی أثناء سیرهم أطلق بعضهم أصواتاً تدل علی الحماس الدینی، وآخرون کانوا یتلون بعض الصلوات بشکل مرتفع کلّ حسب طریقته» (۱).

أما الشریف غالب فقد کان، خلال ذلک، یشاهد الوهابیین من قصره القائم فوق السفح، بعد أن أوعز إلی جنده من العبید والأتراک بأن لا یغادروا مقرّاتهم، بینما کان هذا المد القادم من البادیة یکتسح مکة، وینحسر عنها دون وقوع حادث یُذکر (۲).

وقد أدرک «علی بک» فیما بعد أنّ ذلک الحماس المتوقّد، الذی ظهر لدی الوهابیین، کان بسبب شعورهم بقوّتهم الساحقة. فهو یقول: إنّه لدی نزوله من جبل عرفات استطاع رؤیة جیشهم جمیعه وهو یقدّر ب (۳) ألف مقاتل، جمیعهم تقریباً یرکبون الجمال، ومعهم حوالی ألف جمل لحمل الماء والخیام وخشب الوقود والتبن والعلف لجمال رُؤسائهم. وکان فی مؤخرتهم شرذمة من الجنود یحملون أعلاماً ذات ألوان مختلفة مرفوعة علی رماحهم. وهو یستنتج بحق أنّه بعد النظرة الاولی، ورؤیة هذا الحشد من الرجال المسلّحین العراة، الذین لیس لدیهم أیّة فکرة عن الحضارة أو المدنیة، ویتکلّمون لغة بربریة، هذه النظرة تسبّب الفزع والحذر، ومع ذلک فقد وجد فیهم بعضصفات الفضیلة، فهم لا یسرقون ولا ینهبون بالقوّة أو الحیلة إلّاإذا کانوا علی یقین من أنّ ما یستولون علیه یخصّ الأعداء أو الکفّار. وکانوا یدفعون ثمن کلّ ما یشترونه أو أجرة أیّة خدمة تُقدّم لهم

---

۱- ۲۶ بلاد العرب القاصیة؛ م. س.

۲- ۲۷ موسوعة العتبات المقدّسة؛ م. س.

۳- ۴۵ تُراجع الموسوعة،ص: ۲۲۶ ط ۲، بیروت، ۱۹۸۹ م.

ص: ۱۹۵

من أموالهم الخاصّة، وهم يتبعون قوادهم ويطيعونهم طاعة عمياء، ويتحمّلون جميع أصناف الشقاء والمشقّة، ويتّبعون شيوخهم إلى أقصى المعمورة (۱).

ورغم هذا، فإنّ على بك لا ينسى إبداء اندهاشه؛ لأنّ أهالى مكة وبقيّة الحجّاج لم يوافقوه على بعض آرائه الايجابية بالنسبة لهؤلاء القادمين الجدد، ولكنّه يسجّل أنّ الوهابيين قد دمّروا وهدّموا جميع المساجد التى خُصصت لذكرى الرسولصلى الله عليه و آله و سلم وأهل بيته. وقد هدّم سعود قبور الأولياء والصالحين من الصحابة وأبطال الإسلام الذين كان الناس يحترمونهم، وهدّم قصر السلطان الشريف أيضاً، ولم يُبقِ من تلك الأبنية إلّاالخرائب والأطلال (۲).

أمّا فى المدينة المنوّرة فقد علم على بك أنّ جميع الزخارف، التى أحاطت بقبر النبيصلى الله عليه و آله و سلم قد أتلفت، خلال نوبات من الحماس المتزمّت، حتى لم يبق شىء من ألوانها الزاهية الفخمة (۳).

أمّا فى الشؤون الدينية فقد ألغيت وحُرّمت التقاليد القديمة، التى كان الحجّاج يتقيّدون بهاجيلًا بعدجيل بإخلاص وتفانٍ، ومُنعت زيارة القبور. وفى جدّة ظهرت قوّة جديدة من الشرطة، وهم مسؤولون عن تذكير الناس بالصلوات الخمس وإجبارهم على أدائها، وكانوا عراة الأجسام، وفى يد كلّ منهم عصاً غليظة، وقد أمروا أن يصرخوا ويوبخوا الناس، ويسحبوهم قسراً من أكتافهم، حتّى يشتركوا فى الصلوات العامة خمس مرّات فى اليوم، وقد تولّى رجال مسلّحون حراسة أماكن قبور الأولياء والصالحين، ومنع الناس من الدخول إليها (۴).

الجنرال باديا.. فى خدمة نابليون!

حرص هذا اليهودى الداهية على التظاهر بأنّه الأمير المكرّم، والعالم المحترم، والحاج الورع الموقّر.. وكان فى ظاهره عربيّاً قحاً، ومسلماً حقّاً، لا تعيقه كلمة يقولها، ولا تخونه فعلة أو إشارة، فما شكّ أحد فى دينه أو فى نسبه!

---

۱- ۲۸ بلاد العرب القاصية؛ م. س: ۱۰۳.

۲- ۲۹ المرجع نفسه.

۳- ۳۰ المرجع نفسه: ۱۰۴.

۴- ۳۱ المرجع نفسه.

ص: ۱۹۶

والعبّاسی هذا کان عالماً یحمل فی حقائبه أدوات للرصد والمساحة، فاستخدمها فی مکة وجوارها، دون أن یعترضه أحد من الناس، بل کان یحترمه الجمیع، وقد حاز- کما مرّ- فوق ذلک شرفاً لم یحرزه سواه من المستشرقین، ولا- یحوزه إلّاالأفراد القلائل من المسلمین، ألا وهو شرف کناسة الکعبة. ولکنّه علی ما یظهر لم یفلح حتّی النهایة فی تنکّره (۱).

إذ غادر علی بک مکّة المکرّمة فی الثانی من آذار (مارس) ۱۸۰۷ م إلی جدّة، وعندما قصد إلی المدینة المنوّرة زائراًصدّه عنها الوهابیون (۲) وأُلقی علیه القبض عند محاولته الدخول إلی المدینة، وأوقف واتلفت بعض مقتنیاته ومجموعاته، وبعدها أُجبر علی الرجوع من حیث أتی. وهکذا عندما شعر علی بک بهذا الخذلان بدأ فی الاستعداد للرحیل إلی أوروبا (۳).

فتوجّه إلی ینبع ثم عاد إلی القاهرة، لکنّه لم یبق هناک فترة طویلة، بل قرّر العودة إلی أوروبا مروراً بفلسطین وسوریا وترکیا. ولأنّه حمل لقب الحج، تمکّن علی بک من زیارة المسجد الأقصی، الذی لم یکن دخله غربی واحد، منذ الحروب الصلیبیة. وهنا أیضاً أعطی وصفاً دقیقاً وخرائط تفصیلیة. وبعد القدس زار دمشق ثم اسطنبول، ووصل إلی رومانیا، حیث ینهی سرده العام ۱۸۰۷، بالطریقة المبتورة ذاتها التی بدأ بها.

عند عودته إلی فرنسا، استقبله «نابلیون» مرّات عدّة، ثم دخل فی خدمة أخیه «جوزیف بونابرت» الذی کان وقتها ملک أسبانیا، وبعد فترة انتقل للعیش فی باریس، حیث عُرف باسم «الجنرال بادیا» وفی تلک المرحلة وضع کتابه الذی أهداه إلی الملک لویس الثامن عشر.

فی العام ۱۸۱۸ م، قرّر الرجوع إلی الشرق الأوسط، علی أمل الوصول إلی تمبکتو برفقة قوافل الحجاج الأفارقة العائدة من مکّة المکرّمة (۴) وعلی ما یبدو کان تحرّکه الأخیر مرصوداً من قبل عیون بریطانیا المبثوثین فی المنطقة، علی خلفیّة

---

۱- ۳۲ تاریخ نجد الحدیث؛ م. س.

۲- ۳۳ المرجع نفسه.

۳- ۳۴ بلاد العرب القاصیة؛ م. س.

۴- ۳۵صحیفة الحیاة؛ م. س.

ص: ۱۹۷

التنافس الشدید بین الدولتین الاستعماریتین، للاستحواذ علی مناطق النفوذ فی الشرق الإسلامی. وفی أثناء عودته إلی المنطقة، غادر علی بک دمشق عام ۱۸۱۸ م، متّجهاً لزیارة مکة للمرّة الثانیة. وفی هذه الرحلة عاش کعربی بین أهله العرب وکحاج بین الحجّاج. ولکنّه توفی، بعد قطعه حوالی مائة میل فی طریقه إلی مکّة (۱) وذلک فی آب (اغسطس) من تلک السنة. وتقول التقاریر البریطانیة: إنّ وفاته کانت بسبب مرض «الدیزنتاریا». لکن التقاریر الفرنسیة تؤکّد بأنّه قتل مسموماً من قبل البریطانیین (۲).

ولأن الغموض یکتنف موته، فقد دار جدل کبیر حول هذا الأمر بین الانگلیز والفرنسیین منذ القرن التاسع عشر (۳)، فهل کان سبب موته إصابته بمرض الزحار (الدیزنتاریا) حسب الروایة البریطانیة؟ أم هل حدث أن لاحظ أحد الحجّاج الذین یلمّحون بعدّة لغات أنّ هذا الرجل متنکّر یُخفی حقیقته؟ أم أنّ علی بک قد مات مسموماً علی ید أحد رجال المخابرات البریطانیة، وذلک حسب الإشاعة التی انتشرت بعد موته، وإذا کان الأمر کذلک فلماذا حدث هذا الاغتیال، بعد انتهاء الحرب بثلاث سنوات؟

الرجل الغامض

وعلی کلّ حال، فها قد سقط علی بک هناک، ولم ینفعه علمه ولا قوّة شخصیته التهکّمیة.

وقیل: انّهم وجدواصلیباً بین ثیابه. أمّا کتابه الذی نُشر، قبل أربع سنوات من وفاته، والآراء المتناقضة التی تناقلها الناس حول شخصه وأخلاقه ونواياه ومعتقداته، فقد ظلّت حیّة بعده تحکی لنا کلّ شیء عن تلک الشخصیة الغامضة (۴).

ومع ذلک، فإنّ علی بک یبقی سرّاً من الأسرار، علی حدّ تعبیر الباحث البریطانی «بیتر برینث» الذی راح یتساءل: ماذا کان یفعل فی بلاد العرب، عندما

---

۱- ۳۶ بلاد العرب القاصیة؛ م. س: ۱۰۶.

۲- ۳۷صحیفة الحیاة: م. س.

۳- ۳۸صحیفة الحیاة: ۱۳/ ۹/ ۱۹۹۳.

۴- ۳۹ بلاد العرب القاصیة؛ م. س.

ص: ۱۹۸

کان الوهابیون یقلبون الجزیرة العربیة رأساً علی عقب، وعندما کان نابلیون یعسکر قرب الاهرامات؟ وهل کان قصده من البقاء جمع المعلومات بالنسبة للحرکة الإسلامیة الجدیدة، حتّی یساعد نابلیون فی تقریر خططه للمستقبل بالنسبة للشرق الأوسط؟ أم هل کانت مهمّته مراقبة شواطئ البحر الأحمر لمصلحة السفن الفرنسیة، التی کانت پاریس تأمل فی إرسالها؛ لتخوض میاه ذلک البحر فی المستقبل القریب؟ وهل یعلم أحد حق الیقین عمّا إذا کان هذا الرجل مسلماً حقیقیاً أم مسیحیاً حقیقیّاً؟ (۱)

وعن التساؤل الأخیر، فإنّ من المؤکّد أنّ الرجل لیس مسلماً قط، أمّا مسیحیته فهی موضع تساؤل، خلافاً لما هو ثابت عن دیانته الیهودیة، ولعلّه کان ماسونیاً. وما یدعونا إلی هذا هو ما کان یبدیه من شعور بالحماس العام بالنسبة لجمیع الأدیان، وهذه النقطة بالذات إحدی أبرز مرتکزات الادعاءات الماسونیة، التی کانت مزدهرة جدّاً فی فرنسا، ومنذ انتصار الثورة الفرنسیة، وخاصّة فی عهد نابلیون بونابرت، الذی کان أحدصنائع الماسونیة وضحایاها فی آن معاً!

وعلی بک هذا.. کان رسول بونابرت إلی البلاد العربیة، کما یقول أمین الریحانی (۲)، وکان عمله التجسّس لصالح فرنسا من الامور المحسومة، ولقد اعترف هو نفسه، فی مقدّمة کتابه، بأنّه یعمل لصالح البلد الذی یستقرّ فیه فی نهایة الأمر!

ومهما کانت الحقیقة بالنسبة لهذا الرجل الغامض، إلّاأنّه کان أوّل رجل غربی یلبس الثیاب العربیة ویتکلّم اللغة العربیة، ویتّخذ لنفسه مظهر وأخلاق العرب بمحض إرادته. وهکذا أصبح الرائد والمعلِّم لکثیر من الأوروپیین الذین حاولوا، فی القرنین التالیین، سلوک الخطة والطریقة نفسها. وهناک من یظن أنّ هذا العمل ما هو إلّامجرّد تمویه أو إجراء احتیاطی، ولکنّ الآخرین یعتقدون أنّ هذا هو ردّ الفعل الطبیعی، نظراً للأسالیب السائدة فی محیطهم الموقت. ولکن هنالک من

---

۱- ۴۰ المرجع نفسه: ۱۰۵.

۲- ۴۱ تاریخ نجد الحدیث؛ م. س: ۷۸.

ص: ۱۹۹

یظن أنّ هـذا الـدور قـد اسـتثمر بوضوح بکشف الحقیقـة، وأنّ هؤلاء الرجال کانوا یبـدون وکأنّهم قـد رجعوا لطبیعتهم، عنـدما کانوا ینغمسون انغماساً عمیقاً فی شخصـیاتهم الکاذبة. وبالنسبة إلیهم، لقد کان مجرّد الاشتراک، فی خضم تلک الصرامة والقسوة فی الحیاة البدویة، ما هو إلّاعامل مکمِّل لشخصیاتهم بشکل لیس له مثیل (۱).

وقـد أفصـح، بعـد نصف قرن تقریباً، رحالة یهودی بریطانی هو «ولیم بلغریف» عمّا کتمه آخرون، حینما کتب فی مشاهداته الشخصـیة عن «رحلـة عام فی وسط وشـرق الجزیرة العربیة» عام ۱۸۷۳ م: «لقـد حان الوقت لأن نملأ هـذا الفراغ الموجود فی خارطة آسـیا، وهذا الـذی سـنحاوله رغم کلّ خطر، فإمّا أن تصـبح الأرض الممتـدة أمامنا قبراً لنا، أو أننا سـنعبر أوسع امتـداداتها عرضاً»، فإنّه کان یلخص حلم الرحالة الذین سبقوه واغراض أولئک الذین سیأتون بعده (۲). ولا یُنبئک مثل خبیر.

إعادة طبع الرحلات

بقی أن نشیر إلی أن رحلات علی بکالتی أثارتجدلًا، قد طبعت بالانکلیزیة عام ۱۸۱۶، تحت عنوان: «رحلات علی بک فی المغرب وطرابلس وقـبرص ومصـر والجزیرة العربیـة وسوریـا وترکیـا ۱۸۰۳ - ۱۸۰۷ » (۳) ویحمـل غلاـف الرحلاتصورة «علیبکالعبّاسـی» بزیّهالإسلامی. و اعید طبعها فی لندن عام ۱۹۹۳.

ولندرة الکتاب وأهمّیته غدا سـعره مرتفعاً جدّاً، خاصّة فی مطلع القرن العشـرین، ویذکر أمین الریحانی معاناته للحصول علی نسخة من الرحلاـت، وکیف أنّ أحـد الکتبیین نشـر إعلانـاً فی الصـحف، لمن لـدیه نسـخة یریـد بیعهـا، وحینمـا وُجـد.. کان الثمن عشـرین لیرة إنکلیزیة فقط!!

---

۱- ۴۲ بلاد العرب القاصیة؛ م. س: ۱۰۵.

۲- ۴۳ مجلّة العالم؛ م. س.

۳- ۴۴TurkeY .Between the Years ۳۰۸۱ and ۷۰۸۱ ""Travels of AlY ,BeY in Morocco ,Tripoli and, SYria, Arabla, EYgpt, EYprus CYprus,

ص: ٢٠٠

سيتزن.. أو الحاج موسى!

أمّا الرحّالة الثانى الذى قام بمهمّة مشابهة، فهو الألمانى «الريخ سيتزن»، غير أنّ المعلومات عنه شحيحة جدّاً، ولا ترقى المصادر المتوفّرة (لدينا فى أقل التقادير) إلى عدد أصابع اليد الواحدة، وحتى هذه المصادر تذكره بإيجاز شديد.

يعرّفه الدكتور عبدالرحمن بدوى بأنّه «مستشرق ورحالة ألمانى»؛ ولهذاصنّفه ضمن موسوعته الشهيرة عن المستشرقين (١). ولد عام ١٧٦٧ م. ونجهل الكثير عن نشأته وحياته، وكلّ ما نعرفه؛ أنّه قضى عشرين سنة يدرّس ويتأهّب لرحلته إلى الشرق. فجاء سوريا سنة ١٨٠٥ وأقام فيها بضع سنين، وكتب فى رحلته كتاباً قيّماً باللغة الألمانية (٢).

جاء إلى مصر فى ١٨٠٧ م، فأقام بها طوال عامين. وكان يلبس الزى الإسلامى (٣).

وكان قد تعرّف إلى المستشرق النمساوى «همّر پورجشتال» [١٧٧٤- ١٨٥٦ م] وفى اسطنبول عام ١٨٠٢ م، وتبودلت بينهما الرسائل بعد ذلك، فكان سيتزن يصف لهمّر ما يشاهده فى رحلاته فى سوريا وفلسطين وشرقى الأردن وبلاد العرب ومصر السفلى والفيّوم. وفى مصر جمع مخطوطات عربيّة وآثاراً مصرية قديمة، وقد اقتنى هذه المخطوطات لصالح المكتبة الدوقيّة فى جوتا (٤).

سافر إلى الحجاز، فى زىّ درويش اسمه «الحاج موسى» فدخل مكّة حاجّاً سنة ١٨١٠ م.. وهناك قابل الأمير سعود، وكان قد ارتاب بقيافته وإسلامه، ولكن كبير الوهابيين يومئذ لم يمانع العالِم الافرنجى فى تجواله (٥) ولا ندرى ما هو السرّ وراء هذا التساهل الوهابى، مع المشكوك فى أمرهم إسلامياً، قبال تشدّدهم المعهود مع بعض المسلمين، الذين لا يتوانون عن إلصاق تهمة «الشرك» بهم، بمناسبة وفى غير مناسبة؟!

وعلى أيّة حال، فإنّ سيتزن المسكين- كما يصفه برينث- تلك الشخصية

---

١- ٤٥ تُراجع الموسوعة،ص: ٢٢٦ ط ٢، بيروت، ١٩٨٩ م.

٢- ٤٦ تاريخ نجد الحديث؛ م. س: ٧٩.

٣- ٤٧ موسوعة «المستشرقين»؛ م. س: ٢٢٦.

٤- ٤٨ المرجع نفسه.

٥- ٤٩ تاريخ نجد الحديث؛ م. س.

ص: ۲۰۱

الواعـدة التی قتلتها الخرافات والطمع، قبل أن تسـتطیع تقدیم أیّ شـیء ذی بال، فقد سافر فی هذه الفترة من الزمن عبر ذلک المسـرح العریض لشـبه الجزیرة العربیة؛ وتجوّل خلال المدن العربیة القدیمة التی أصـبحت خرائب وأطلالًا مثل البتراء. وقد أعلن إسـلامه وأدّی فریضة الحجّ فی مکة (۱).

وفیصیف عام ۱۸۱۰ قصد سـیتزن الیمن، وطوّف فیها فعثر علی النقوش، التی أشار إلیها نیبور بالقرب من المدینة الحمیریة ذمار، فنسـخ الکتابات العربیة الجنوبیة الاولی، وهی عبارة عن خمس قطعصغیرة (۲).

وفی رسائله إلی المستشـرق همّر تحدّث له أیضاً عن جنوب الجزیرة العربیة، وعن البربر، وأرسل إلیه رسوماً لنقوش من جنوب الجزیرة العربیـة، ومن سـیناء، وتحدّث عمّن لقیهم من الرجال، فقد التقی بالشـیخ عبدالرحمن الجبرتی [۱۷۵۴- ۱۸۲۲ م]، وبالترجمان الفرنسی «۱۸۲۲ -۱۷۷۲] «Asselin de Cherville م] الذی قال له: إنّ قصـص ألف لیلة ولیلة نشأت فی عصـر متأخّر، وهذا هو ما هیّأ لهمّر الفرصة کی یکون أوّل من یحیل إلی الموضع المشهور فی «مروج الذهب» للمسعودی، حول هذا الموضوع (۳).

وکـان فی نیّـة «سـیتزن» أن یجتـاز الجزیرة العربیـة إلی الخلیـج الفارسـی؛ لیسوح فی الشـرق الأوسـط، فعاد من عـدن ووجهته الجبال (۴) وعنـدما بلغ مخا اعتقد القوم أنّه ساحر، فما ترک، وقافلته المحملة بمجموعاته، مخا حتی اختفی. فمن قائل: إنّ العرب قتلوه بالقرب من مدینة تعز (۵) بعـد أن رابهم أمره، خاصّة أنّ هذا المسـتعرب الألمانی لم یکن- علی ما یظهر- مثل علی بک العباسـی بارعاً فی التنکّر (۶) ومن قائل:

إنّ الإمام أمر بـدسّ السمّ له فیصـنعاء، وهناک لقی حتفه (۷) عام ۱۸۱۱ م، إذ لم یکن الإمام یقیم وزناً لـذلک الأوروبی الوحید الذی لم یرافقه أحـد، وعندما فتحت حقائبه وجدوا فیها بعض النباتات المجفّفة، وأکیاساً تحوی بعض البذور والحشـرات المحفوظة، وبعض الأدوات الفلکیة، والدفاتر المملوءة بالکتابات غیر

---

۱- ۵۰ بلاد العرب القاصیة؛ م. س: ۱۰۷.

۲- ۵۱ نجیب العقیقی؛ «المستشرقون» ۱: ۱۰۹۷ ط ۱، القاهرة، ۱۹۶۵.

۳- ۵۲ موسوعة المستشرقین؛ م. س.

۴- ۵۳ تاریخ نجد الحدیث؛ م. س: ۷۹.

۵- ۵۴ المستشرقون؛ م. س، ۳: ۱۰۹۷.

۶- ۵۵ تاریخ نجد الحدیث: ۸۰.

۷- ۵۶ المستشرقون: م. س.

ص: ۲۰۲

المفهومة، وصوراً وخرائط أماکن بعیدة، ومبلغاً زهیداً من المال (۱)، فیما ترک اختفاء سیتزن أثراً سیئاً فی نفوس الرحالة فأحجموا عن جنوب بلاد العرب سنوات (۲).

یقول عنه «هوغارث»: «کان سیتزن نباتیّاً مشهوراً فی أوروپا، وهو من العلماء الأفاضل، له نظرات ثاقبةصائبة فی الأشیاء وفی الناس» وإنّ من یقرأ کتبه عن بعض الحکّام فی سوریا، وبعض النباتات والصناعات فی لبنان، لیتأکّد من ذلک، ویأسف جدّاً، لأنّ کتبه ومذکّراته فقدت بعد موته فی الیمن، فحرمنا رأیه فی الوهابیین وأمیرهم الأکبر سعود، کما یقول الریحانی (۳).

وتبقی مغامرات "سیتزن "ومخاطراته الواسعة المتنوّعة، بما فی ذلک تظاهره بالإسلام، ولبس زی الدراویش، وحجّه إلی مکّة، وذهابه إلی الیمن، فضلًا عن مکوثه فی الشام ومن ثم فی مصر.. کلّ ذلک یبقی مثار علامات استفهام حول حقیقة المهمّة، التی کانت موکلة إلی هذا الشاب، الذی لقی حتفه، وهو فی غمرة انهماکه بمهمّته السرّیة.. والمشبوهة تلک..

اسکتلاندی.. أمیراً للمدینة المنوّرة!

ثمّة مغامران آخران استطلعا الحجاز فی العقد الثانی من القرن التاسع عشر، أی بعد سنوات قلیلة جدّاً من أداء «علی بک العباسی» و «سیتزن» (أو الحاج موسی) الحج إلی مکّة المکرّمة. وهما السکوتلاندی «توماس کیث»، والایطالی «جیوفانی فیناتی».

وقد زار الحجاز عدد آخر من الاوروپیین الرحالة بعد ذلک، ولا سیما خلال القرن التاسع عشر، منذ بدایته حتی نهایته. وقد کانت حملة الخدیوی محمد علی باشا علی الحجاز، بأمر من الباب العالی فی اسطنبول؛ لانقاذها من الوهابیین، سبباً فی دخول عدد من الاوروپیین مع الجیوش المصریة إلی الأراضی المقدّسة،

---

۱- ۵۷ بلاد العرب القاصیة: ۱۰۷.

۲- ۵۸ المستشرقون: م. س.

۳- ۵۹ تاریخ نجد الحدیث: ۸۰.

ص: ۲۰۳

وزیارتهم مکة والمدینة، کما فعل الرحالة «بورخارت»، کما حصل للجندی السکوتلاندی المغامر «توماس کیث».

فقد کان «توماس کیث» اغا من أغوات المماليك العاملین فی جیوش محمّد علی باشا، باسم «ابراهیم أغا» (۱). وکان طوسون الشاب مثل أبیه وأخیه ابراهیم متساهلًا فی دینه، عاملًا بتساهله فی أمور شتّی سیاسیة وغیر سیاسیة، وکان یمیل خصوصاً إلی الاوروپیین، ویحب الانتفاع بعلومهم واختراعاتهم. وقد ضمّ الجیش المصری أولئك المجازفین منهم والمسترزقین (۲) وقد کتب لإبراهیم أغا هذا (توماس کیث) أن یشارك فی حملة طوسون بن محمد علی باشا، التی سیقت علی المدینة المنوّرة سنة ۱۸۱۲ م، فکان أوّل الداخلین إلیها، ثم وجد نفسه یشغل أغرب وظیفة فی حیاته، لفترة قصیرة من الزمن، وهی وظیفة حاکم عسکری للمدینة المنوّرة، علی ما یقول هوغارث (۳) وهذا ممّا یدلّ علی التساهل الذی کان یبدیه محمد علی باشا الکبیر وأولاده.

ومن ایطالیا مغامر اسمه الحاج محمد!

أمّا المغامر الآخر، فهو رجل من أهالی فیرارا فی ایطالیا. وقد قُدّر له، بعد تطویحات ومغامرات عدّة، أن یحجّ إلی مکّة المکرّمة فی ۱۸۱۴ م، باعتباره رجلًا (مسلماً) اسمه «محمد!».

لا نعرف عن هذا الأوروبی- کزمیله سیتزن- إلّاالنزر الیسیر، وکلّ ما لدینا من معلومات عنه، أنّه سیق إلی الجندیّة فی بلدته سنة ۱۸۰۵ م، ففرّ منها وقبض علیه، ثم سیق إلیها مرّة ثانیة. وهناك اتفق مع جنود آخرین، وفرّ إلی ألبانیا، فاشتغل عند أحد الباشوات الأتراك فیها، وتظاهر باعتناق الإسلام، فتوجّه إلی اسطنبول، وبعد مغامرات وتقلبات عدّة وصل إلی القاهرة فی ۱۸۰۹ م، وانخرط فی سلك الحرس الألبانی، وأصبح عریفاً فی حرس الخدیوی محمد علی باشا الخاص.

---

۱- ۶۰ موسوعة العتبات المقدّسة؛ م. س، ۳: ۲۴۰ ط ۲، بیروت، ۱۴۰۷ ه- ۱۹۸۷ م.

۲- ۶۱ تاریخ نجد الحدیث: ۷۷.

۳- ۶۲ موسوعة العتبات المقدّسة: م. س، ۳: ۲۴۱.

ص: ۲۰۴

واشترک بعد ذلک فی حملة سیقت إلی مصر العلیا للقضاء علی المماليک وثورتهم فیها، ثم رابطت قوّته فی المطریّة استعداداً لسوقها بقیادة طوسون باشا بن محمد علی باشا، لتأدیب الوهابیین الذین احتلوا الحجاز. فأبحرت القوّة فی ۱۸۱۱ م، واستطاعت الإنزال فی ینبع، واستولت علیها بعد معرکة اشترک فیها جیوفانی أو «محمد» اشتراکاً فعلیاً. وبعد أن بقی فیها مدّة من الزمن سمع بانتصارات محمد علی باشا علی الوهابیین فی الحجاز، فقرّر الالتحاق بالقوّة الألبانیة المنجدة التی توجّهت إلی هناک فی ۱۸۱۴ م.

وهناک اشترک فیناتی فی محاصرة القنفذة والاستیلاء علیها، وکان موجوداً فیها حینما استردّها الوهابیون بفظاظة، فجرح وتمرّض ولذلک قرّر الفرار من الجندیة والتوجّه إلی مکّة نفسها، فحجّ فیها وکتب عمّا شاهده، خلال ذلک، بتفصیل غیر یسیر. فهو یقول:

.. ولمّا کنت مسروراً لنجاحی فی الفرار، کنت فی وضع فکری یتقبّل شیئاً غیر یسیر من الانطباعات القویّة، ولذلک تحسّست کثیراً بجمیع ما رأیت، عندما دخلت البلدة (یقصد مکّة) لأنّها وإن لم تکن واسعة ولا جمیلة بحدّ ذاتها. فقد کان فیها شیء یبعث الرهبة والاندهاش فی النفس، وکان ذلک یلاحظ علی الأخصّ عند الظهیرة، حینما یهدأ کل شیء تمام الهدوء، إلّاالمؤذّن الذی یدعو الناس إلی الصلاة من فوق المأذنة.. وأبرز ما یلاحظ فی هذه البلدة البناء المقدّس المشهور الذی یقع فی وسطها (۱).

ویمضی «فیناتی» فی وصف البیت الحرام قائلًا: «هو فناء مبلّط واسع له أبواب کثیرة تؤدّی إلیه من جمیع الجهات، مع ممر واسع یحمل سقفه أعمدة تحیط بالبناء کلّه، بینما یقوم فی وسطه بناء یدعی الکعبة، وتغطّی جدران هذا البناء من الخارج بکسوة من المخمل الثمین الذی تطرّز فوقه کتابات عربیّة بالذهب» (۲).

ثمّ یعلّق علی ازدحام الناس فی مکة، وکثرة الحجّاج فیها فیقول: «.. ومع

---

۱- ۶۳ المرجع السابق ۲: ۲۶۱.

۲- ۶۴ المرجع نفسه، ۲: ۲۶۲.

ص: ۲۰۵

هـذا التجمّع الهائل الـذی کان ینقطع بین حین وآخر فی السـنوات الأخیرة، فقـد وصـلت إلی مکّـة، منذ أن أتت إلیها قافلتان کبیرتان، إحداهما من آسـیا والاخری من أفریقیا، یبلغ عدد القادمین فیهما حوالی أربعین ألف شـخص، کان یبدو علیهم کلّهم مقدار ما یکنّونه فی نفوسهم من الاحترام والتقدیس للبیت الحرام..».

وهنا یعلّق الرحالة بورتون (۱۸۲۰- ۱۸۹۰ م) (۱)، الـذی نشـر ما کتبه فیناتی فی آخر رحلته، علی هذا بقوله: إنّ «علی بک» یقدّر عدد الحجّاج الذین وقفوا فی عرفات سنة ۱۸۰۷ بثمانین ألف رجل وألفی امرأة وألف طفل. وأنّ الرحالة بیرکهارت قدّرهم فی ۱۸۱۴ أیضاً بسبعین ألفاً. ثم یقول بورتون: إنّهم لم یتجاوزا الخمسین ألف نسمة، حینما زار مکّة سنة ۱۸۳۵ م (۲).

ویقول فیناتی بالنسـبة لمناسک الحج فی عرفات: إنّ الحجّاج حینما یذهبون إلیها، لابدّ من أن یضحّوا ولو بذبح خروف فیها، وإنّ هذا یفعله الغنی والفقیر، علی سواء، ویساعد فیه الغنی الفقیرَ عند الحاجة. وکان مثل هذا العدد الهائل من الضـحایا یملأ الأماکن المکشوفة کلّها، فیتقاطر الفقراء من جمیع أنحاء البلاد لیأخذوا حصّتهم منها.. وبعد أن تتمّ مناسک الحج کلّها کانت تسـجّل الأسـماء عند کاتب خاص یُعیّن لهذه المهمّة، وعند ذاک ینفضّ الحجّاج ویعودون إلی أماکنهم.

ویعلّق بورتون علی هـذا القول أیضـاً بقوله: إنّهـذه العـادة لم یعـد یُعمـل بها. وإنّ شـهادة کان یعطیها الشـریف من قبل إلی جمیع من یستطیع دفع المال المطلوب عنها، و من یحتاج إلیالبرهنة علی ذهابه إلی حج البیت الحرام، لکن هذا لم یعد لها وجود (۳).

وفی الوقت الـذی کان فیه «جیوفانی فیناتی» یقوم برحلـة الحـج إلی مکّـة، کان هناک ثمّـة رحالـة خطیر، یُعدّ من أشـهر رحالی القرن التاسع عشر، وأبعدهمصیتاً وشهرة، یشارک فی موسم الحج ذاک، متخفّیاً تحت اسم مستعار «الشیخ إبراهیم»..

ذلک هو الرحالة السویسری بیرکهارت الذی سنأتی علی ذکره، فی الحلقة القادمة، بإذنه تعالی.

---

۱- ۶۵ سنتحدّث عنه فی حلقات قادمة، بإذنه تعالی.

۲- ۶۶ یُراجع کتابه: «الحج إلی المدینة ومکّة».. [ ۱۸۵۶ -۱۸۵۵] hacceM dna hanideM -LA ot egamirgliP

۳- ۶۷ موسوعة العتبات المقدّسة؛ م. س، ۲: ۲۶۲.

ص: ۲۰۶

الهوامش:

ص: ۲۰۷

تألیف نجیب العقیقی!

ص: ٢٠٨

## شخصيات من الحرمين الشريفين (٨) عمار بن ياسر

ص: ٢٠٩

شخصيات من الحرمين الشريفين (٨) عمار بن ياسر

راية الحقِّ المبين

محسن الاسدى

مع ما تعرضت له من ظلم وتعسف وتجاوز- كان أخطرها وأقساها تبرئة المعتدى وتبرير أفعاله وكيل المدح له، وإتهام البرىء وإدانته وذمّه وسبه...

بوسائل خبيثة، وبأحاديث موضوعة على رسول اللَّهصلى الله عليه و آله- بقيتصحبةُ رسول اللَّهصلى الله عليه و آله مدرسةً رساليةً عظيمةً مقدسةً.

كما لا يقدح عظمتها تلك، ولا يضرّ قدسيتها أبداً أنه كما كان فيها المتفوقون كان فيها دون ذلك بكثير، وكما كان فيها المجاهدون المخلصون كان فيها المتخاذلون، وكما كان فيها المؤمنون الصادقون حقّاً كان فيها غير ذلك..

لقد كان فيها الذين زادتهم إيماناً وثباتاً، وكانت شفاءً لما فى قلوبهم.. وكان فيها الذين ما ازدادوا إلّا نفوراً وإلّا أذًى وتخريباً لها...

وخلاصة القول: كان فيها محسنٌ وظالم لنفسه مبين، وهم بالآخرة بين شقىّ وسعيد فأما الذين شَقُوا ففى النار... خالدين فيها... وأمّا الذين سُعِدُوا ففى الجنة خالدين فيها... (١).

---

١- ١ هود: ١٠٦- ١٠٨.

ص: ٢١٠

لقد تعرضت هذه المدرسة المباركة لحالتى الإغواء والابتلاء، فارتفعت أعلام وسقطت أخرى، وتألقت نفوسٌ وهوت غيرها، وفاز جمع وخاب آخر... ومع هذا كلّه وغيره الكثير، بقيت هذه المدرسة المحمدية أعظمَ مدرسة عرفتها الدنيا! ونموذجاً فذاً لم يعهد مثله التاريخ وكيف لا تكون كذلك، وقد راحت السماء تغذيها وتمدّها وتنمّيها وتجذرها فى قلوب مؤمنةصادقة، راحت غير عابئة بما يحيط بها من أذًى ومن تعسفٍ ومن ظلم وقسر واضطهاد تبشر بآيات اللَّه وسنّة نبيه لتحملها مفاهيمَ ومبادئ وأحكاماً إلى الناس كافة؟!

لقد خلقت قلوباً أبيّة، ونفوساً كبيرة يحتضنها رجالٌ أفذاذ،صحابةٌ أجلّاء، تركوا آثارهم على تأريخنا بل على تأريخ الإنسانية عطاءً وعلماً، وتضحيةً وجهاداً، وأخلاقاً وآداباً...

لقد آمن هؤلاء والإسلام يعيش أحرج ظروفه وأقساها من حيث القلة والضعف والهوان فى ساحة يحيطها الأعداء من كلّ مكان. آمنوا وقدموا كلّ ذاك العطاء وكلّ تلك التضحيات...

بسبب ولائهم الصادق لرسول اللَّهصلى الله عليه و آله وحبهم العظيم له ولما حمله من قيم السماء. وهو ما شهد به أبو سفيان يوم كان زعيماً لأعداء اللَّه ورسوله: ما رأيتُ من الناس أحداً يحبّ أحداً كما يحب أصحابُ محمد محمداً.

وعمار وأبوه ياسر وأمّه سمية من هذه الفئة المؤمنة حقّاً، ومن هذه النخبة الطاهرة، ومن هؤلاء الأصحاب، الذين سجلوا لنا أمثلة رائعة وكبيرة للإيمان وللتضحية والفداء والصبر والحلم تشهد بذلك سجونُ قريش وسياطُها وحديدتُها المحماة ورماحُها القذرة، التى حملتها نفوسٌ سيئة وقلوبٌ قاسية وأيادٍ ملطخة بدماء البراءة والطهارة، كما تشهد لهم بذلك الصبر رمضاءُ مكة وشمسُها المحرقة، وما ذلك إلّالأنهم دعوا الى اللَّه ومَن أحسن قولًا ممّن دعا الى اللَّه وعملصالحاً وقال إننى من المسلمين.

إن الكتابةَ عن «أبو اليقظان»- هذا الرسالى، الذى وفّقه اللَّه تعالى ليعيش أجواء الرسالة وأفياء مدرستها تلك

ص: ۲۱۱

بکلّصدق ووعی وثبات- کتابةٌ عن أبیه یاسر، الذی منَّ اللّه علیه لیکون أول شهید عرفته المرحلة الأولی من مراحل الإسلام ودعوته، وهی ما زالت فی أول خطوة لها، کما أنّ الکتابةَ عنه کتابةٌ عن امّه التی حظیت هی الأخری بأول وسام للشهادة فی الصدر الأول للإسلام، بل هی کتابة عن کلّ المعذبین أمثال بلال وصهیب وخباب... والدین الجدید یخطو خطواته الأولی إلی قلوب الناس؛ لهدیهم وإرشادهم، وانقاذهم من الظلم والضلالة والضیاع الی حیث برّ الأمان فی الدنیا، والی حیث النجاة فی الآخرة.

قبل الهجرة النبویة الشریفة بسبع وخمسین سنة، فی مکّة، فی حی بنی مخزوم، ولد عمّار بن یاسر، من أبٍ عربی یمنیٍّ وهو یاسر بن عامر بن مالک الکنانی المذحجی العنسی القحطانی.

قدم یاسر من بلاد الیمن مع أخویه الحارث ومالک باحثین عن أخٍ رابع لهم فی رحلة طویلة شاقة، انتهت بهم الی مکّة، فرجع الحارث ومالک الی الیمن، فیما ألقی یاسر عصاه بها، وحالف أبا حذیفة بن المغیرة بن عبداللّه بن عمر بن مخزوم، فاقترن بسمیة بنت خیاط من جواری أبی حذیفة، ثم أعتقه هذا الأخیر بعد أن ولد لهما عمار، ومن هناصار عمّار وهو العربی القحطانی مولیً لبنی مخزوم. ولکنهما (یاسر وسمیة) بقیا مع أبی حذیفة الی أن مات.

کان عمّار یقول: کنتُ تربا لرسول اللّهصلی الله علیه و آله لسنّه، لم یکن أقرب به سنّاً منی. کما کان أخاً لأمٍّ سلمة زوج الرسولصلی الله علیه و آله من الرضاعة (۱).

صفاته:

کان عمّار أدم اللون، طُوالًا، جعد الشعر، حیث توجد شعرات فی مقدم رأسه، وفی مؤخره أیضاً وما بینهماصلع، فیه حبشیة، مجدَّع الأنف، أشهل العینین، لا یغیر شیبه. بعید ما بین المنکبین، وکان شجاعاً قویّاً ذا فصاحة وبیان ورأی سدید..

ومنصفاته أیضاً أنه کان طویل الصمت، طویل الحزن والکآبة، وکان عامة کلامه عائذاً باللّه من فتنته (۲).

إسلامه:

وفی قصة إسلامه التی وقعت وکان

---

۱- ۱ سیرة ابن هشام ۱/ ۱۶۲.

۲- ۲ حلیة الأولیاء:ص ۱۴۲.

ص: ٢١٢

له من العمر أربع وأربعون سنة فى دار الأرقم، التى كانت تدعى بدار الإسلام؛ لأنّها الدار التى كان يتم فيها إسلام الراغبين باعتناق الدين الجديد يقول عمّار: لقيتصهيب بن سنان على باب دار الأرقم، ورسول اللّهصلى الله عليه و آله فيها، فقلتُ له: ما تريد؟ قال لى: ما تريد أنت؟

فقلتُ: أردتُ أن أدخل على محمد فأسمع كلامه، قال: وأنا أريد ذلك، فدخلنا عليه، فعرض علينا الإسلام، فأسلمنا، ثم مكثنا يومنا على ذلك حتى أمسينا، ثم خرجنا ونحن مستخفون.

وكان عمار وأبواه وكذلك أخوه عبداللّه من المبادرين لاعتناق الدين الإسلامى، ومن الأوائل الذين أظهروا إسلامهم وجهروا به، فنالوا بذلك وسام السابقين وفضلهم بعد أن حرم منهما كثيرون. ولم ينجو كلّ منهم- بسبب ذلك- من سخط وغضب مشركى قريش وزعمائهم أبى جهل وشركائه، ونقمة بنى مخزوم الذين تولوا تعذيبهم، وأنزلوا بهم ألوان العذاب وصنوفه. باءت كلّها بالفشل، ولم تنل منصمودهم، ولم يحصل الطغاة إلّاشيئاً أباحه عمار.

وكان ذلك الصمود كلّه والثبات كلّه بسبب عمق العقيدة فى نفوسهم ومكانتها فى قلوبهم. وكانت لزيارة رسول اللّهصلى الله عليه و آله لهم فى الأبطح ودعائه وأقواله لهم دور كبير فى ذلك الثبات «صبراً أبا اليقظان،صبراً آل ياسر...

فإن موعدكم الجنة»..

لقد كانتصدورهم وصدور مَن معهم كصهيب وبلال وخباب... أقوى من الحجارة الرمضاء الملتهبة بحرارتها، وكانت أجسادهم أقوى من مكاوى النار التى ينزلونها عليهم، ومن دروع الحديد التى ألبسوها لهم وصهروهم بالشمس، وأصبر من كلّ شىء حتى بلغ الجهد منهم كلّ مبلغ، ففارقت روح سميّة الدنيا ونالت بذلك وسام أول شهيدة فى الإسلام لم يسبقها أحدٌ الى هذا الوسام من الرجال أو النساء (١).

بعد أن ربطت بين بعيرين وطعنها أبو جهل رأس الشرك والنفاق بحربة فى قُبُلِها فقتلها. وقتل بعدها زوجها، فكان هو الآخر أول شهيد من الرجال عرفته الساحة الإسلامية يومذاك.

لقد كان عمار وأبوه وأمّه قوماً من

---

١- ١ الطبقات ٣/ ٢٤٧.

ص: ٢١٣

المستضعفين فى مكّة وهم الذين لا عشائر لهم تدفع عنهم، وليست لهم منعة ولا قوة، فكانت قريش لا تخشى أحداً فيهم، فتذيقهم أشدَّ العذاب فى رمضاء مكّة وفى نهارها؛ لعلّهم يرجعون عن دينهم، ويتخلون عن محمد ودعوته. وما كيد هؤلاء المشركين إلّا فى تباب.

لقد ترك ذلك التعذيب آثاره على هذه الأجسام المتشربة بحلاوة الإيمان لسنين طويلة مرّت عليها، فهى على ظهر عمار حتى آخر حياته. تقول الرواية التى يقول فيها محمد بن كعب القرظى: أخبرنى مَن رأى عمار بن ياسر متجرداً من سراويل، قال:

فنظرت الى ظهره فيه خيط كبير، فقلت: ما هذا؟ قال: هذا مما كانت تعذبنى به قريش فى رمضاء مكّة (١).

أقوال النبيّصلى الله عليه و آله فى آل ياسر:

كانت لآل ياسر مكانة مرموقة عند رسول اللّهصلى الله عليه و آله وحظى عمار بالذات بمنزلة رفيعة عندهصلى الله عليه و آله لا ينالها إلّاذو حظ عظيم. فقد كانصلى الله عليه و آله كثير الترحيب به وكان يدفع عنه، ويضفى عليه من الكنى والألقاب والصفات الحسنة ما جعله موضع احترام عند المسلمين عامة والصحابة خاصة.

فقد سمّاهصلى الله عليه و آله الطيّب المطيَّب، وكان يناديه أبا اليقظان. ومن دعائه وأقوالهصلى الله عليه و آله فيهم: اصبروا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة، اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلتَ. كان ذلك منهصلى الله عليه و آله حينما يمرّ بهم فى الأبطح وهم يعذبون...

وفى رواية عمرو بن ميمون:

عذّب المشركون عماراً بالنار، فكان النبيصلى الله عليه و آله يمرّ به، فيُمرّ يده على رأسه ويقول: يا نار كونى برداً وسلاماً على عمّار، كما كنت على إبراهيم. ثم يقول:

تقتلك الفئة الباغية (٢).

وفى رواية... وقاتله وسالبه فى النار.

وعن هانئ بن هانئ قال: استأذن عمار على على عليه السلام فقال: ائذنوا له، مرحباً بالطيب المطيَّب، سمعت رسول اللّهصلى الله عليه و آله يقول: عمّار مُلئ إيماناً الى مشاشه (ما تحت عظامه).

وضربصلى الله عليه و آله مرّة خاصرته وقال:

هذه خاصرة مؤمنة.

---

١- ١ مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٢٠٨.

٢- ٢ مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٢١٢.

ص: ٢١٤

وفى الدفاع عنه، ومنع من يريد أذية عمار، قالصلى الله عليه و آله: مَن حقّر عماراً حقّره اللَّه... ومَن عادى عماراً عاداه اللَّه. ومن أبغض عماراً أبغضه اللَّه. عمار جلدة بين عينى.

ودخل عمّار على رسول اللَّهصلى الله عليه و آله يشكو خالد بن الوليد فقال: يا رسول اللَّه، لقد حَمش قوماً (ساقهم بغضب) قدصلوا وأسلموا، ثم وقع بخالد عند النبيّصلى الله عليه و آله، وخالد جالس لا يتكلم، فلما قام عمار وقع به خالد، فقال النبيّصلى الله عليه و آله: مه يا خالد! لا تقع بأبى اليقظان، فإنه من يُعاده يُعاده اللَّه، ومن يُبغضه يُبغضه اللَّه، ومَن يُسفهه يُسفهه اللَّه (١).

وعن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله... ما خير عمار بين أمرين إلّااختار أرشدهما.

.. دم عمار ولحمه حرام على النار أن تأكله أو تمسّه.

وقال أنس قالصلى الله عليه و آله: ثلاثة تُساق إليهم الجنة: على وعمار وسلمان.

وفى رواية أربعة: على وعمار وسلمان والمقداد.

وليس هذا قد ورد فى فضله فحسب بل كانصلى الله عليه و آله يقول للمسلمين: «اهتدوا بهدى عمّار» (٢).

عمار وآيات قرآنية:

ذكرت بعض الروايات والأخبار أن هناك آيات قرآنية نزلت فى عمار أو فى جمع كان عمار أحدهم، وأن هناك غيرها فسّرت فيه، ومن هذه الآيات:

* مَن كفرَ باللَّهِ من بعد إيمانه إلّا مَن أُكره وقلبه مطمئِنٌ بالإيمان... (٣)

.

والذى ورد فى ذلك أنّه لما جهر عمار وأبواه بإسلامهم، وعرفت بهم قريش وبنو مخزوم، عذبوهم أشد العذاب، وألبسوهم أدراع الحديد، ثمصهروهم تحت الشمس على أن يتركوا الإسلام وهم يأبون من ذلك. حتى ورد أن عمار ابن ياسر كان يعذب حتى لا يدرى ما يقول وكانصهيب يعذب حتى لا يدرى ما يقول... فقتلوا أمّه وقتلوا أباه، وأما عمار فقد أعطى معذِّبيه ما أرادوا منه (۴).

ذكر المفسرون أنّ هذه الآية نزلت فى عمار بن ياسر، وقيل فى جماعة أكرهوا وكان عمار أحدهم، وهم عمار وياسر أبوه وأمّه سمية وصهيب وبلال

---

١- ١ كتاب المغازى للواقدى ٣/ ٨٨٣.

٢- ٢ مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٢١٢.

٣- ٣ النحل: ١٠۶.

۴- ۴ مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٢٠٨.

ص: ٢١٥

وخباب عـذبوا وقتل أبو عمار وأمّه، وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا منه، ثم أخبر سـبحانه بـذلك رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله، فقال قوم: إن عماراً قد كفر. فقال رسول اللَّهصلى الله عليه و آله: كلا، إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه (فرقه) إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه. فجاء عمار رسول اللَّهصلى الله عليه و آله وهو يبكى. فقالصلى الله عليه و آله: ما وراءَك؟ فقال: شرٌّ يا رسول اللَّه ما تُركتُ حتى نلتُ منك، وذكرتُ آلهتهم بخير.

فجعل رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله يمسـح عينيه، ويقول: إن عادوا لك فعـد لهم بما قلت، وفى روايهٔ أن رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله قال له بعد أن سمع مقالته: كيف تجد قلبك؟ قال:

مطمئناً بالإيمان، قال: إن عادوا فعد (١). وهذا ما اجتمع أهل التفسير عليه (٢).

* والذين هاجروا فىاللَّه من بعد ما ظُلِموا لنبوئَنهم فى الدنيا حسنةً ولأجرُ الآخرهٔ أكبرُ لو كانوا يعلمون (٣)

.

لم تزل قريش تـذيق فريقـاً ممّن آمن بـاللَّه ورسوله سوءَ العـذاب، فلعلّها تحقق مرادها منهم، أن يكفروا بمحمـدٍ ورسالته، ويعودوا الى ملتهم الأولى عبادهٔ اللّات والعزى... لكنّ محاولاتها هـذه لم تنفعها شـيئاً، إنما الذى حصل هو أن تعذيبها لهم كلّ ما ازداد شدّهٔ وقسوهٔ ازداد معهصـمود المعـذَّبين، فقرر هؤلاء الهجرهٔ عن هـذه البلاد فى أول فرصـهٔ لهم، وهذا ما تمّ بالفعل فهاجروا جميعاً الى حيث هاجر رسول اللَّهصلى الله عليه و آله الى المدينهٔ المنورهٔ، فأنزل اللَّه تعالى فيهم هذه الآيهٔ.

تقول الروايـهٔ: كان عمار بن ياسـر يعـذب حتى لا يـدرى ما يقول، وكانصـهيب يعـذب حتى لا يـدرى ما يقول، وبلال وعامر بن فهيرهٔ وقوم من المسـلمين، وفيهم نزلت هـذه الآيهٔ... (٤) يقول الشـيخ الطبرسـى: نزلت فى المعذَّبين بمكّهٔ مثل:صـهيب وعمار وبلال وخباب وغيرهم مكّنهم اللَّه بالمدينـهٔ، وذكر أنصـهيباً قال لأهل مكّـهٔ: أنا رجل كبير إن كنت معكم لم ينفعكم، وإن كنتُ عليكم لم يضـركم، فخذوا مالى ودعونى، فأعطاهم ماله، وهاجر الى رسول اللَّهصلى الله عليه و آله فقال له أبو بكر: ربح

---

١- ١ انظر تفسير مجمع البيان والتفسير الكبير للرازى وغيرهما.

٢- ٢ ابن عبد البر فى الاستيعاب.

٣- ٣ النحل: ٤١.

٤- ۴ مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٢٠٨.

ص: ٢١۶

البيع ياصهيب. ويروى أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى أحداً من المهاجرين عطاءً، قال له: خذ هذا ما وعدك اللَّه فى الدنيا، وما أخّره لك أفضل، ثم تلا هذه الآية (١).

وقال الواحدى فى أسبابه: نزلت فى أصحاب النبيِّصلى الله عليه و آله بمكة: بلال، وصهيب، وخبّاب، وأبى جندل بن سهيل، أخذهم المشركون بمكّة فعذبوهم وآذوهم، فبوأهم اللَّه تعالى المدينة بعد ذلك (٢).

لقد بوّأهم اللَّه تعالى مكاناً محموداً بين اخوانهم المسلمين المهاجرين والأنصار، وجعل لهم ذكرى طيبة تتناقلها ألسنة المؤمنين المجاهدين، وصاروا قدوة حسنة لكل المجاهدين ضد الطغيان والتعسف، ولهم بالآخرة جنة الخلد حيث النعيم المقيم. ولا غرابة فى ذلك فقد أعطى عمار واخوانه كلّ شىء، وقدموا أنفسهم رخيصة، وتحملوا عذاباً ما أقساه وأعظمه! فأعطاهم اللَّه تعالى حسن الدنيا وأجر الآخرة ونعيمها.

* وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربّهم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه... (٣)

.

لم ينفكّ طغيان قريش وكبرياؤها يلاحق هذه الفئة المؤمنة، بعد أن عجزت كلّ محاولاتها وأساليبها القذرة فى إطفاء نور الرسالة وإخمادها. فبدأوا بأسلوب آخر: أن اطرد يا محمد هؤلاء «عمار وصهيب وبلال وخباب...» فنجلس معك وقد نتبعك. كم لهذا الموقف من شبه بموقف قوم نوح حيث قال زعماؤهم وكبراؤهم: ما نراك اتبعك إلّاالذين هم أراذلنا بادى الرأى (۴)

.

فلعلّ هدف مشركى قريش أو بعض المؤلفة قلوبهم لم يكن إلّازرع بذرة الشقاق بين محمد وأصحابه، إذا ما طردهم من مجلسه ليجلس زعماء قريش بدلًا منهم، وكم لهذا الموقف من أثر على نفوسهم وهم يرون معذِّبيهم مقدمين فى مجلس رسول اللَّهصلى الله عليه و آله وهم مبعدون عنه، وكم ستكون ذلتهم كبيرة وقاسية عليهم؟! وهل هذه مكافأتهم، وهل هذا جزاءصمودهم وثباتهم؟!

---

١- ١ تفسير مجمع البيان للطبرسى ۶/ ۵۵٧، وفى تفسير الآية من سورة النحل.

٢- ٢ أسباب نزول القرآن للإمام أبى الحسن الواحديص ٢٨۵.

٣- ٣ الأنعام: ۵١.

۴- ۴ هود: ٢٧.

ص: ۲۱۷

وهنا تدخلت السماء لما لهذا الأمر من خطورة، لتمنع مثل هذه المحاولات ولتقف بحزم إزاءَها، ولتزيد تكريمها لهذهِ الفئة الرسالية.

روى الثعلبى بإسناده عن عبداللَّه بن مسعود، قال: مرّ الملأ من قريش على رسول اللَّهصلى الله عليه و آله وعندهصهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أفنحن نكون تبعاً لهم؟ أهؤلاء الذين منّ اللَّه عليهم؟ اطردهم عنك فلعلك إن طردتهم اتبعناك، فأنزل اللَّه تعالى: ولا تطرد....

وقال سلمان وخبّاب: فينا نزلت هذه الآية، جاء الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصين الفزارى وذووهم من المؤلفة قلوبهم، فوجدوا النبيَّصلى الله عليه و آله قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب فى ناس من ضعفاء المؤمنين فحقروهم، وقالوا: يا رسول اللَّه لو نحيتَ هؤلاء عنك حتى نخلو بك. فإن وفود العرب تأتيك فنستحى أن يرونا مع هؤلاء الأعبد، ثم إذا انصرفنا، فإن شئت فأعدهم الى مجلسك، فأجابهم النبيصلى الله عليه و آله إلى ذلك، فقالا له: اكتب لنا بهذا على نفسك كتاباً، فدعا بصحيفة وأحضر علياً ليكتب.

قال: ونحن قعود فى ناحية إذ نزل جبريل عليه السلام بقول: ولا تطرد الذين يدعون... إلى قوله: أليس اللَّه بأعلم بالشاكرين.

فنحّى رسول اللَّهصلى الله عليه و آله الصحيفة وأقبل علينا ودنونا منه، وهو يقول: كتب ربّكم على نفسه الرحمة. فكنا نقعد معه... (۱)

وعن عكرمة، قال: جاء آل شيبة وعتبة ابنا ربيعة ونفرٌ معهما سمّاهم أبو طالب، فقالوا: لو أن ابن أخيك محمداً يطرد موالينا وحلفاءَنا، فإنما هم عبيدنا وعُسَفاؤنا (۲) كان أعظم فيصدورنا، وأطوعَ له عندنا. فأتى أبو طالب النبيصلى الله عليه و آله فحدثه بالذى كلموه، فأنزل اللَّه عزّوجلّ: الآية. قال وكانوا بلالًا وعمار ابن ياسر مولى أبى حذيفة بن المغيرة، وسالماً مولى أبى حذيفة بن عتبة، وصُبيحاً مولى أسيد، ومن الحلفاء ابن مسعود، والمقداد بن عمرو

---

۱- ۱ تفسير مجمع البيان للطبرسى فى تفسير الآية.

۲- ۲ العسيف: الأجير المستهان به. انظر اللسان: عسف.

ص: ۲۱۸

وغيرهم (۱).

* واصبر نفسك مع الذين يدعون ربَّهم بالغداة والعشى يريدون وجهه... (۲)

.

... فكنا «سلمان وخباب وعمار...» نقعد معه، فإذا أراد أن يقوم، قام وتركنا، فأنزل اللَّه عزّوجلّ واصبر نفسك... قال: فكان رسول اللَّهصلى الله عليه و آله يقعد معنا ويدنو حتى كادت ركبتنا تمسّ ركبته، فإذا بلغ الساعة التى يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم، وقال لنا:

الحمد للَّهالذى لم يمتنى حتى أمرنى أن اصبر نفسى مع قوم من أمتى، معكم المحيا ومعكم الممات... (۳) ويذكر الطبرسى رواية أخرى فى تفسيره للآية من سورة الكهف: نزلت فى سلمان وأبى ذر وصهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء أصحاب النبيّصلى الله عليه و آله وذلك أن المؤلفة قلوبهم جاؤوا الى رسول اللَّهصلى الله عليه و آله وهم عيينة بن الحصين والأقرع بن حابس وذووهم، فقالوا: يا رسول اللَّه إن جلست فيصدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء روائحصنانهم، وكانت عليهم جبات الصوف، جلسنا نحن إليك وأخذنا عنك، فلا يمنعنا من الدخول عليك إلّاهؤلاء، فلما نزلت الآية قام النبيّصلى الله عليه و آله يلتمسهم فأصابهم فى مؤخر المسجد يذكرون اللَّه عزّوجلّ، فقال: الحمد للَّهالذى لم يمتنى... (۴)وهناك آيات أخر قال بعضهم: إنها فى عمار نزولًا أو تفسيراً، منها:

* أمَّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه (۵)

.

وهو قول ابن عباس ومقاتل عن (۶) أبى بكر بن عياش (۷).

* هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون قال ابن عياش أيضاً: عمار والذين لا يعلمون مواليه بنو المغيرة (۸).

* ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلّاقليل منهم (۹)

.

القليل هم عبداللَّه بن مسعود وعمار ابن ياسر، وهو قول عكرمة. وفى مجمع البيان: إلا قليل منهم قيل: إن القليل الذى استثنى اللَّه هو ثابت بن قيس بن

---

۱- ۱ مختصر تاريخ دمشق ۱۸/ ۲۱۰.

۲- ۲ الكهف: ۲۸.

۳- ۳ مجمع البيان للطبرسى ۳/ ۴۷۳.

۴- ۴ مجمع البيان للطبرسى ۶/ ۷۱۸ فى تفسير الآية من سورة الكهف. أسباب النزول للواحدى.

۵- ۵ الزمر: ۹.

۶- ۶ اسباب النزول للواحدى، ومختصر تاريخ دمشق ۱۸/ ۲۱۰.

۷- ۷ رجال الحديث للسيد الخوئى ۳/ ۲۸۸.

۸- ۸ ۱۳/ ۲۸۸.

۹- ۹ النساء: ۶۶.

ص: ٢١٩

شماس، وقيل هو جماعة من أصحاب رسول اللَّه، قالوا: واللَّه لو أمرنا لفعلنا، فالحمد للَّهالذى عافانا، ومنهم عبداللَّه ابن مسعود وعمار بن ياسر، فقال النبيصلى الله عليه و آله: إن من أمتى رجالًا الإيمان فى قلوبهم أثبت من الجبال الرواسى (١).

* ما لنا لا نرى رجالًا كنا نعدّهم من الأشرار (٢)

.

قال مجاهد: يقول أبو جهل فى النار:

أين عمّار، أين بلال؟

وقيل: نزلت فى أبى جهل والوليد ابن المغيرة وذويهما يقولون: ما لنا لا نرى عمّاراً وخباباً وصهيباً وبلالًا، الذين كنا نعدهم فى الدنيا من جملة الذين يفعلون الشرّ والقبيح ولا يفعلون الخير؟! (٣)* أفمن يُلقى فى النار خيرٌ أم من يأتى آمناً يوم القيامة (۴)

.

عن عكرمة: أنها نزلت فى عمار بن ياسر، (وهو الذى يأتى آمناً يوم القيامة) وفى أبى جهل (الذى يُلقى فى النار).

* أومَن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها (۵)

.

عن عكرمة: فى أبى جهل وعمار (صاحب النور).

* فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى اللَّه والرسول إن كنتم تؤمنون باللَّه واليوم الآخر (۶)

.

فعن ابن عباس: بعث رسول اللَّهصلى الله عليه و آله خالد بن الوليد بن المغيرة فى سرية- قال: ومعه فى السرية عمّار بن ياسر- الى حىّ من قريش، أو من قيس، حتى إذا دنَوا من القوم جاءهم النذير فهربوا، وثبت رجل منهم، كان قد أسلم هو وأهل بيته، فقال لأهله:

كونوا على رجل حتى آتيكم. قال:

فانطلق حتى دخل فى العسكر، فدخل على عمار بن ياسر، فقال: يا أبا اليقظان، إنى قد أسلمت وأهل بيتى، فهل ذلك نافعى أم أذهب كما ذهب قومى؟ قال: فقال له عمار: أقم، فأنت آمن. قال: فرجع الرجل فأقام، وصبحهم خالد بن الوليد، فوجد القوم قد أنذروا، وذهبوا، فأخذ الرجل،

---

١- ١ مجمع البيان فى تفسير الآية.

٢- ٢ سورةص: ۶٢.

٣- ٣ مجمع البيان. والتفسير المنير للدكتور الزحيلى فى تفسير الآية.

۴- ۴ فصلت: ۴٠.

۵- ۵ الأنعام: ١٢٢.

۶- ۶ النساء: ۵٩.

ص: ٢٢٠

فقال له عمار: إنّه ليس لك على الرجل سبيل، إنّى قد أمّنته، وقد أسلم، قال:

وما أنت وذاك؟ أتجير علىَّ وأنا الأمير؟! قال: نعم، أُجير عليك، وأنت الأمير، إنّ الرجل قد أسلم، ولو شاء لذهب كما ذهب قومه، قال: فتنازعا فى ذلك حتى قدما المدينة، فاجتمعا عند رسولاللَّهصلى الله عليه و آله فذكر عمار للنبيِّصلى الله عليه و آله الذى كان من أمر الرجل، فأجاز أمان عمار، ونهى يومئذ أن يُجير رجلٌ على أمير، فتنازع عمار وخالد عند رسول اللَّهصلى الله عليه و آله حتى تشاتما.

فقال خالد: أيشتمنى هذا العبد عندك؟

أما واللَّه لولاك ما شتمنى.

قال: فقال نبىّ اللَّهصلى الله عليه و آله: كُفَّ يا خالد عن عمّار، فإنّه مَن يبغض عماراً يبغضه اللَّه عزّوجلّ، ومن يلعن عماراً يلعنه اللَّه، قال: وقام عمار فانطلق، فاتبعه خالد وأخذ بثوبه، فلم يزل يترضاه حتى رضى عنه، قال: وفيه نزلت:

... فإن تنازعتم فى شىء فردوه الى اللَّه والرسول... الآية (١).

صفحاتٌ اخر من حياته المباركة:

أبو اليقظان واحد من الذين حظوا بوسام الهجرتين وأوسمة أخر، هاجر الهجرة الأولى مع من هاجر من المسلمين وكانت يومذاك إلى الحبشة (وإن تردّد بعضهم فى هجرته الى الحبشة واختلفوا فى وقوعها) (٢) من بعد ما ظلموا وعذبوا واضطهدوا أيما اضطهاد من قبل مشركى مكة وطغاتها، وبعد أن سمعوا قول رسول اللَّهصلى الله عليه و آله: لو خرجتم الى أرض الحبشة! فإن فيها ملكاً لا يُظلَم أحدٌ عنده، وهى أرضصدق حتى يجعل اللَّه فرجاً مما أنتم فيه... (٣)وأما الهجرة الثانية فكانت الى المدينة، وما إن وطأت قدماه تراب هذه الأرض، وكان اللقاء برسول اللَّهصلى الله عليه و آله حتى آخيصلى الله عليه و آله بينه وبين حذيفة بن اليمان، ثم راح عمار يجمع أحجاراً ليبنى بها مسجداً لرسول اللَّهصلى الله عليه و آله، فكان مسجد قباء، وكان عمار أول مَن بنى مسجداً فى الإسلام.

ولم يكتف عمار بذلك فقد اشترك مع الصحابة الآخرين فى بناء مسجد النبيِّصلى الله عليه و آله. فلما قدم النبيصلى الله عليه و آله المدينة قال:

ابنوالنامسجداً، قالوا: كيف يا رسولاللَّه؟

قال: عرش كعرش موسى، ابنوه

---

١- ١ مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٢١۴، أسباب النزول للواحدى، سورة النساء، الآية.

٢- ٢ البداية والنهاية، ومختصر تاريخ دمشق، ترجمة عمار ٣/ ۶٩.

٣- ٣ الطبرى ١/ ۵۴٧.

ص: ٢٢١

لنا بلَبن، فجعلوا يبنون ورسول اللَّهصلى الله عليه و آله يعاطيهم اللَّبن عليصدره، ما دونه ثوب، وهو يقول:

اللهم، إنّ العيشَ عيشُ الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة فمرّ عمار بن ياسر، فجعل رسول اللَّهصلى الله عليه و آله ينفض التراب عن رأسه ويقول: ويحك يا بن سمية، تقتلك الفئة الباغية.

لقدكان عمار الى جوار رسول اللَّهصلى الله عليه و آله الذى كان هو الآخر يحمل الحجارة معهم، ويومها كان عمار يرتجز ويقول:

نحن المسلمون نبتنى المساجدا

ورسولُ اللَّهصلى الله عليه و آله يردّد مع المسلمين:

المساجدا.

و راح عمار ينشد ما كان ير تجزبه علىّ عليه السلام:

لا يستوى من يعمر المساجدا يظلّ فيها راكعاً وساجداً أو: يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن تراه عانداً معانداً عن الغبار لا يزال حائداً أو: من يُرى عن الغبار حائدا

يقول ابن هشام فى سيرته:...

فدخل عمار وقد أثقلوه باللبن. فقال يا رسول اللَّه: قتلونى، يحملون علىَّ ما لا يحملون.

وعن مجاهد: رآهم رسول اللَّهصلى الله عليه و آله وهم يحملون الحجارة على عمار، وهو يبنى المسجد، فقال: ما لهم ولعمار، يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار، وذلك فعل الاشقياء الأشرار.

كما كان ممّن شهدوا بيعة الحديبية التى تمّت تحت الشجرة المعروفة وهى شجرة السمرة، وسميت هذه البيعة ببيعة الرضوان، وجاءت هذه التسمية من الرضا الوارد فى الآية النازلة فيها: لقد رضى اللَّهُ عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها وكان اللَّهُ عزيزاً حكيماً... (١)

.

وكما كان عمار من السابقين الى اعتناق الإسلام، كان من المبادرين إلى الاشتراك فى معارك الإسلام الكبرى، فشهد بدراً فنال بذلك وسام البدريين وأحداً والخندق ومعركة حنين كما لم

---

١- ١ الفتح: ١٨- ١٩.

ص: ۲۲۲

یتخلف عن مشاهد ومعارک الإسلام الأخری حتی بعد وفاة رسول اللَّهصلی الله علیه و آله فقد شارک فی معارک الردّة، الیمامة، وفی الفتوحات الإسلامیة زمن الخلفاء، وکان له دور کبیر فی معرکتی الجمل وصفین التی استشهد فیها.

وفی حفر الخندق: کان لعمار- مع کونهصائماً- السبق فی ذلک، یقول جابر بن عبداللَّه: إن رسول اللَّهصلی الله علیه و آله والمسلمین لما أخذوا فی حفر الخندق جعل عمار بن یاسر یحمل التراب والحجارة فی الخندق، فیطرحه علی شفیره، وکان ناقهاً من مرض،صائماً، فأدرکه الغشی، فأتاه أبو بکر، فقال:

أربع علی نفسک (کفَّ وارفق) یا عمار، فقد قتلت نفسک، وأنت ناقه من مرض، فسمع رسول اللَّهصلی الله علیه و آله قول أبی بکر، فقام، فجعل یمسح التراب عن رأس عمار ومنکبه وهو یقول: یزعمون أنک متّ، وأنک قد قتلت نفسک، کلا واللَّه حتی تقتلک الفئة الباغیة.

وفی معرکة الیمامة سنة ۱۱ ه ضد المرتدین مسیلمة الکذاب وجنده وقع قتال وصفه الطبری بقوله: ثم التقی الناس ولم یلقهم حربٌ قطّ مثلَها من حرب العرب، فاقتتل الناس قتالًا شدیداً... (۱) وکان لعمار بن یاسر أیضاً دور کبیر فیها، وفی تثبیت المسلمین وتحقیق النصر.

وقد اصیبت أذنه یومها، فعن ابن عمر أنه قال: رأیت عمار بن یاسر یوم الیمامة علیصخرة وقد أشرف یصیح: یا معشر المسلمین، أمن الجنة تفرّون، أنا عمار بن یاسر، هلمّ إلیَّ، وأنا أنظر الی أذنه قد قطعت، فهی تَذبذَب، وهو یقاتل أشدَّ القتال (۲).

وکان جدع أذنه موضع فخر له فیما راح آخرون یعیرونه به، فإذا ما اختلفوا معه وتنازعوا، قالوا له: أیها العبد المجدَّع. فکان یجیبهم: عیرتمونی بأحبّ أذنیّ إلیّ- أو خیر أذنیّ.

وفی عهد الخلیفة الثانی تولی عمار ولایة الکوفة لأکثر من سنة، وقد جاء فیما کتبه عمر إلی أهل الکوفة: أما بعد، فإنی قد بعثت إلیکم عماراً أمیراً، وعبداللَّه بن مسعود معلماً (قاضیاً) ووزیراً، وإنهما من نجباء أصحاب محمدصلی الله علیه و آله ممن شهدا بدراً، فاسمعوا لهما

---

۱- ۱ تاریخ الطبری ۲/ ۲۷۹.

۲- ۲ مختصر تاریخ دمشق ۱۸/ ۲۱۹.

ص: ٢٢٣

وأطيعوا (واقتدوا بهما)، وقد آثرتكم بهما على نفسى (١).

إلى غير ذلك من الأوسمة الكبيرة التى حاز عليها هذا الصحابى الجليل...

مروياته:

ذُكر فى عدّة الرجال أن يعقوب بن شيبةصنف مسند عمار بن ياسر، وهناك فى جامع المسانيد والسنن مسندٌ لعمار ذُكر فيه مَن روى عنه كما ذُكرت فيه مروياته عن رسول اللّه (٢) كما ذكرصاحب الأعلام أن عماراً روى اثنتين وستين روايةً عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله وممّا رواه:

... قال: سمعتُ رسول اللّهصلى الله عليه و آله يقول:

إن طولصلاة الرجل وقصر خطبته مِئنَّة، فأطيلوا الصلاة، وأقصروا الخطبة، فإن من البيان سحراً (٣).

... قال عمار: قال رسول اللّهصلى الله عليه و آله:

كفى بالموت واعظاً وكفى باليقين عزّاً.

وعن ابن عباس، عن عمار بن ياسر قال: كنا مع رسول اللّهصلى الله عليه و آله حين احتبس عن قلادة عائشة بذات الجيش، فلما طلع الفجر أو كاد نزل آية التيمم.

فمسحنا الأرض بالأيدى، ثم مسحنا الأيدى الى المناكب ظهراً وبطناً، وكان يجمع بين الصلاتين فى سفره (۴).

وفى رواية أخرى لعمار كما فى أسباب النزول للواقدى: عرّس رسول اللّهصلى الله عليه و آله بذات الجيش، ومعه عائشة زوجته، فانقطع عقد لها من جذع ظفار فحبس الناس ابتغاء عقدها ذلك حتى أضاء الفجر، وليس مع الناس ماء... فأنزل اللّه تعالى على رسولهصلى الله عليه و آله قصة التطهر بالصعيد الطيب، فقام المسلمون فضربوا بأيديهم الأرض ثم رفعوا أيديهم، فلم يقبضوا من التراب شيئاً، فمسحوا بها وجوههم وأيديهم الى المناكب، وبطون أيديهم الى الآباط (۵).

من دعائه وأقواله الأخرى:

نسبت لعمار أقوال كثيرة وأدعية تدلنا على عمق إيمانه وحكمته، وكان منها:

كان عمار بن ياسر مع جماعة فى المسجد وعنده أعرابى، فذكروا المرض، فقال الأعرابى: ما مرضتُ قط، فقال عمار: ما أنت؟! أو لست منا؟! إن المسلم يُبتلى بالبلاء، فيكون كفارة

---

١- ١ مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٢١٩ والاستيعاب.

٢- ٢ جامع المسانيد والسنن لعماد الدين الدمشقى ٩/ ٣٢٩- ٣٨٨.

٣- ٣ مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٢٢٠، ومعنى الحديث أن ذلك مما يعرف به فقه الرجل، انظر اللسان: مأن.

۴- ۴ كتاب المغازى للواقدى ٢/ ۴٣۵.

۵- ۵ أسباب النزول للواقدى فى سبب نزول آية التيمم، الآية ۴٣ من سورة النساء.

ص: ٢٢٤

خطاياه فتتحاتّ كما يتحاتّ ورق الشجر، وإن الكافر يُبتلى، فيكون مثله كمثل البعير عُقل، فلا يدرى لم عُقل، وأُطلق فلا يدرى لم اطلق (١).

ومرّ عمار بن ياسر على ابن مسعود يَرْسُسُ داره، فقال: كيف ترى يا أبا اليقظان؟ قال: أراك بنيت شديداً، وأمّلت بعيداً، وتموت قريباً (٢).

ومن أقواله كفى بالموت موعظة، وكفى باليقين غنى، وكفى بالعبادة شغلًا (٣).

ومن دعائه رضوان اللَّه عليه:

اللهم، اجعلنى من عبادك الصالحين، وأعطنى منصالح ما تعطى عبادك الصالحين، من الأمانة، والإيمان، والأجر، والعافية، والمال، والولد النافع غير الضار ولا المضر، ولا الضالّ ولا المضلّ (۴).

وعن عبدالرحمن بن أبزى عن عمار أنه قال- وهو يسير على شط الفرات-:

اللهم لو أعلم أن أرضى لك عنى أن أتردى فأسقط، فعلتُ. ولو علمتُ أن أرضى لك عنى أن ألقى نفسى فى هذا الماء فأغرق فيه، فعلتُ (۵).

قال عمار: كنتُ أنا وعلىّ رفيقين مع رسول اللَّهصلى الله عليه و آله فى غزوة العشيرة، فنزلنا منزلًا، فرأينا رجالًا من بنى مُدْلج يعملون فى نخل لهم، فقلت: لو انطلقنا! فنظرنا إليهم كيف يعملون، فانطلقنا فنظرنا إليهم ساعة، ثم غَشِيَتنا النعاسُ، فعدنا اليصور من النخل؛ فنمنا تحته فى دقعاء من التراب، فما أيقظنا إلّا رسولُ اللَّهصلى الله عليه و آله، أتانا وقد تترَّبنا فى ذلك التراب، فحرّك عليّاً برجله، فقال: قم يا أبا تراب، ألا أُخبرك بأشقى الناس؟

أحمر ثمود عاقر الناقة، والذى يضربك يا علىّ على هذا- يعنى قرنه- فيخضب هذه منها، وأخذ بلحيته (۶).

البشارة والشهادة:

فى الوقت الذى ما زالت سياط الجلادين تلاحق جسد عمار، كانت كلمات البشير النذير محمد بن عبداللَّهصلى الله عليه و آله هى الأخرى تلاحقه لتكون شفاء له ورحمة:صبراً يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة. ويح ابن سمية! تقتله الفئة الباغية. أبشر عمارُ تقتلك الفئة الباغية. آخر زادك من الدنيا ضياح لبن. قال رسول اللَّهصلى الله عليه و آله لعلى عندما ذكر

---

١- ١ مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٢٢٢.

٢- ٢ مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٢٢٢، يرسس يصلح. انظر اللسان: رسس.

٣- ٣ مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٢٢٢.

۴- ۴ مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٢٢۴.

۵- ۵ حلية الأولياء ١/ ١۴٢- ١۴٣.

۶- ۶ تاريخ الطبرى ٢/ ١۴.

ص: ۲۲۵

عماراً: أما أنه سيشهد معك مشاهد أجرها عظيم، وذكرها كثير، وثناؤها حسن (۱).

«أى أبشر يا عمار فإنك ستموت شهيداً بيد فئة ظالمة وهى جماعة معاوية، التى كانت ضد علىّ وجيشه رضى اللَّه عنهم، وكان عمار فى جيش على بصفين، فلما استشهدصلى عليه علىّ ودفن هناك رضى اللَّه عنهم...

وفيه أن علياً رضى الله عنه كان على الحقّ، وأنه كان أحقّ بالخلافة، لا شك فى هذا، وفيه معجزة للنبيّصلى الله عليه و آله لإنه إخبار بغيب وقع» هذا ما قاله الشيخ منصور على ناصف من علماء الأزهر الشريف فى تاجه الجامع للأصول (۲).

الشهادة التى جاءت تسعى إلى عمار وراح يسعى إليها بعد أن طال انتظاره لها قرابة خمسين سنة حتى وافته وهو يربو على التسعين من عمره المبارك؛ لينال بها أرفع درجات العاملين، وأعلى درجات المجاهدين، فوقع شهيداً، وقد أثخنته الجراح، وضرجته الدماء، وصار جسده موضعاً التقت به ضربات البغاة مع آثار سياط المشركين من قبل حين أظهر إيمانه بدعوة رسول اللَّهصلى الله عليه و آله.

وهذا هو الخيار الذى ارتآه عمار لنفسه، أن يقف بجانب على عليه السلام وأن لا يحيد عنه أبداً، وكيف يحيد وقد عهد إليه رسول اللَّهصلى الله عليه و آله: يا عمار إن رأيت علياً قد سلك وادياً، وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع على ودع الناس، إنه لن يدلك على ردى، ولن يخرجك من الهدى.

لقد كان عمار رايةً للحقّ والهدى فقد ذكر عبداللَّه بن سلمة: رأيتُ عماراً يومصفين شيخاً كبيراً، آدم، طُوالًا، أخذ الحربة بيده، ويده ترعد، فقال: والذى نفسى بيده، لقد قاتلتُ بهذه الراية مع رسول اللَّه ثلاث مرّات وهذه الرابعة، والذى نفسى بيده، لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر، لعرفتُ أن مصلحتنا على الحقّ وأنهم على الضلالة (على الباطل) (۳).

وفيما قاله عمرو بن العاص:...

ولكنا كنا نراهصلى الله عليه و آله يحب رجلًا، قالوا:

فمَن ذلك الرجل؟ قال: عمار بن ياسر، قالوا: قتيلكم يومصفين، قال: قد واللَّه قتلناه (۴).

---

۱- ۱ كنز العمال ۱۱/ ۷۲۳، حلية الأولياء، أبو نعيم ۱/ ۱۴۲.

۲- ۲ التاج الجامع للأصول ۳/ ۳۷۱ الهامش.

۳- ۳ مختصر تاريخ دمشق ۱۸/ ۲۰۶.

۴- ۴ مختصر تاريخ دمشق ۱۸/ ۲۱۴.

ص: ٢٢۶

لقد كان عمار- بحق- الراية التى مَن انضوى تحتها فالجنة مأواه، ومن زاغ عنها فالنار مثواه.

تقول الرواية: جاء رجل الى عبداللّه ابن مسعود، فقال له: يا أبا عبدالرحمن، إنّ اللّه عزّوجلّ، قد أمننا من أن يظلمنا، ولم يؤمنا من أن يفتنّا، أرأيت إن أدركتُ فتنة؟ قال: عليك بكتاب اللّه، قال: أرأيت إن كان كلهم يدعو الى كتاب اللّه؟ قال: سمعتُ رسول اللّهصلى الله عليه و آله يقول: إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق.

وفى حديث آخر عن ابن مسعود أيضاً، جاء رجل إليه فقال: إن اللّه أجار أهل الإسلام من الظلم ولم يُجرهم من الفتن، فإن وقع فما تأمرنى؟ قال:

انظر عمار بن ياسر أين يكون فكن معه، فإنى سمعت رسول اللّهصلى الله عليه و آله يقول:

عمار يزول مع الحق حيث يزول (١).

وهذا هو بعينه ما وقع يوم التقى الجمعان فيصفين ورفعت المصاحف، واضطرب الناس، فكان ابن سمية الراية الخفاقة التى تصدع بالحق، وتجهر به وتدعوهم أن هلموا الىّ.

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً ولكن لا حياة لمن تنادى فأبوا إلّارايةالضلالة راية لهم يقاتلون تحتها ومن أجلها.

لقد كان عمّار مع الحق فى حلّه وترحاله، فى حركته وسكونه، فى قوله وفى فعله. كما كان متيقناً أن ما قاله رسول اللّهصلى الله عليه و آله واقع لا- محالة ولا يقع غيره. فقد اشتكى عمار شكوى ثُقل منها، فغشى عليه، فأفاق، تقول مولاة له: ونحن نبكى حوله، فقال: ما يبكيكم؟ أتحسبون أنى أموت على فراشى؟ أخبرنى حبيبى رسول اللّهصلى الله عليه و آله أنه تقتلنى الفئة الباغية، وأن آخر زادى من الدنيا مذقة لبن.

وفى حديث آخر: إنى لستُ ميتاً من وجعى هذا، إن رسول اللّهصلى الله عليه و آله عهد إلى أنى مقتول بين فئتين من المؤمنين عظيمتين، تقتلنى الباغية منهما (٢).

وكان هذا الحديث الذى عرفت به الفئة الباغية حديثاً متواتراً ومن أصح الحديث، وحين لم يقدر معاوية على إنكار هذا الحديث قال: إنما قتله من أخرجه، وقد أجاب على عليه السلام عن قول

---

١- ١ مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٢١٥.

٢- ٢ مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٢١٨. المذقة: الطائفة من اللبن الممزوج بالماء، انظر اللسان: مذق.

ص: ٢٢٧

معاوية هذا بأن قال: فرسول اللَّهصلى الله عليه و آله إذاً قتل حمزة حين أخرجه (١).

وهذا ما حدث بالفعل، فقد بغى معاوية بن أبى سفيان وجنده على أمير المؤمنين على بن أبى طالب، فكانت وقعة عظيمة بينهما فيصفين وقف فيها عمار وكان معه ثمانون بدرياً ومائة وخمسون ممّن بايع تحت الشجرة، وجمع كبير من القراء، وكان مجموع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة (٢) وراح ضحيتها الآلاف، وكان بينهم الكثير من الصحابة والتابعين، الذين استشهدوا دفاعاً عن الحقّ ورايته التى يحملها عمار.

وهنا لابدّ لنا من وقفة قصيرة، فنقول: لقد كانت معركةصفين أمراً لابدّ من وقوعه، فهو النتيجة الطبيعة للصراع بين الإسلام الحقيقى ووارثيه والإسلام الآخر المحرّف ووارثيه أيضاً؛ وهى بالتالى لا تختلف ولا تقل أهمية وخطورة عن معارك الإسلام الكبرى بدر وأحد والخندق وحنين... ضد الشرك والمشركين، وهذا ما طواه عمار بكلمته المشهورة: أيها الناس هل من رائح الى اللَّه تحت العوالى (الرماح)؟

والذى نفسى بيده، لنقاتلهم على تأويله كما قاتلناهم على تنزيله. وأكّد هذا وهو يشقّ طريقه مقاتلًا بين الصفوف فيصفين وهو يقول:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله أو يرجع الحقّ الى سبيله (٣).

وهذا ما يبين لنا تأكيد النبيصلى الله عليه و آله أن عماراً تقتله الفئة الباغية، واعادته لهذه العبارة فى كثير من المناسبات: إذا رأى عماراً قالها له، وإذا مرض عمار وظن زائروه أنه ميت قالها رسول اللَّه، إذا اشتكى عمار من ألم أو من شىء آخر أعادها رسول اللَّه عليه.. وكانصلى الله عليه و آله يحرص أن يُسمع قولَه هذا الآخرين، ولم يكتفصلى الله عليه و آله بهذا بل كان يصرح ويبين هدف القتال الذى سيقع قطعاً، وهذا الهدف متمثل بقوله عن عمار:...

يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار.

وأنّه ستقتلك الفئة الباغية وأنت مع

---

١- ١ الروض المعطار فى خبر الأقطار للحميريص ٣٦٣- ٣٦۴.

٢- ٢ البداية والنهاية ٧/ ٢٥٥، والمستدرك للحاكم ٣/ ١٠۴.

٣- ٣ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٢/ ٨١٠، ومروج الذهب ٢/ ۴٢٢.

ص: ۲۲۸

الحق، فمن لم ینصرک یومئذ فلیس منی (۱). وأن آخر شراب له ضَیاح لبن...

کلّ هذا وغیره لیدلهمصلی الله علیه و آله علی الحق المبین فی وقت قد تلتبس الأمور فیحلّ الغموض بدل الوضوح، وتقع الفتنة ویتیه بعض ویضطرب آخرون فأشار الی الرمز والی الدلیل، إنه عمار بن یاسر وإنه بالتالی علیّ بن أبی طالب «یا عمار إن رأیت علیاً سلک وادیاً وسلک الناس وادیاً غیره فاسلک مع علی ودع الناس، إنه لن یدلک علی ردی ولن یخرجک من الهدی». لقد کان عمار المیزان، وکان الحجة الأخیرة علی المخالفین والمناوئین «الناکثین والمارقین والقاسطین» الذین أعماهم حقدهم وبغضهم لعلی علیه السلام عن أن یروا الحقّ الناصع والهدی المبین فیه ومن خلاله.

وأخیراً وقعت معرکةصفین، ووقف عمار خطیباً: اللهم إنک تعلم أنی لو أعلم أن رضاک فی أن أقذف بنفسی فی هذا البحر لفعلت، اللهم إنک تعلم أنی لو أعلم رضاک فی أن أضع ظُبة سیفی فیصدری، ثم أنحنی علیه حتی تخرج من ظهری لفعلت، وإنی لا أعلم الیوم عملًا هو أرضی لک من جهاد هؤلاء الفاسقین، ولو أعلم أن عملًا من الأعمال هو أرضی لک منه لفعلته (۲).

وبدأ القتال وتحدثت الأخبار:

أن عماراً کانصائماً، وقد غربت الشمس فأُتی بلبن فشربه، ثم قال: إنّ النبیَّصلی الله علیه و آله قال: هذه آخر شربة أشربها من الدنیا، أو آخر زادک من الدنیا ضیاح لبن، فقام فقاتل حتی قتل رضوان اللّه علیه.

وعن أبی سنان الدؤلیصاحب رسول اللّهصلی الله علیه و آله: قال: رأیتُ عمار بن یاسر دعا بشراب، فأتی بقدح من لبن فشرب منه، ثم قال:صدق رسول اللّهصلی الله علیه و آله، والیوم ألقی الأحبة محمداً وصحبه. إنّ رسول اللّهصلی الله علیه و آله قال: «إنّ آخر شیء تزوده من الدنیا ضیحة لبن» ثم قال مبیناً یقینه بأنه- قطعاً- علی الحق المبین، وأن خصمه علی الباطل، انظره یقول: واللّه لو هزمونا حتی یبلغونا سعفات هجر، لعلمنا أنا علی حق وهم علی باطل. ولأنه رایة الحق والهدی تری أصحاب رسول اللّهصلی الله علیه و آله فی

---

۱- ۱ کنز العمال ۱۱/ ۳۵۱.

۲- ۲ الکامل ۳/ ۱۵۷ والبدایة والنهایة ۷/ ۲۶۷، ۲۹۲، الطبری ۶/ ۲۱.

ص: ۲۲۹

معرکةصفین یتبعونه فی کلّ مکان یتواجد فیه من ساحة القتال، وهو ینادی: أین مَن یبغی رضوان ربّه، ولا یؤوب إلی مال ولا ولد؟

وفی روایة اخری: فی یوم من أیامصفین- التی وقعت- علی قول- من أول ذی الحجة سنة ۳۶ وانتهت فی ۱۳صفر سنة ۳۷ وعلی قول الطبری کان وصول الإمام علی وجنده الیصفین فی أواسط ذی القعدة سنة ۳۶ أو فی العشرین منه، وعلی روایة المسعودی أن مقامهم بصفین کان مائة یوم وعشرة أیام، کان فیها نحو تسعین أو سبعین وقعة- رجع عمار الی موضعه من المعرکة فاستسقی، فأتته امرأة من بنی شیبان من مصاخهم بعس فیه لبن.

فدفعته إلیه، وروی أن الذی سقاه أبو المخاریق (۱)، فقال: اللّه أکبر، اللّه أکبر، الیوم ألقی الأحبة تحت الأسنة،صدق الصادق. وبذلک أخبرنی الناطق. وهو الیوم الذی وعدتُ فیه، ثم قال: أیها الناس هل من رائح إلی اللّه تحت العوالی (الرماح)، والذی نفسی بیده لنقاتلنهم علی تأویله کما قاتلناهم علی تنزیله، وفی قول أنه نادی انی لقیتُ الخیار وتزوجت الحور العین. الیوم نلقی محمداً وحزبه.

وانطلق یجول فی ساحة المعرکة وهو یقول:

نحن ضربناکم علی تنزیله فالیوم نضربکم علی تأویله

ضرباً یزیل الهام عن مقیله ویذهل الخلیل عن خلیله أو یرجع الحقّ الی سبیله

علی مقربة من عمّار، وقف أبو الغادیة وهو من جیش معاویة یستحضر موقف عمار من الخلافة الثالثة- فقد کان له موقف یتسم بالقوة والصلابة من هذه الخلافة، التی لم تقضِ بالحقّ، ولم یکنصاحبها ولا ذوو قرباه من الذین یعدلون، وکانت خیمةً انضوی تحتها أعداء الدین، ورتع فیها المنافقون. کلّ هذا دفع عماراً لهذا الموقف الذی یقول عنه ابن کثیر: «کان عمار یحرض الناس علی عثمان ولم یقلع ولم یرجع ولم ینزع...» (۲)-، وراح أبو الغادیة یراقب عماراً، فلعلّ فرصة تحدث لیتمکن منه ویداهمه فیقتله.

---

۱- ۱ الطبری، الزوائد ۷/ ۲۴۳.

۲- ۲ البدایة والنهایة ۷/ ۱۷۱.

ص: ۲۳۰

وكـان عمار يناديصاحبه هاشم بن عتبـة: يا هاشم الجنـة تحت ظلال السـيوف، والموت فى أطراف الأسل، وقـد فتحت أبواب السـماء، وتزينت الحور العين. اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه (۱).

يقول أبو الغادية: فلما كان يومصفين. جعل عمار يحمل على الناس.

فقيـل: هـذا عمـار، فرأيـتُ فرجـة بيـن الرئـتين وبيـن السـاقين. فحملتُ عليه فطعنته فى ركبته، فوقـع فقتلته (۲). وفى روايـة اخرى (۳): فاختلفت أنا وهو ضربتين، فبدرته فضربته، فكبا لوجهه ثم قتلته.

ولما قتل رضوان اللّه عليه اختصم فى قتله اثنان، فقال عمرو بن العاص:

واللّه، إن يختصمان إلّافى النار، واللّه، لوددتُ أنى متّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة (۴).

وقدصلى عليه الإمام على عليه السلام ودفن فيصفين. وقد نسب الى الإمام على عليه السلام بعد استشهاد عمار رضوان اللّه عليه، قوله:

أَلا أيّها الموتُ الذى ليس تاركى أرحنى فقد أفنيتَ كلَّ خليل

أراك مضرّاً بالذين أحبُّهم كأنَّك تنحو نحوهم بدليل (۵) كان ذلك فى سنة ۳۷ ه عن عمرناهز الثلاث والتسعين سنة. فسلام عليك يا أبا اليقظان فى العالمين.

---

۱- ۱ الطبرى ۶/ ۲۳.

۲- ۲ الطبقت لابن سعد ۳/ ۲۶۱.

۳- ۳ الزوائد ۹/ ۲۹۸.

۴- ۴ أحاديث أم المؤمنين عائشةص ۱۱۷.

۵- ۵ ديوان الإمام على عليه السلامص ۱۲۵، تحقيق الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى.

ص: ۲۳۱

ص: ۲۳۲

ص: ۲۳۳

## المعلّقات

ص: ۲۳۴

المعلّقات

نعمان النصری

کـان فیمـا اثر من أشـعار العرب، ونقـل إلینا من تراثهم الأدبی الحافل بضع قصائـد من مطوّلات الشـعر العربی، وکانت من أدقّه معنی، وأبعـده خیالًا، وأبرعه وزناً، وأصـدقه تصویراً للحیاة، التی کان یعیشـها العرب فی عصـرهم قبل الإسـلام، ولهذا کلّه ولغیره عدّها النقّاد والرواة قدیماً قمّة الشـعر العربی وقد سـمّیت بالمطوّلات، وأمّا تسمیتها المشهورة فهی المعلّقات. نتناول نبذةً عنها وعن أصحابها وبعض الأوجه الفنّیة فیها:

فالمعلّقات لغـةً من العِلْق: وهو المال الذی یکرم علیک، تضنّ به، تقول: هذا عِلْقُ مضـنَّةٍ. وما علیه علقةٌ إذا لم یکن علیه ثیاب فیها خیر (۱)، والعِلْقُ هو النفیس من کلّ شـیء، وفی حـدیث حذیفـة: «فما بال هؤلاء الّـذین یسـرقون أعلاقنا» أی نفائس أموالنا (۲). والعَلَق هو کلّ ما عُلِّق (۳).

وأمّـا المعنی الاصـطلاحی فالمعلّقـات: قصائـد جاهلیّـة بلغ عـددها السـبع أو العشـر- علی قول- برزت فیهـا خصـائص الشـعر الجـاهلی بوضوح، حتّی عدّت

---

۱- ۱ العین للفراهیدی ۱/ ۱۶۲ تحقیق د. مهدی المخزومی و د. ابراهیم السامرائی، ط لبنان ۱۹۸۸.

۲- ۲ لسان العرب لابن منظور ۹/ ۳۶۲. دار إحیاء التراث العربی- ط ۱ بیروت ۱۹۸۸.

۳- ۳ المصدر السابقص ۳۵۹.

ص: ۲۳۵

أفضل ما بلغنا عن الجاهليّين من آثار أدبية (۱).

والناظر إلى المعنيين اللغوى والاصطلاحى يجد العلاقة واضحة بينهما، فهى قصائد نفيسة ذات قيمة كبيرة، بلغت الذّروة فى اللغة، وفى الخيال والفكر، وفى الموسيقى وفى نضج التجربة، وأصالة التعبير، ولم يصل الشعر العربى الى ما وصل إليه فى عصر المعلّقات من غزل امرئ القيس، وحماس المهلهل، وفخر ابن كلثوم، إلّا بعد أن مرّ بأدوار ومراحل إعداد وتكوين طويلة.

وفى سبب تسميتها بالمعلّقات هناك أقوال منها:

لأنّهم استحسنوها وكتبوها بماء الذهب وعلّقوها على الكعبة، وهذا ما ذهب إليه ابن عبد ربّه فى العقد الفريد، وابن رشيق وابن خلدون وغيرهم، يقولصاحب العقد الفريد: «وقد بلغ من كلف العرب به (أى الشعر) وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيّرتها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجة، وعلّقتها بين أستار الكعبة، فمنه يقال: مذهّبة امرئ القيس، ومذهّبة زهير، والمذهّبات سبع، وقد يقال: المعلّقات، قال بعض المحدّثين قصيدة له ويشبّهها ببعض هذه القصائد التى ذكرت:

برزةٌ تذكَرُ فى الحس – نِ من الشعر المعلّقْ

كلّ حرفٍ نادرٍ من – ها له وجهٌ معشّق (۲) أو لأنّ المراد منها المسمّطات والمقلّدات، فإنّ من جاء بعدهم من الشعراء قلّدهم فى طريقتهم، وهو رأى الدكتور شوقى ضيف وبعض آخر (۳). أو أن الملك إذا ما استحسنها أمر بتعليقها فى خزانته.

هل علّقت على الكعبة؟

سؤال طالما دار حوله الجدل والبحث، فبعض يثبت التعليق لهذه القصائد على ستار الكعبة، ويدافع عنه، بل ويسخّف أقوال معارضيه، وبعض آخر ينكر

---

۱- ۱ المعجم الأدبى د. جبّور عبدالنورص ۲۵۷ ط دار العلم للملايين.

۲- ۲ العقد الفريد لابن عبد ربّه ۶/ ۱۱۸ ط دار الكتب العلمية بيروت- تح: د. عبدالمجيد الترحينى- ط ۱- ۱۴۰۴ ه. وانظر خزانة الأدب للحموى ۱/ ۶۱ ومقدّمة ابن خلدون: ۵۱۱ وتاريخ آداب العربية لمصطفيصادق الرافعى ۱۸۳۳.

۳- ۳ تاريخ الأدب العربى- العصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف:ص ۱۴۰.

ص: ۲۳۶

الإثبات، ویفنّد أدلّته، فیما توقف آخرون فلم تقنعهم أدلّة الإثبات ولا أدلّة النفی، ولم یعطوا رأیاً فی ذلک.

المثبتون للتعلیق وأدلّتهم:

لقد وقف المثبتون موقفاً قویّاً ودافعوا بشکل أو بآخر عن موقفهم فیصحّة التعلیق، فکتبُ التاریخ حفلت بنصوص عدیدة تؤیّدصحّة التعلیق، ففی العقد الفرید (۱) ذهب ابن عبد ربّه ومثله ابن رشیق والسیوطی (۲) وياقوت الحموی (۳) وابن الکلبی (۴) وابن خلدون (۵)، وغیرهم إلی أنّ المعلّقات سمّیت بذلک؛ لأنّها کتبت فی القباطی بماء الذهب وعلّقت علی أستار الکعبة، وذکر ابن الکلبی: أنّ أوّل ما علّق هو شعر امرئ القیس علی رکن من أرکان الکعبة أیّام الموسم حتّی نظر إلیه ثمّ احدر، فعلّقت الشعراء ذلک بعده.

وأمّا الادباء المحدّثون فکان لهم دور فی إثبات التعلیق، وعلی سبیل المثال نذکر منهم جرجی زیدان حیث یقول:

«وإنّما استأنف إنکار ذلک بعض المستشرقین من الإفرنج، ووافقهم بعض کتّابنا رغبة فی الجدید من کلّ شیء، وأیّ غرابة فی تعلیقها وتعظیمها بعدما علمنا من تأثیر الشعر فی نفوس العرب؟! وأمّا الحجّة التی أراد النحّاس أن یضعّف بها القول فغیر وجیهة؛ لأنّه قال: إنّ حمّاداً لمّا رأی زهد الناس فی الشعر جمع هذه السبع وحضّهم علیها وقال لهم: هذه هی المشهورات» (۶)، وبعد ذلک أیّد کلامه ومذهبه فیصحّة التعلیق بما ذکره ابن الأنباری إذ یقول: «وهو- أی حمّاد- الذی جمع السبع الطوال، هکذا ذکره أبو جعفر النحاس، ولم یثبت ما ذکره الناس من أنّها کانت معلّقة علی الکعبة» (۷).

وقد استفاد جرجی زیدان من عبارة ابن الأنباری: «ما ذکره الناس»، فهو أی ابن الأنباری یتعجّب من مخالفة النحاس لما ذکره الناس، وهم الأکثریة من أنّها علقت فی الکعبة.

---

۱- ۱ العقد الفرید ۶: ۱۱۹.

۲- ۲ المزهر ۲/ ۴۸۰ وعبارته هی عین عبارة العمدة.

۳- ۳ خزانة الأدب ۱/ ۶۱.

۴- ۴ کما ذکره الرافعی فی تأریخ آداب العربیة ۳/ ۱۸۳ وغیره.

۵- ۵ المقدّمة: ۵۱۱.

۶- ۶ تأریخ آداب اللغة العربیة ۱/ ۹۵. ط دار مکتبة الحیاة- بیروت.

۷- ۷ المصدر السابق.

ص: ۲۳۷

النافون للتعليق:

ولعلّ أوّلهم والذى يعدُّ المؤسّس لهذا المذهب- كما ذكرنا- هو أبو جعفر النحّاس، حيث ذكر أنّ حمّاداً الراوية هو الذى جمع السبع الطوال، ولم يثبت من أنّها كانت معلّقة على الكعبة، نقل ذلك عنه ابن الأنبارى (۱). فكانت هذه الفكرة أساساً لنفى التعليق:

كارل بروكلمان حيث ذكر أنّها من جمع حمّاد، وقد سمّاها بالسموط والمعلّقات للدلالة على نفاسة ما اختاره، ورفض القول: إنّها سمّيت بالمعلّقات لتعليقها على الكعبة، لأن هذا التعليل إنّما نشأ من التفسير الظاهر للتسمية وليس سبباً لها، وهو ما يذهب إليه نولدكه (۲).

وعلى هذا سار الدكتور شوقى ضيف مضيفاً إليه أنّه لا يوجد لدينا دليل مادّى على أنّ الجاهليين اتّخذوا الكتابة وسيلة لحفظ أشعارهم، فالعربية كانت لغة مسموعة لا مكتوبة. ألا ترى شاعرهم حيث يقول:

فلأهدينّ مع الرياح قصيدة منّى مغلغلة إلى القعقاعِ

ترد المياه فما تزال غريبةً فى القوم بين تمثّلٍ وسماعِ؟ (۳) ودليله الآخر على نفى التعليق هو أنّ القرآن الكريم- على قداسته- لم يجمع فى مصحف واحد إلّابعد وفاة الرسولصلى الله عليه و آله (طبعاً هذا على مذهبه)، وكذلك الحديث الشريف. لم يدوّن إلّابعد مرور فترة طويلة من الزمان (لأسباب لا تخفى على من سبر كتب التأريخ وأهمّها نهى الخليفة الثانى عن تدوينه) ومن باب أولى ألّا تكتب القصائد السبع ولا تعلّق (۴).

وممّن ردّ الفكرة- فكرة التعليق- الشيخ مصطفيصادق الرافعى، وذهب إلى أنّها من الأخبار الموضوعة التى خفى أصلها حتّى وثق بها المتأخّرون (۵).

ومنهم الدكتور جواد على، فقد رفض فكرة التعليق لُامور منها:

---

۱- ۱ تاريخ آداب اللغة العربية، جرجى زيدان ۱/ ۹۵ ط دار مكتبة الحياة- بيروت.

۲- ۲ تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ۱/ ۶۷ ترجمة د. عبدالحكيم النجّار.

۳- ۳ تاريخ الأدب العربى- العصر الجاهليص ۱۴۰.

۴- ۴ المصدر السابقص ۱۴۲.

۵- ۵ تاريخ آداب العرب ۳/ ۱۸۳.

ص: ۲۳۸

۱- أنّه حينما أمر النبى بتحطيم الأصنام والأوثان التى فى الكعبة وطمس الصور، لم يذكر وجود معلقة أو جزء معلّقة أو بيت شعر فيها.

۲- عدم وجود خبر يشير إلى تعليقها على الكعبة حينما أعادوا بناءَها من جديد.

۳- لم يشر أحد من أهل الأخبار الّذين ذكروا الحريق الذى أصاب مكّة، والّذى أدّى إلى إعادة بنائها لم يشيروا إلى احتراق المعلّقات فى هذا الحريق.

۴- عدم وجود من ذكر المعلّقات من حملة الشعر من الصحابة والتابعين ولا غيرهم.

ولهذا كلّه لم يستبعد الدكتور جواد على أن تكون المعلّقات منصنع حمّاد (۱)، هذا عمدة ما ذكره المانعون للتعليق.

بعد استعراضنا لأدلة الفريقين، اتّضح أنّ عمدة دليل النافين هو ما ذكره ابن النحاس حيث ادعى انّ حماداً هو الذى جمع السبع الطوال. وجواب ذلك أن جمع حماد لها ليس دليلًا على عدم وجودها سابقاً، وإلّا انسحب الكلام على الدواوين التى جمعها أبو عمرو بن العلاء والمفضّل وغيرهما، ولا أحد يقول فى دواوينهم ما قيل فى المعلقات. ثم إنّ حماداً لم يكن السبّاق الى جمعها فقد عاش فى العصر العباسى، والتاريخ ينقل لنا عن عبد الملك أنَّه عُنى بجمع هذه القصائد (المعلقات) وطرح شعراء أربعة منهم وأثبت مكانهم أربعة (۲).

وأيضاً قول الفرزدق يدلنا على وجودصحف مكتوبة فى الجاهلية:

أوصى عشية حين فارق رهطه عند الشهادة فى الصحيفة دعفلُ أنّ ابن ضبّة كان خيرٌ والداً وأتمّ فى حسب الكرام وأفضلُ كما عدّد الفرزدق فى هذه القصيدة اسماء شعراء الجاهلية، ويفهم من بعض الأبيات أنّه كانت بين يديه مجموعات شعرية لشعراء جاهليين أو نسخ من

---

۱- ۱ المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ۹/ ۵۱۶ وما بعدها.

۲- ۲ خزانة الأدب ۱/ ۱۲۴.

ص: ۲۳۹

دواوینهم بدلیل قوله:

والجعفری وکان بشرٌ قبله لی من قصائده الکتاب المجملُ وبعد ابیات یقول:

دفعوا إلیَّ کتابهنّ وصیّةً فورثتهنّ کأنّهنّ الجندلُ (۱) کما روی أن النابغة وغیره من الشعراء کانوا یکتبون قصائدهم ویرسلونها الی بلاد المناذرة معتذرین عاتبین، وقد دفن النعمان تلک الأشعار فی قصره الأبیض، حتّی کان من أمر المختار بن أبی عبید واخراجه لها بعد أن قیل له: إنّ تحت القصر کنزاً (۲).

کما أن هناک شواهد أخری تؤیّد أن التعلیق علی الکعبة وغیرها- کالخزائن والسقوف والجدران لأجل محدود أو غیر محدود- کان أمراً مألوفاً عند العرب، فالتاریخ ینقل لنا أنّ کتاباً کتبه أبو قیس بن عبدمناف بن زهرة فی حلف خزاعة لعبد المطّلب، وعلّق هذا الکتاب علی الکعبة (۳). کما أنّ ابن هشام یذکر أنّ قریشاً کتبتصحیفة عندما اجتمعت علی بنی هاشم وبنی المطّلب وعلّقوها فی جوف الکعبة توکیداً علی أنفسهم (۴).

ویؤیّد ذلک أیضاً ما رواه البغدادی فی خزائنه (۵) من قول معاویة: قصیدة عمرو بن کلثوم وقصیدة الحارث بن حِلزه من مفاخر العرب کانتا معلّقتین بالکعبة دهراً (۶).

هذا من جملة النقل، کما أنّه لیس هناک مانع عقلی أو فنّی من أن العرب قد علّقوا أشعاراً هی أنفس ما لدیهم، وأسمی ما وصلت إلیه لغتهم؛ وهی لغة الفصاحة والبلاغة والشعر والأدب، ولم تصل العربیة فی زمان إلی مستوی کما وصلت إلیه فی عصرهم. ومن جهة اخری کان للشاعر المقام السامی عند العرب الجاهلیین فهو

---

۱- ۱ النقائض لأبی عبیدة ۱/ ۱۸۹.

۲- ۲ الخصاص لابن جنی ۱/ ۳۹۲- ۳۹۳، ولمزید من التفصیل علیک بکتاب مصادر الشعر الجاهلی وقیمتها التأریخیة للدکتور ناصر الدین الأسدص ۱۳۴ وما بعدها. ط. دار الجیل بیروت، وانظر أیضاً فصل الکتابة عند العرب قبل الإسلام من مکاتیب الرسول ج ۱ للشیخ الأحمدی المیانجی.

۳- ۳ دیوان حسّان بن ثابت- مخطوط بمکتبة أحمد الثالث ورقة ۱۵- ۱۶ عند مصادر الشعر الجاهلی لناصر الدین‌الاسد.

۴- ۴ سیرة ابن هشام ۱/ ۳۷۵- ۳۷۶.

۵- ۵ خزانة الأدب ۳/ ۱۶۲.

۶- ۶ خزانة الأدب ۳/ ۱۶۲.

ص: ۲۴۰

الناطق الرسمی باسم القبیلة وهو لسانها والمقدّم فیها، وبهم وبشعرهم تفتخر القبائل، ووجود شاعر مفلّق فی قبیلة یعدُّ مدعاة لعزّها وتمیّزها بین القبائل، ولا تعجب من حمّاد حینما یضمّ قصیدة الحارث بن حلزّة إلی مجموعته، إذ إنّ حمّاداً کان مولی لقبیلة بکر بن وائل، وقصیدة الحارث تشید بمجد بکر سادة حمّاد (۱)، وذلک لأنّ حمّاداً یعرف قیمة القصیدة وما یلازمها لرفعة من قیلت فیه بین القبائل.

فإذا کان للشعر تلک القیمة العالیة، وإذا کان للشاعر تلک المنزلة السامیة فی نفوس العرب، فما المانع من أن تعلّق قصائد هی عصارة ما قیل فی تلک الفترة الذهبیة للشعر؟

ثمّ إنّه ذکرنا فیما تقدّم أنّ عدداً لا یستهان به من المؤرّخین والمحقّقین قد اتفقوا علی التعلیق.

فقبول فکرة التعلیق قد یکون مقبولًا، وأنّ المعلّقات لنفاستها قد علّقت علی الکعبة بعدما قرئت علی لجنة التحکیم السنویة، التی تتّخذ من عکاظ محلًا لها، فهناک یأتی الشعراء بما جادت به قریحتهم خلال سنة، ویقرأونها أمام الملإ ولجنة التحکیم التی عدُّوا منها النابغة الذبیانی لیعطوا رأیهم فی القصیدة، فإذا لاقت قبولهم واستحسانهم طارت فی الآفاق، وتناقلتها الألسن، وعلّقت علی جدران الکعبة أقدس مکان عند العرب، وإن لم یستجیدوها خمل ذکرها، وخفی بریقها، حتّی ینساها الناس وکأنّها لم تکن شیئاً مذکوراً.

موضوع شعر المعلّقات

لو رجعنا إلی القصائد الجاهلیة الطوال والمعلّقات منها علی الأخصّ رأینا أنّ الشعراء یسیرون فیها علی نهج مخصوص؛ یبدأون عادة بذکر الأطلال، وقد بدأ عمرو بن کلثوم مثلًا بوصف الخمر، ثمّ بدأ بذکر الحبیبة، ثمّ ینتقل أحدهم إلی وصف الراحلة، ثمّ إلی الطریق التی یسلکها، بعدئذ یخلص إلی المدیح أو الفخر (إذا کان الفخر مقصوداً کما عند عنترة) وقد یعود الشاعر إلی الحبیبة ثمّ إلی الخمر،

---

۱- ۱ انظر تاریخ الأدب العربی لکارل بروکلمان ۱/ ۶۷.

ص: ۲۴۱

وبعدئذ ينتهى بالحماسة (أو الفخر) أو بذكر شىء من الحِكَم (كما عند زهير) أو من الوصف كما عند امرئ القيس.

ويجدر بالملاحظة أنّ فى القصيدة الجاهلية أغراضاً متعدّدة؛ واحد منها مقصود لذاته (كالغزل عند امرئ القيس، الحماسة عند عنترة، والمديح عند زهير..)،

عدد القصائد المعلّقات

لقد اختلف فى عدد القصائد التى تعدّ من المعلّقات، فبعد أن اتّفقوا على خمس منها؛ هى معلّقات: امرئ القيس، وزهير، ولبيد، وطرفة، وعمرو بن كلثوم.

اختلفوا فى البقيّة، فمنهم من يعدّ بينها معلّقة عنترة والحارث بن حلزة، ومنهم من يدخل فيها قصيدتى النابغة والأعشى، ومنهم من جعل فيها قصيدة عبيد بن الأبرص، فتكون المعلّقات عندئذ عشراً.

نماذج مختارة من القصائد المعلّقة مع شرح حال شعرائها

أربع من هذه القصائد اخترناها من بين القصائد السبع أو العشر مع اشارة لما كتبه بعض الكتاب والأدباء عن جوانبها الفنية .. لتكون محور مقالتنا هذه:

امرؤ القيس

اسمه: امرؤ القيس، خندج، عدى، مليكة، لكنّه عرف واشتهر بالاسم الأوّل، وهو آخر امراء اسرة كندة اليمنيّة.

أبوه: حجر بن الحارث، آخر ملوك تلك الاسرة، التى كانت تبسط نفوذها وسيطرتها على منطقة نجد من منتصف القرن الخامس الميلادى حتى منتصف السادس.

امّه: فاطمة بنت ربيعة اخت كليب زعيم قبيلة ربيعة من تغلب، واخت المهلهل بطل حرب البسوس، وصاحب أوّل قصيدة عربية تبلغ الثلاثين بيتاً.

ص: ۲۴۲

نبذة من حياته:

قال ابن قتيبة: هو من أهل نجد من الطبقة الاولى (۱). كان يعدّ من عشّاق العرب، وكان يشبّب بنساء منهنّ فاطمة بنت العبيد العنزية التى يقول لها فى معلّقته:

أفاطمُ مهلًا بعض هذا التدلّل

وقد طرده أبو ه على أثر ذلك. وظل امرؤ القيس سادراً فى لهوه إلى أن بلغه مقتل أبيه وهو بدمّون فقال: ضيّعنيصغيراً، وحمّلنى دمه كبيراً، لاصحو اليوم ولا سكرَ غداً، اليوم خمرٌ وغداً أمرٌ، ثمّ آلى أن لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتّى يثأر لأبيه (۲).

إلى هنا تنتهى الفترة الاولى من حياة امرئ القيس وحياة المجون والفسوق والانحراف، لتبدأ مرحلة جديدة من حياته، وهى فترة طلب الثأر من قَتَلة أبيه، ويتجلّى ذلك من شعره، الّذى قاله فى تلك الفترة، الّتى يعتبرها الناقدون مرحلة الجدّ من حياة الشاعر، حيكت حولها كثير من الأساطير، التى اضيفت فيما بعد إلى حياته. وسببها يعود إلى النحل والانتحال الذى حصل فى زمان حمّاد الراوية، وخلف الأحمر ومن حذا حذوهم. حيث أضافوا إلى حياتهم ما لم يدلّ عليه دليل عقلى وجعلوها أشبه بالأسطورة. ولكن لا يعنى ذلك أنّ كلّ ما قيل حول مرحلة امرئ القيس الثانية هو اسطورة.

والمهم أنّه قد خرج إلى طلب الثأر من بنى أسد قتلة أبيه، وذلك بجمع السلاح وإعداد الناس وتهيئتهم للمسير معه، وبلغ به ذلك المسير إلى ملك الروم حيث أكرمه لما كان يسمع من أخبار شعره وصار نديمه، واستمدّه للثأر من القتلة فوعده ذلك، ثمّ بعث معه جيشاً فيهم أبناء ملوك الروم، فلمّا فصل قيل لقيصر: إنّك أمددت بأبناء ملوك أرضك رجلًا من العرب وهم أهل غدر، فإذا استمكن ممّا

---

۱- ۱ الشعر والشعراءص ۲۷ ط ليدن ۱۹۰۲.

۲- ۲ المصدر السابق:ص ۳۹.

ص: ۲۴۳

أراد وقهر بهم عـدوّه غزاك. فبعث إليه قيصـر مع رجل من العرب كان معه يقال له الطمّاح، بحلّـة منسوجـة بالـذهب مسـمومة، وكتب إليه: إنّى قـد بعثت إليك بحلّتى الّتى كنت ألبسـها يوم الزينـة ليُعرف فضـلك عنـدى، فإذا وصـلت إليك فالبسـها على الُيمن والبركة، واكتب إلىّ من كلّ منزل بخبرك، فلمّا وصـلت إليه الحلّـة اشـتدّ سـروره بها ولبسـها، فأسـرع فيه السمّ وتنفّط جلده، والعرب تدعوه: ذا القروح لذلك، ولقوله:

وبُدِّلْتُ قرحـاً داميـاً بعدصـحّةٍ فيالـك نُعمى قـد تحوّلُ أبؤسـا ولمّاصار إلى مدينـة بالروم تُـدعى: أنقرة ثقل فأقام بها حتّى مات، وقبره هناك.

وآخر شعره:

ربّ خطبةٍ مسحنفَرةْ وطعنةٍ مثعنجرةْ

وجعبةٍ متحيّرةْ تدفنُ غداً بأنقرةْ ورأى قبراً لامرأة من بنات ملوك العرب هلكت بأنقره فسأل عنها فاخبر، فقال:

أجارتنا إنّ المزار قريبُ وإنّى مقيم ما أقام عسيبُ

أجارتَنا إنّا غريبانِ هاهنا وكلّ غريب للغريب نسيبُ (۱) وقد عدَّ الدكتور جواد على والدكتور شوقى ضيف وبروكلمان وآخرون بعض مـا ورد فى قصّـة امرئ القيس وطرده، والحكايـات التى حيكت بعـد وصوله إلى قيصـر ودفنه بـأنقرة إلى جـانب قبر ابنـة بعض ملوك الروم، وسبب موته بالحلة المسمومة، وتسميته ذا القروح من الأساطير.

---

۱- ۱ الشعر والشعراءص ۴۵- ۴۷، وعسيب: جبل هناك.

ص: ۲۴۴

قالوا فیه:

۱- النبیّصلی الله علیه و آله: ذاک رجل مذکور فی الدنیا، شریف فیها منسیّ فی الآخرة خامل فیها، یجیء یوم القیامة معه لواء الشعراء إلی النار (۱).

۲- الإمام علی علیه السلام: سُئل من أشعر الشعراء؟ فقال:

إنّ القوم لم یَجروا فی حَلبةٍ تُعرفُ الغایةُ عند قصبتها، فإنْ کان ولابُدّ فالملکُ الضِّلّیلُ (۲). یرید امرأ القیس.

۳- الفرزدق سئل من أشعر الناس؟ قال: ذو القروح.

۴- یونس بن حبیب: إنّ علماء البصرة کانوا یقدّمون امرأ القیس.

۵- لبید بن ربیعة: أشعر الناس ذو القروح.

۶- أبو عبیدة معمّر بن المثنّی: هو أوّل من فتح الشعر ووقف واستوقف وبکی فی الدمن ووصف ما فیها... (۳) معلّقة امرئ القیس

البحر: الطویل. عدد أبیاتها: ۷۸ بیتاً منها: ۹: فی ذکری الحبیبة. ۲۱: فی بعض مواقف له. ۱۳: فی وصف المرأة. ۵: فی وصف اللیل. ۱۸: فی السحاب والبرق والمطر وآثاره. والبقیة فی امور مختلفة.

استهلّ امرؤ القیس معلّقته بقوله:

قفا نبکِ من ذکری حبیبٍ ومنزلِ بِسِقْط اللِّوَی بین الدَّخُوْلِ فَحَوْمَلِ

فتوضِّحَ فالمقراة لم یعفُ رسمُها لما نسجتها من جنوبٍ وَشَمْأَلِ وقد عدّ القدماء هذا المطلع من مبتکراته، إذ وقف واستوقف وبکی وأبکی وذکر الحبیب والمنزل، ثمّ انتقل إلی روایة بعض ذکریاته السعیدة بقوله:

ألا ربّ یومٍ لَکَ منهُنَّصالحٌ ولاسیّما یومٌ بدراة جُلجُلِ

ویومَ عقرتٍ للعِذاری مطیّتی فیا عجباً من رحلِها المتحمّلِ

---

۱- ۱ الشعر والشعراء.

۲- ۲ نهج البلاغةص ۵۵۶ حکمة ۴۵۶ للدکتورصبحی الصالح.

۳- ۳ الشعر والشعراءص ۵۲.

ص: ۲۴۵

فضلّ العذارى يرتمينَ بلحمها وشحم كهذّاب الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ وحيث إنّ تذكّر الماضى السعيد قد أرّق ليالى الشاعر، وحرمه الراحة والهدوء؛ لذا فقد شعر بوطأة الليل؛ ذلك أنّ الهموم تصل إلى أوجها فى الليل، فما أقسى الليل على المهموم! إنّه يقضّ مضجعهُ، ويُطير النوم من عينيه، ويلفّه فى ظلامٍ حالك، ويأخذه فى دوامة تقلّبه هنا وهناك لا يعرف أين هو، ولا كيف يسير ولا ماذا يفعل، ويلقى عليه بأحماله، ويقف كأنّه لا يتحرّك.. يقول:

وليلٍ كموج البحرِ أرخى سدوله علىّ بأنواع الهموم ليبتلى

فقُلْتُ لَهُ لمّا تمطّى بصلبِهِ وأردف أعجازاً وناءَ بِكَلْكَلِ

ألا أيّها الليلُ الطويل ألا انجلى بصبحٍ وما الأصْبَاحُ منكَ بِأمْثَلِ وتعدّ هذه الأبيات من أروع ما قاله فى الوصف، ومبعث روعتها تصويره وحشيّة الليل بأمواج البحر وهى تطوى ما يصادفها؛ لتختبر ما عند الشاعر من الصبر والجزع.

فأنت أمام وصف وجدانى فيه من الرقّة والعاطفة النابضة، وقد استحالت سدول الليل فيه إلى سدول همّ، وامتزج ليل النفس بليل الطبيعة، وانتقل الليل من الطبيعة إلى النفس، وانتقلت النفس إلى ظلمة الطبيعة.

فالصورة فى شعره تجسيد للشعور فى مادّة حسّية مستقاة من البيئة الجاهلية.

ثمّ يخرج منه إلى وصف فرسه وصيده ولذّاته فيه، وكأنّه يريد أن يضع بين يديصاحبته فروسيته وشجاعته ومهارته فى ركوب الخيل واصطياد الوحش يقول:

وقد أَغتدى والطير فى وُكُناتِها بِمُنْجردٍ قيدِ الأوابدِ هيكلِ

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبرٍ معاً كجُلْمُودِصَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ وهو وصف رائع لفرسه الأشقر، فقدصوّر سرعته تصويراً بديعاً، وبدأ فجعله قيداً لأوابد الوحش إذا انطلقت فى الصحراء فإنّها لا تستطيع إفلاتاً منه كأنّه قيد يأخذ بأرجلها.

وهو لشدّة حركته وسرعته يخيّل إليك كأنّه يفرّ ويكرّ فى الوقت نفسه، وكأنّه يقبل ويدبر فى آن واحد، وكأنّه جلمودصخر يهوى به السيل من ذورة جبل عال.

ثمّ يستطرد فى ذكرصيده وطهى الطهاة له وسط الصحراء قائلًا:

فظلّ طهاةُ اللحمِ ما بين منضجٍ صفيف شواء أو قدير معجّلِ وينتقل بعد ذلك إلى وصف الأمطار والسيول، التى ألمّت بمنازل قومه بنى أسد بالقرب من تيماء فى شمالى الحجاز، يقول:

أحارِ ترى برقاً كأنّ وميضَهُ كلمعِ اليدين فى حبيٍّ مكَلّلِ يضيءُ سناهُ أو مصابيحُ راهبٍ أهانَ السَّليطَ فى الذُّبالِ المفتّلِ

قعدتُ له وصحبتى بين حامرٍ وبين إكامٍ بُعْدَ ما متأمّلِ

وأضحى يسحُّ الماء عن كلِّ فيقةٍ يكبُّ على الأذهان دوحَ الكَنهْبَلِ

وتيماءَ لم يترك بها جذعَ نخلةٍ ولا اطماً إلّامشيداً بِجَنْدَلِ استهلّ هذه القطعة بوصف وميض البرق وتألّقه فى سحاب متراكم، وشبّه هذا التألّق واللمعان بحركة اليدين إذا اشير بهما، أو كأنّه مصابيح راهب يتوهّج ضوؤها بما يمدّها من زيت كثير.

ويصف كيف جلس هو وأصحابه يتأمّلونه بين جامر وإكام، والسحاب يسحّ سحّاً، حتّى لتقتلع سيوله كلّ ما فى طريقها من أشجار العِضاه العظيمة، وتلك تيماء لم تترك بها نخلًا ولا بيتاً، إلّاما شيّد بالصخر، فقد اجتثّت كلّ ما مرّت به، وأتت عليه من قواعده واصوله.

ص:۲۴۶

ص: ۲۴۷

لبید بن ربیعة

هو لبید بن ربیعة بن عامر بن مالک بن جعفر بن کلاب بن ربیعة.. الکلابی

قال المرزبانی: کان فارساً شجاعاً سخیّاً، قال الشعر فی الجاهلیة دهراً (۱).

قال أکثر أهل الأخبار: إنّه کان شریفاً فی الجاهلیة والإسلام، وکان قد نذر أن لا تهبّ الصبا إلّانحر وأطعم، ثمّ نزل الکوفة، وکان المغیرة بن شعبة إذا هبّت الصبا یقول: أعینوا أبا عقیل علی مروءته (۲).

وحکی الریاشی: لمّا اشتدّ الجدب علی مضر بدعوة النبیّصلی الله علیه و آله وفد علیه وفد قیس وفیهم لبید فأنشد:

أتیناک یا خیر البریّة کلّها لترحمنا ممّا لقینا من الأزلِ

أتیناک والعذراء تدمی لبانها وقد ذهلت أمّ الصبیّ عن الطفلِ

فإن تدعُ بالسقیا وبالعفو ترسل ال - سّماءَ لنا والأمر یبقی علی الأَصْلِ وهو من الشعراء، الّذین ترفعوا عن مدح الناس لنیل جوائزهم وصِلاتهم، کما أنّه کان من الشعراء المتقدّمین فی الشعر.

وأمّا أبوه فقد عرف بربیعة المقترین لسخائه، وقد قُتل والده وهوصغیر السّنّ، فتکفّل أعمامهُ تربیتَه.

ویری بروکلمان احتمال مجیء لبید إلی هذه الدنیا فی حوالی سنة ۵۶۰ م. أمّا وفاته فکانت سنة ۴۰ ه. وقیل: ۴۱ ه. لمّا دخل معاویة الکوفة بعد أنصالح الإمام الحسن بن علی ونزل النخیلة، وقیل: إنّه مات بالکوفة أیّام الولید بن عقبة فی خلافة عثمان، کما ورد أنّه توفّی سنة نیف وستین (۳).

قالوا فیه:

۱- النبیصلی الله علیه و آله: أصدق کلمة قالها الشاعر کلمة لبید:

ألا کلّ شیء ما خلا اللَّه باطلُ (۴)

---

۱- ۱ الاصابة فی تمییز الصحابة ۶: ۴. ط دار الکتب العلمیة- بیروت.

۲- ۲ اسد الغابة ۴: ۲۶۱ والإصابة ۶: ۵.

۳- ۳ المفصل ۹: ۵۴۶- ۵۴۷.

۴- ۴ الإصابة ۶: ۵.

ص: ۲۴۸

وروى أنّ لبيداً أنشد النبيصلى الله عليه و آله قوله:

ألا كلّ شيء ما خلا اللَّه باطلُ

فقال له:صدقت.

فقال:

وكلّ نعيم لا محالة زائلُ

فقال له: كذبت، نعيم الآخرة لا يزول (۱).

۲- المرزبانى: إنّ الفرزدق سمع رجلًا ينشد قول لبيد:

وجلاـ السيوف من الطلولِ كأنّها زبر تجدّ متونَها أقلامُها فنزل عن بغلته وسجد، فقيل له: ما هذا؟ فقال: أنا أعرف سجدة الشعر كما يعرفون سجدة القرآن (۲).

القول فى إسلامه

وأمّا إسلامه فقد أجمعت الرواة على إقبال لبيد على الإسلام من كلّ قلبه، وعلى تمسّكه بدينه تمسّكاً شديداً، ولا سيما حينما يشعر بتأثير وطأة الشيخوخة عليه، وبقرب دنوّ أجله؛ ويظهر أنّ شيخوخته قد أبعدته عن المساهمة فى الأحداث السياسية التى وقعت فى أيّامه، فابتعد عن السياسة، وابتعد عن الخوض فى الأحداث، ولهذا لا نجد فى شعره شيئاً، ولا فيما روى عنه من أخبار أنّه تحزّب لأحد أو خاصم أحداً.

وروى أنّ لبيداً ترك الشعر وانصرف عنه، فلمّا كتب عمر إلى عامله المغيرة ابن شعبة على الكوفة يقول له: استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا فى الإسلام. أرسل إلى لبيد، فقال: أرجزاً تُريد أم قصيداً؟ فقال:

أنشدنى ما قلته فى الإسلام، فكتب سورة البقرة فيصحيفة ثمّ أتى بها، وقال:

أبدلنى اللَّه هذا فى الإسلام مكان الشعر. فكتب المغيرة بذلك إلى عمر فنقص من

---

۱- ۱ خزانة الأدب ۲: ۲۵۲، تحقيق عبدالسلام هارون.

۲- ۲ الاصابة ۶: ۵.

ص: ۲۴۹

عطاء الأغلب خمسمائة وجعلها فی عطاء لبید (۱).

وجعله فی اسـد الغابـة من المؤلّفة قلوبهم وممّن حسن إسـلامه (۲)، وکان عمره مائـة وخمساً وخمسـین سـنة، منها خمس وأربعون فی الإسلام وتسعون فی الجاهلیة (۳).

مختارات من شعره

له قصیدة فی رثاء النعمان بن المنذر، تعرّض فیها للموت ولزوال النعیم ولعدم دوام الدنیا لأحد، مطلعها:

ألا تسألان المرء ماذا یحاولُ أنحب فیقضی أم ضلالٌ وباطلٌ؟ وقد ذکر فیها اللَّه جلّ جلاله بقوله:

أری الناس لا یدرون ما قدرُ أمرِهمُ بلی: کلّ ذی لبّ إلی اللَّه واسلُ

ألا کلُّ شیءٍ ما خلا اللَّه باطلُ وکلّ نعیم لا محالة زائلُ

وکلُّ اناسٍ سوف تدخلُ بینهم دویهیّةٌ تصفرّ منها الأناملُ

وکلّ امرئ یوماً سیعلمُ سعیه إذا کشّفت عند الإله المحاصلُ (۴) معلّقة لبید بن ربیعة

البحر: الکامل. عدد الأبیات: ۸۹ موزّعة فیما یلی: ۱۱ فی دیار الحبیبة. ۱۰ فی رحلـة الحبیبة وبعدها وأثره. ۳۳ فی الناقة. ۲۱ فی الفخر الشخصی. ۱۴ فی الفخر القبلی.

---

۱- ۱ المفصل ۹: ۵۵۳.

۲- ۲ اسد الغابة ۶: ۲۶۲.

۳- ۳ الإصابة ۶: ۴.

۴- ۴ المفصّل ۹: ۵۵۰- ۵۵۱.

ص: ۲۵۰

یبدأ الشاعر معلقته ببکاء الأطلال ووصفها، وکیف أنّ الدیار قد درست معالمها حتّی عادت لا تری فقد هجرت، وأصبحت لا یدخلها أحدٌ لخرابها:

عفت الدیار محلّها فمقامها بمنیً تأبّد غولها فرجامها

رزقت مرابیع النجوم وصابها ودقَ الرواعد جودها فرهامها ثمّ عاد بمخیلته شریط الذکریات، ذکریات فراق الأحبّة فیتحدّث عن الظعائن الجمیلات الرشیقات، وعن هوادجهنّ المکسوّة بالقماش والستائر:

مشاقتک ظعن الحیّ یوم تحمّلوا فتکنّسوا قطناً تصرّ خیامها

من کلِّ محفوف یظلّ عصیّه روح علیه کلّهٌ وقرامها ویری أن یقطع أمله منها ویترک رجاءه فیها ما دامت نوار قد تغیّر وصلها:

ما قطع لبانه من تعرّض وصله ولشرّ واصل خلّهصرّامها ثمّ یأخذ فی وصف ناقته بألفاظ غریبة وتعابیر بدویة متینة، فهو یشبهها بالغمامة الحمراء تدفعها ریاح الجنوب فیقول:

فلها هبابٌ فی الزمامِ کأنّها صهباء خفّ مع الجنوب حمامُها واخری یشبّهها بالبقرة الوحشیّة قائلًا:

خنساءُ ضیّعتِ الغریرَ فلم ترِمْ عُرْضَ الشّقائقِ طوفها وبُغامُها لمعفّرٍ قَهْدٍ تنازَعَ شلوهُ غبسٌ کواسبُ، لا یُمَنّ طعامُها وعلی الرغم من تعرّضه لوصف الناقة فلم تفته الحکمة:

صادفْنَ منها غرّة فأصبنها إنّ المنایا لا تطیش سهامها ویقول:

لتذودهنّ وأیقنت إن لم تَزُدْ أن قد أحمّ من الحتوفِ حمامها فهو مؤمن بقضاء اللّه، قانع بما قسم له وکتب علیه، راضٍ بذلک، ویدعو النّاس إلی الرضا:

فاقنع بما کتب المَلیکُ فإنّما قسم الخلائق بیننا علّامها ثمّ ینتقل لیبد للفخر بفروسیّته، وکونه یحمی قومه فی موضع المحنة والخوف، یرقب لهم عند ثغور الأعداء وهو بکامل عدّته متأهّباً للنزال، حتّی إذا أجنّه الظلام نزل من مرقبه إلی السهل، وامتطی جواده القوی السریع:

ولقد حمیت الحیّ تحمل مثکتی فرطٌ وشاحی إذ غدوت لجامها

فعلوت مرتقباً علی ذی هبوةٍ حرجٍ إلی أعلامهنّ قَتَامُها

حتّی إذا ألقت یداً فی کافرٍ وأجنّ عورات الثغور ظلامها

أسهلت وانتصبتْ کجذعِ منیفةٍ جرداءَ یَحْصَرُ دونَها جرّامُها ولبید خیر شاعر برّ قومه، فهو یحبّهم ویؤثرهم ویشید بمآثرهم ویسجّل مکرماتهم، ویفخر بأیّامهم وأحسابهم، فسجّل فی معلّقته فضائل قومه، وافتخر بأهله وخصّهم بأجود الثناء:

إنّا إذا التقت المجامعُ لم یزل منّا لزازُ عظیمةٍ جشّامُها

من معشرٍ سنّت لهم آباؤهم ولکلّ قومٍ سنّةٌ وإمامُها

لا یطبعون ولا یبور فعالُهم إذ لا یمیل مع الهوی أحلامُها

وهم السعاةُ إذا العشیرة افظِعَتْ وهُمُ فوارسها وهم حکّامُها

ص:۲۵۱

ص: ۲۵۲

وهُمُ ربيعٌ للمجاور فيهمُ والمرملاتِ إذا تطاولَ عامُها

وهُمُ العشيرةُ أن يُبَطّئ حاسدٌ أو أن يميلَ مع العدى لوّامُها زهير بن أبى سلمى

هو زهير بن أبى سلمى- واسم أبى سلمى: ربيعة بن رباح المزنى من مزينة ابن أد بن طابخة.

كانت محلّتهم فى بلاد غطفان، فظنّ الناس أنّه من غطفان، وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة أيضاً.

وهو أحد الشعراء الثلاثة الفحول المقدّمين على سائر الشعراء بالاتّفاق، وإنّما الخلاف فى تقديم أحدهم على الآخر، وهم: امرؤ القيس وزهير والنابغة. ويقال:

إنّه لم يتصل الشعر فى ولد أحد من الفحول فى الجاهلية ما اتصل فى ولد زهير، وكان والد زهير شاعراً، واخته سلمى شاعرة، واخته الخنساء شاعرة، وابناه كعب ومجبر شاعرين، وكان خال زهير أسعد بن الغدير شاعراً، والغدير امّه وبها عرف، وكان أخوه بشامة بن الغدير شاعراً كثير الشعر.

ويظهر من شعر ينسب إليه أنّه عاش طويلًا إذ يقول متأفّفاً من هذه الحياة ومشقّاتها حتّى سئم منها:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولًا لا أبا لك يسأم قالوا فيه:

۱- الحطيئة استاذ زهير: سئل عنه فقال: ما رأيت مثله فى تكفِّيه على أكتاف القوافى، وأخذه بأعنّتها حيث شاء، من اختلاف معانيها امتداحاً وذمّاً (۱).

۲- ابن الاعرابى: كان لزهير فى الشعر ما لم يكن لغيره (۲).

۳- قدامة بن موسى- وكان عالماً بالشعر-: كان يقدّم زهيراً.

---

۱- ۱ المفصّل ۹: ۵۴۴.

۲- ۲ شرح الشواهد للسيوطى ۱: ۱۳۳.

ص: ۲۵۳

۴- عکرمة بن جریر: قلت لأبی: مَن أشعر الناس؟ قال: أجاهلیٌّ أم إسلامیة؟ فقلت: جاهلیة، قال: زهیر (۱).

ممیّزات شعره:

امتاز زهیر بمدحیّاته، وحکمیّاته، وبلاغته، وکان لشعره تأثیر کبیر فی نفوس العرب. وکان أبوه مقرّباً من امراء ذبیان، وخصوصاً هرم بن سنان والحارث ابن عوف، وأوّل قصیدة نظمها فی مدحهما علی أثر مکرمة أتیاها. معلّقته المشهورة.

ویؤخذ من بعض أقواله أنّه کان مؤمناً بالبعث کقوله:

یؤخَّر فیودَع فی کتابٍ فیدَّخَرْ لیومِ الحسابِ أو یعجّلْ فینتقمِ وممّا یدلّ علی تعقّله وحنکته وسعةصدره حِکمه فی معلّقته، وقد جمع خلاصة التقاضی فی بیت واحد:

وإنّ الحقّ مقطعه ثلاث: یمینٌ أو نفارٌ أو جلاءُ معلّقة زهیر بن أبی سلمی

البحر: الطویل. عدد الأبیات: ۵۹ موزّعة فیما یلی: ۶ فی الأطلال. ۹ فی الأظعان. ۱۰ فی مدح الساعین بالسلام. ۲۱ فی الحدیث إلی المتحاربین. ۱۳ فی الحکم.

یبدأ الشاعر معلّقته بالحدیث عمّاصارت إلیه دیار الحبیبة، فقد هجرها عشرین عاماً، فأصبحت دمناً بالیة، وآثارها خافتة، ومعالمها متغیّرة، فلمّا تأکّد منها هتف محیّیاً ودعا لها بالنعیم:

أمن امّ أوفی دِمنةٌ لم تَکَلَّم بحَوْمانَةِ الدّرّاجِ فالمتثَلَّم

وقفتُ بها من بعدِ عشرینَ حجّةً فَلَأْیاً عرفتُ الدار بعد توهُّم

---

۱- ۱ الشعر والشعراء: ۵۷.

ص: ۲۵۴

فلمّا عرفتُ الـدار قلت لربعها ألا أنعمصـباحاً أيّها الربع وأسـلمِ ثمّ عاد بالـذاكرة إلى الوراء يسترجع ساعة الفراق، ويصف النساء اللاتى ارتحلن عنها، فيتبعهنّ ببصره كئيباً حزيناً، ويصف الطريق الّتى سلكنها، والهوادج التى كنّ فيهاو...:

بكرن بكوراً واستحرنَ بسحره فهنّ ووادى الرسّ كاليدِ للفمِ

جعلن القنان عن يمين وحزنه وكم بالقنان من محلّ ومحرمِ

فلمّا وردنَ الماء زرقاً جمامه وضعْنَ عِصِىَّ الحاضرِ المتخيَّمِ

وفيهنّ ملهى للّطيف ومنظرٍ أنيق لعين الناظر المتوسّمِ وكأنّه حينما وصل إلى هذا المنظر الجميل الفتّان سبح به خاطره إلى جمال الخلق وروعة السلوك، وحبّ الخير والتضحية فى سبيل الأمن والاستقرار، فشرع يتحدّث عن الساعين فى الخير، المحبّين للسلام، الداعين إلى الإخاء والصفاء، فأشاد بشخصين عظيمين هما هرم والحارث، وذلك لموقفهما النبيل فى إطفاء نار الحرب بين عبس وذبيان، وتحمّلهما ديات القتلى من مالهما وقد بلغت ثلاثة آلاف بعير، قال:

سعى ساعياً غيظ من مرّة بعدما تبزّل ما بين العشيرة بالدمِ

فأقسمت بالبيت الّذى طاف حوله رجال بنوه من قريشٍ وجرهمِ

يميناً لنعم السّيّدان وُجدتما على كلّ حالٍ من سحيل ومبرمِ

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقّوا بينهم عطر منشمِ

ص: ۲۵۵

وقد قلتما: إن ندرك السلم واسعاً بمالٍ ومعروفٍ من القول نسلم

فأصبحتما منها على خير موطنٍ بعيدين فيها من عقوقٍ ومأثم ثمّ وجّه الكلام إلى الأحلاف المتحاربين قائلًا:

هل أقسمتم أن تفعلوا ما لاـينبغى؟ لا تظهروا الصلح، وفى نيّتكم الغدر؛ لأنّ اللّه سيدخره لكم ويحاسبكم عليه، إن عاجلًا أو آجلًا، يقول:

ألا أبلغ الأحلاف عنّى رسالة وذبيان هل أقسمتم كلّ مقسم

فلا تكتمنّ اللّه ما فيصدوركم ليخفى ومهما يكتم اللّهُ يعلم

يؤخّر فيوضع فى كتابٍ فيدّخر ليوم الحساب أو يعجّل فينقم ثمّ انتقل من هذا المجال مجال النصح والتوجيه وتأكيد السلام إلى مجال الحكمة الإنسانية العامة، حكمة الرجل المجرّب للحياة، الذى ذاقها وخبرها وعاش فى خضمّها، ثمّ امتدّ به العمر فزهدها وانصرف عنها، قال:

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومِهِ يُسْتَغْن عنهُ ويذمَم

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يُهَدَّمْ، ومن لا يظلم الناسَ يُظْلَم

ومن لا يصانع فى امورٍ كثيرةٍ يضرّس بأنيابٍ ويوطأ بمنسم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يَفُرْهُ ومن لا يتّقِ الشّتم يُشتَم

ص: ۲۵۶

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ وإن خالها تخفى على الناسِ تُعلَمِ

سئمتَ تكاليفَ الحياةِ ومن يعش ثمانين حولًا لا أبا لك يسأمِ

وأعلـمُ مـا فى اليـومِ والأمـسِ قبلـهُ ولكنّنى مـن علم مـا فى غـدٍ عمِ رأيتُ المنايـا خبـط عشـواءَ من تُصب تمتْهُ ومن تُخطئ يعمّر فيهرمِ

ويختمها بتأكيد معروف الممدوحين عليه فيقول:

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتمُ ومن يكثر التسآلَ يوماً سيحرمِ عنترة بن شدّاد العبسى

هو عنـترة بن عمرو بن شـدّاد بن عمرو ... بن عبسـى بن بغيض (۱)، وأمّا شـدّاد فجـدّه لأبيه فى روايهٔ لابن الكلبى، غلب على اسم أبيه فنسب إليه، وقال غيره:

شـدّاد عمّه، وكان عنترة نشأ فى حجره فنسب إليه دون أبيه، وكان يلقّب ب (عنترة الفلحاء) لتشـقّق شـفتيه. وانّما ادّعاه أبوه بعـد الكبر، وذلك لأنّه كان لأمهٔ سوداء يقال لها زبيبهٔ، وكانت العرب فى الجاهليهٔ إذا كان للرجل منهم ولد من امّه استعبده.

وكان سـبب ادّعاء أبى عنترهٔ إيّاه أنّ بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بنى عبس، فتبعهم العبسيّون فلحقوهم فقاتلوهم عمّا معهم، وعنترهٔ فيهم، فقال له أبوه أو عمّه فى روايهٔ اخرى: كرّ يا عنترهٔ، فقال عنترهٔ: العبد لا يحسِن الكرّ، إنّما يحسن الحلاب والصـرّ، فقال: كرّ وأنت حرّ، فكرّ وقاتل يومئذٍ حتّى استنقذ ما بأيدى عدوّهم من الغنيمهٔ، فادّعاه أبوه بعد ذلك، وألحق به نسبه (۲).

---

۱- ۱ الشعر والشعراءص ۱۳۰.

۲- ۲ المفصل ۹: ۵۵۸.

ص: ۲۵۷

کان شاعرنا من أشدّ أهل زمانه وأجودهم بما ملکت یده، وکان لا یقول من الشعر إلّاالبیتین والثلاثة حتّی سابّه رجل بنی عبس فذکر سواده وسواد امّه وسواد اخوته، وعیّره بذلک، فقال عنترة قصیدته المعلّقة التی تسمّی بالمذهّبة وکانت من أجود شعره: هل غادر الشعراء من متردّمِ (۱).

وکان قدشهد حرب داحس والغبراء فحسن فیها بلاؤه وحمد مشاهده.

أحبّ ابنة عمّه عبلة حبّاً شدیداً، ولکنّ عمّه منعه من التزویج بها. وقد ذکرها فی شعره مراراً وذکر بطولاتها أمامها، وفی معلّقته نماذج من ذلک.

وقد ذکر الأعلم الشنتمری فی اختیاراته من أشعار الشعراء الستة الجاهلیینص ۴۶۱ أنّ النبیصلی الله علیه و آله حینما أنشد هذا البیت:

ولقد ابیتُ علی الطوی وأظله حتی أنال به کریم المأکلِ قالصلی الله علیه و آله: ما وصف لی أعرابی قط، فأحببتُ أن أراه إلّاعنترة.

نماذج من شعره:

بکرت تخوّفنی الحتوف کأنّنی أصبحتُ عن عرضِ الحتوفِ بمعزلِ

فأجبتها إنّ المنیّة منهلٌ لابدّ أن اسقی بذاک المنهلِ

فاقنی حیاءک لا أبا لک واعلمی أنّی امرؤٌ سأموتُ إن لم اقتلِ ومن إفراطه:

وأنا المنیّة فی المواطن کلّها والطعنُ منّی سابقُ الآجالِ وله شعر یفخر فیه بأخواله من السودان:

إنّی لتعرف فی الحروب مواطنی فی آل عبسٍ مشهدی وفعالی

منهم أبی حقّاً فهم لی والدٌ والامّ من حامٍ فهم أخوالی (۲) قال الدکتور جواد علی: انصحّ هذا الشعر هو لعنترة دلّ علی وقوف الجاهلیین علی اسم «حام» الوارد فی التوراة علی أنّه جدّ السودان، ولابدّ أن تکون التسمیة قد وردت إلی الجاهلیین عن طریق أهل الکتاب (۳).

---

۱- ۱ الشعر والشعراءص ۱۳۱- ۱۳۲.

۲- ۲ الشعر والشعراءص ۱۳۳- ۱۳۴.

۳- ۳ المفصّل ۹/ ۵۶۰.

ص: ۲۵۸

وقد اختلف فی موته، فذکر ابن حزم (۱) انّه قتله الأسـد الرهیص حیّان بن عمرو بن عَمیرة بن ثعلبـة بن غیاث بن ملقط. وقیل: إنّه کان قد أغار علی بنی نبهان فرماه وزر بن جابر بن سدوس بن أصمع النبهانی فقطع مطاه، فتحامل بالرمیّة حتّی أتی أهله فمات (۲).

معلّقة عنترة العبسی

البحر: الکامل. عدد الأبیات: ۸۰ بیتاً. ۵ فی الأطلال. ۴ فی بعد الحبیبة وأثره.

۳ فی‌موکب‌الرحلة. ۹ فی وصف الحبیبة. ۱۳ فی الناقة. ۴۶ فی الفخر الشخصی...

یبـدأ عنترة معلّقته بالسؤال عن المعنی الذی یمکن أن یأتی به ولم یسـبقه به أحد الشـعراء من قبل، ثمّ شـرع فی الکلام فقال: إنّه عرف الـدار وتأکّـد منها بعـد فترة من الشکّ والظنّ فوقف فیها بناقته الضـخمة لیؤدّی حقّها- وقد رحلت عنها عبلة وصارت بعیدة عنه- فحیّا الطلل الّذی قدم العهد به وطال ...

فیقول:

هل غادر الشعراء من متردّمِ أم هل عرفت الدار بعد توهُّمِ

یا دار عبلة بالجواء تکلّمی وعمیصباحاً دار عبلة واسلمی

فوقفت فیها ناقتی وکأنّها فدن لأقضی حاجة المتلوّمِ

حُیّیتَ من طللِ تقادمَ عهدهُ أقوی وأقفر بعد امّ الهیثمِ

ولقد نزلت فلا تظنّی غیره منّی بمنزلةِ المحبّ المکرمِ

إن کنت أزمعت الفراق فإنّما زمّت رکابکمُ بلیلٍ مظلمِ

ما راعنی إلّاحمولة أهلها وسط الدیار تسفّ حبّ الخمخَمِ ثمّ سرد طرفاً من أسباب هیامه، فقال:

إنّها ملکت شغاف قلبه بفم جمیل، أبیض الأسنان طیّب الرائحة، یفوح العطر

---

۱- ۱ جمهرة أنساب العربص ۴۰۰.

۲- ۲ المفصل ۹: ۵۶۱ عن أسماء المغتالینص ۱۲۰ مخطوط.

ص: ۲۵۹

من عوارضه:

إذ تستبيك بذى غروب واضح عذب مقبّله لذيذ المطعم ثمّ قارن بين حاله وحالها؛ فهى تعيش منعّمة، وهو يعيش محارباً، وتمنّى أن توصله إليها ناقة قويّة لا تحمل ولا ترضع وتضرب الآثار بأَخفافها فتكسرها ...

فقال:

تمسى وتصبح فوق ظهر حشيّة وأبيت فوق سراة أدهم ملجمِ

وحشيتى سرج على عبل الشوى نهد مراكله نبيل المحزمِ

هل تبلغنّى دارها شدنيّة لعنت بمحروم الشرابِ مصوّمِ ثمّ يتجّه بالحديث إلى الحبيبة يسرد أخلاقه وسجاياه قائلًا:

إن ترخى قناع وجهك دونى فإنّى خبير ماهر بمعاملة الفرسان اللابسين الدروع، وأنا كريم الخلق لين الجانب إلّاإذا ظُلمت فعند ذلك يكون ردّى عنيفاً مرّاً:

إن تغدفى دونى القناع فإنّنى طبّ بأخذ الفارس المستلئم

أثنى علىّ بما علمت فإنّنى سهل مخالقتى إذا لم اظلمِ

فإذا ظُلمت فإنّ ظلمى باسل مرّ مذاقته كطعم العلقمِ ثمّ يستمرّ البطل فى وصف بطولته لحبيبته، فيحثّها أن تسأل عنه فرسان الوغى الّذين شهدوه فى معترك الوغى وساحات القتال ليخبروها بأنّ لعنترة من الشجاعة ما تجعله لا يهاب الموت بل يقحم فرسه فى لبّة المعركة، ويقاتل، وبعد الحرب- وكعادة الجيش المنتصر- فإنّ أفراده ينشغلون بجمع الغنائم، امّا هو فيده عفيفة عن أخذ الغنائم، فقتاله لا للغنيمة وإنّما لهدف أبعد وهو أن يكسب لقومه شرف الانتصار.

ويستمرّ فى مدح نفسه فيذكر فى شعره معان نبيلة، وهى معان ارتفعت عنده إلى أروعصورة للنبل الخلقى حتّى لنراه يرقّ لأقرانه الّذين يسفك دماءهم، يقول وقد أخذه التأثّر والانفعال الشديد لبطشه بأحدهم:

ص: ۲۶۰

فشـككت بالرمـح الطويـل ثيابَهُ ليس الكريم على القنا بمحرّمِ فهو يرفع من قـدر خصـمه، فيـدعوه كريماً، ويقول إنّه مات ميتـة الأبطال الشرفاء فى ساحة القتال.

وكـان يجيش بنفسه إحسـاس عميـق نحو فرسه الّـذى يعـايشه ويعاشـره حين تنـال منه سـيوف أعـدائه ورمـاحهم، يقول مصوّراً آلامـه وجروحه الجسديّة وقروحه النفسية:

فأزورّ من وَقْعِ القَنا بِلبَانهِ وشكا إلىّ بعبرةٍ وتَحَمْحُمِ

لو كان يدرى ما المحاورةُ اشتكى ولكان لو عَلِمَ الكلامَ مكلِّمى وكأنّما فرسه بضعة من نفسه.

ثمّ يختم قصـيدته بأنّه يعرف كيف يسوس أمره ويصرف شؤونه، فعقله لا يغرب عنه، ورأيه محكم، وعزيمتهصادقة، ولا يخشى الموت إلّاقبل أن يقتصّ من غريمه:

ذلّل ركابى، حيث شئت مشايعى لبّى وأحفره بأمر مبرمِ

ولقد خشيت بأن أموت ولم تكن للحرب دائرةٌ على ابنى ضمضمِ

الشاتمَى عرضى ولم أشتمهما والناذرَينِ إذا لم ألقِهِما دمى

إن يفعلا فلقد تركت أباهما جزر السباعِ وكلّ نسرٍ قشعمِ

ص: ۲۶۱

ص: ۲۶۲

ص: ۲۶۳

ص: ۲۶۴

## الوضع الاجتماعی فی الجزیرة العربیة

ص: ۲۶۵

الوضع الاجتماعی فی الجزیرة العربیة

أحمد الواسطی

إنّ النظم الاجتماعیـة لعرب الجاهلیة هی حصـیلة التفاعل بینهم وبین البیئة التی عاشوا فیها. فقد خضـعوا لشـروط بیئتهم ولاءموا حیاتهم الاجتماعیة مع الظروف الطبیعیة التی نشأوا فیها.

والجـدیر بالذکر أنّ الظروف المعیشـیة الصـعبة والأرض الصـحراویة القاحلة أوجبت أن یکون الأساس فی حیاة العرب، وبخاصة عرب الشـمال، البـداوة، والبداوة تعنی الحیاة القبلیة المتنقلة، إذ إن طبیعة البلاد الصـحراویة تفرض علی ساکنیها أن یعانوا حیاة شاقة لا مجال فیها للقرار واستیطان الارض.

والقبیلـة هی الوحدة التی یتجمع حولها الأفراد، والأفراد لا یعرفون سوی قبیلتهم ملاذاً لهم، خلافا لأهل الحضـر الذین یکرّسون ولاءهم للدولة فی أیامنا الحاضرة.

وإذا کـانت القبیلـة تقوی بأفرادهـا، وکـانت قوة الأفراد من قوة الجماعـة، وجب علی الفرد فی القبیلـة أن یتضـامن مع قبیلته علی الخیر والشر، وأن ینصر

ص: ۲۶۶

أخاه ظالماً أو مظلوماً، وأن يكون أفراد القبيلة يداً واحدة على من سواهم:

لا- يسألون أخاهم حين ينـدبهم فى النائبـات على ماقال برهانا فالناظر الى مجتمعات شبه الجزيرة العربيـة، سواء فى ذلك المجتمعات القبليـة البدويـة أو مجتمعات الحضـر التى تظهر على أوضـحها فى التكوينات السياسـية الكبيرة، يجـد أنها تشترك جميعا فى عنصـرين أساسيين:

العنصر الأول: عوامل التماسك التى تبدو وكأنها تشدّ المجتمع الى بعضه.

والعنصر الثانى: عوامل الانقسام الطبقى التى تسير فى موازاة العوامل الأولى.

عوامل التماسك:

وفيما يخصّ عوامل التماسك فإننا نجـد عـدداً واضـحاً منها فى التكوينات القبليـة تهدف الى إشاعة التماسك، حسب تصور معين فى المجتمع القبلى، ومن هذه العوامل: عامل العصبية وعامل آخر مكمّل له وهو الثأر.

وتتولـد العصبيـة القبليـة عنـد الأـفراد عن وعى أو غير وعى، وتسـتمر بتعاقب الأجيال على نمط عاطفـة عميقـة وفكرة ثاقبـة. فهى بمثابة الرباط الذى يشدّ بطون القبيلة وأفرادها بعضهم الى بعض، فيجعلهم يداً واحدة.

ولولا هذا الشعور لما كان فى وسعهم أن يدافعوا عن أنفسهم ومصالحهم.

فالعصبية القبلية بهذا المعنى هى البديل الذى لابد منه للرابطة القومية، ولكن فى حيّزها المتطرف (۱).

ويقترن بالعصبيـة القبليـة عادة الثأر، إذ تقضـى تقاليد البادية أن يطالب أهل المقتول بقاتله ليقتلوه به، وهو الأمر المعروف باسم (القَوَد) إلّاإذا رضوا بدية القتيل.

والديـة تختلـف باختلاـف مركز القتيـل مـن الناحيـة الاجتماعيـة، فالديـة واجبـة عـن الملـوك والزعمـاء، وتختلـف عـن ديـة الأـفراد والصعاليك، ودية الصريح ضعف

---

۱- ۱ الآلوسى: بلوغ الارب فى معرفة احوال العرب: ۳/ ۲۲. د. جواد على: تاريخ العرب قبل الاسلام ۱/ ۳۶۷- ۳۶۸.

ص: ۲۶۷

دیة الحلیف. والذی جری علیه العرب أن یأخذوا مائة من الإبل دیة القتیل من عامتهم، ودیة الأشراف تزید عن ذلک، بینما تکون دیة الملوک ألف بعیر.

أما إذا لم یحصل القَوَد، ولم یرضَ ذوو القاتل أو عشیرته بدفع الدیة، ویکون القاتل قد لاذ بالفرار، عندئذ یصبح الأخذ بثأره واجباً محتماً، إذ یصمم ولی المقتول، ویکون عادةً أقرب الناس إلیه، علی الأخذ بثأره، وغالباً ما یحرم علی نفسه أن یشرب الخمر أو یقرب النساء أو یمس رأسه غسل حتی یدرک ثأره (۱)، وقد یستغرق طلب الثأر عشرات السنین.

والعرب یعتقدون أن القتیل تخرج من رأسه هامة تنادی علی قبره (اسقونی فإنیصدیة)، ولا ینقطع نداؤها إلّاحین یؤخذ بثأره (۲).

وحتی أدرک أولیاء القتیل ثأرهم، ورأوا أنّ من قتلوه کفؤ لقتیلهم، نام الثأر فیصدورهم، وعندئذ یسمی (الثأر المنیم). أما الذی یتوانی عن طلب الثأر لقتیله فیلحقه العار. وقد یلحق العار القبیلة بأسرها إذا نامت عن ثأرها ولم تسعَ إلیه، فینظر العرب إلیها نظرة ازدراء واحتقار. وحتی من یقبل دیة قتیله ینظر إلیه بمثل هذه النظرة. وکثیراً ما یتولد عن الانتقام للدم المسفوح ثأر جدید، یجرُ وراءه سلسلة من الثارات المتبادلة، أشبه ما یکون بالحلقة المفرغة وقد یستغرق ذلک أجیالًا. کما قد تسوی الأمور، بأن یسلّم القاتل طوعاً أو کرهاً الی أهل القتیل کی یقتلوه به، فلا یبقی مجال لطلب الثأر. لکن القبیلة التی تفعل ذلک تکون قد جلبت علی نفسها عاراً لا یمحی.

لذلک فإنّ القبائل تفضل أن تقتل القاتل بدلًا من تسلیمه طوعاً للمطالبین به، دفعا للعار.

وقد تتفق قبیلتان متحاربتان علی تسویة الثارات بینهما لحقن الدماء فترضیان بالتحکیم، یتولاه شخص معین أو هیئة محکمین، یرضی بهم الطرفان، یحکمون بأن تدفع القبیلة التی یکون قتلاها أقل من الثانیة فضل الدیات لها. وقد

---

۱- ۱ الآلوسی: ۳/ ۲۴.

۲- ۲ الآلوسی: ۲/ ۳۱۲.

ص: ۲۶۸

يحكمون بإبطال المطالبة ببعض الدماء، باعتبارها لا تستوجب دفع الدية، ويقال لذلك (الشرخ). والمثال على ذلك: الحكم الذى أصدره (يعمر بن عوف) بين قصى وخزاعة، فحكم بأن كلّ دم أصابه قصى من خزاعة موضوع، يشدخه قصى تحت قدميه، فسمى يعمر لذلك باسم (يعمر الشداخ) (۱).

وحقيقة إنّ العصبية والثأر قد أدّيا الى مناسبات كثيرة من الصراع بين قبائل شبه الجزيرة فى العصر السابق للإسلام، وكان هذا الصراع يصل فى بعض الأحيان الى فترات من العداء الصريح الذى يستمر عقوداً بأكملها بين توتر أو مناوشات أو غارات كثيفة متبادلة حفظ التراث العربى لنا عدداً من مواقعها وهى التى تسمى أيام العرب (۲).

ولكن من الجانب الآخر فإن كلًّا من هذين العاملين كان أمراً حيوياً بالنسبة للقبيلة حتى لا يذوب كيانها فى مجال العلاقات بين القبائل فى ظلّ الظروف القاسية، التى سادت مجتمع البادية فى شبه الجزيرة. فالعصبية التى تنتج عن تصور حقيقى أو مفترض لرابطة القرابة أو الدم كانت وسيلة التكتل الأساسية بين أفراد القبيلة فى غياب أية وسائل أخرى ثابتة لإشاعة هذا التكتل. وهى وسيلة تجمع بين هؤلاء الأفراد بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى المطروحة مثل اعتبارات الحق والباطل أو الظلم والعدل، بحيث يصبح هذا التكتل هو القيمة الأولى فى حياة القبيلة، التى كثيراً ما كان يدفعها السعى وراء الكلإ الى التنقل، وهو ظرف قد يؤدى الى التشتت ومن ثم الاندثار كوحدة اجتماعية، أو الى التصارع مع قبائل أخرى فى سبيل الحصول على هذا الكلإ أو على عين ماء إذا أدخلنا فى اعتبارنا قلة الماء فى شبه الجزيرة الى درجة الندرة فى بعض الأحيان.

والجدير بالذكر أن العصبية والثأر هماصنوان متلازمان وأمران طبيعيان فى الصحراء، حيث لا قوة أو دولة تحمى الفرد إذا ضعف، أو تنتقم له إذا اعتدى عليه أحد، اللهم إلّاعشيرته أو قبيلته. ولذا فرضت تقاليد البادية أن يثأر الفرد لنفسه

---

۱- ۱ جواد على/ ۱/ ۳۶۹.

۲- ۲ جرجى زيدان/ العرب قبل الاسلام: ۲۵۴- ۲۷۴، عمر فروخ/ تاريخ الجاهلية: ۷۷- ۸۶، السيد عبدالعزيز سالم/ تاريخ العرب فى العصر الجاهلى: ۴۲۶- ۴۴۳، سعد زغلول عبدالحميد/ تاريخ العرب قبل الاسلام: ۳۱۱- ۳۱۸.

ص: ۲۶۹

أو لذویه من کلّ من یلحق الأذی به أو بذویه. ویتضامن معه أفراد عشیرته، أو بطون قبیلته فی الوصول الی حقّه ضد أی فرد أو جماعة تعتدی علیه من خارج قبیلته.

عوامل الانقسام:

ولکن مع کلّ العوامل المؤشرة الی التماسک سواء فی مجتمع التکوینات القبلیة، أو فی مجتمع التکوینات الکبیرة، فإنّ عوامل الانقسام کانت موجودة فی داخل هذه التکوینات فی الوقت ذاته. ففی المجتمع القبلی رغم ماکانت علیه العصبیة من رسوخ یدفع القبیلة الی أن تخفّ للدفاع عن أی فرد من أفرادها إذا تعرّض لأذی أو اعتداء أو إهانة من قبیلة أخری، فإن نداء العصبیة هذا لم یکن یمارس بنفس الحماس فی حالة کلّ الاشخاص.

ولعل الأقرب الی الواقع فی هذا الصدد هو أن هذا الحماس فی الاستجابة لنداء العصبیة کان یشتد أو یخفّ أو حتی ینعدم حسب وضع الشخص فی القبیلة، فإذا کان من الوجهاء أو الاعیان أو السادة فإن القبیلة تهب فی استجابة فوریة لهذا النداء، کما حدث علی سبیل المثال، فیما یرویه (ابن الاثیر) من غضب (عمرو بن کلثوم) حین أحسّ أن إهانة قد لحقت بأمّه علی یدی أمّ الأمیر اللخمی (عمرو بن هند) فنادی آل قبیلته تغلب، واستجابت القبیلة للنداء، وکان بعدهاصدام مسلح انتهی لصالح التغلبیین (۱).

ونحن نستطیع أن نقابل بین هذا وبین ما نستنتجه من شعر قاله (قریط بن أنیف) أحد بنی العنبر (وهو شاعر مخضرم) وکان عدد من أفراد (بنی ذهل بن شیبان) قد نهبوا عدداً من إبله فاستغاث بقومه فلم یغیثوه، فندّد بموقفهم هذا فی أبیاته. والتفسیر المنطقی هنا هو أن قریطاً ربما کان من (طبقة العوام) فی قبیلته، ومن ثم لم یکن ما أصابه من أذی (سواء بالحق أو بالباطل) مدعاة للاهتمام بین أفرادها لیهبّوا لمساندته، وهو یشرح لنا هذا الموقف بکلّ وضوح حین یقول:

---

۱- ۱ ابن الأثیر: الکامل فی التاریخ: ج ۱/ ۳۳۱.

ص: ۲۷۰

لو کنت من مازن لم تُستبح إبلی بنو اللقیطة من ذهل بن شیبانا

إذن لقام بنصری معشر خشن عند الحفیظة إن ذو لوثةٍ هانا

قومٌ إذا الشرُّ أبدی ناجذیه لهم طاروا إلیه زرافات ووحدانا

لا یسألون أخاهم حین یندبهم فی النائبات علی ما قال برهانا

لکنّ قومی وإن کانوا ذوی عدد لیسوا من الشر فی شیء وإن هانا (۱) وهکذا تتکون بالتدریج داخل کلّ قبیلة فئة أو طبقة لا تشعر بالانتماء الکامل لها، ویمکن أن تصبح عنصر انقسام بدلًا من أن تکون عنصر تماسک.

والشیء ذاته نجده فی أفراد القبیلة الذین تخلعهم القبیلة؛ لتصرف أتَوه ولم ترضَ القبیلة عنه. إن القبیلة تعلن عن لسان سیدها أو شیخها أنها غیر مسؤولة عن تصرفاته، وبالتدریج تتکون مجموعة من المنبوذین عن المجتمع القبلی تشکل بدورها عنصراً من عناصر الانقسام.

رتب الأنساب:

وتشمل الشعب، القبیلة، العمارة، البطن، الفخذ، والفصیلة (۲). وکلّها أصول وفروع للنسب القبلی تقابل أسماء من أعضاء الجسم.

الشعب:

وهی تشمل النسب الأبعد کعدنان وقحطان، ونسل کلّ منهما شعب فهما شعبان. وفی القاموس: الشاعبان هما: المنکبان لتباعدهما. وفیه أیضا: الشعب:

موصل قطع الرأس (فی أعلاه) وربما سمی الشعب بهذا الاسم؛ لانه أعلی مرتبة من مراتب النسب، مثلما الشعب (موصل قطع الرأس) فی أعلی رأس.

القبائل:

والقبائل العربیة تتفرع من الشعب کما تتفرع قبائل الرأس، (وهی قطع عظم الرأس المشعوب بعضها الی بعض) من أعلی الرأس (أی الشعب).

---

۱- ۱ دیوان الحماسة مختارات أبی تمام، طبعة الرافعی، القاهرة، أولی قصائد الدیوان.

۲- ۲ الآلوسی: ۳/ ۱۸۸.

ص: ۲۷۱

یقول القلقشندی: القبیلة هی ما انقسم فیه الشعب کربیعة ومضر.

ربما سمیت القبائل باسم جماجم أیضاً: «جماجم العرب هی القبائل التی تجمع البطون».

العمارة:

وهی بمثابة العنق والصدر من الإنسان. وهی ما انقسمت فیه أقسام القبیلة کقریش أو کنانة.

البطن:

وهو ما انقسمت فیه أقسام العمارة کبنی عبد مناف وبنی مخزوم.

الفخذ:

وقد جعلوها بعد البطن؛ لأن الفخذ من الإنسان بعد البطن. والفخذ ما انقسمت فیه أقسام البطن کبنی أمیة علی سبیل المثال.

الفصیلة:

وقد جعلوها بعد الفخذ؛ لأنها النسب الأدنی الذی یفصل عنه الرجل بمثابة الساق والقدم، والفصیلة ما انقسمت فیه أقسام الفخذ کبنی العباس (۱).

والعصبیة القبلیة هی فی الأصل الشعور بصلة النسب الی جد واحد، وتختلف شدة رباطها باختلاف درجات الالتحام فی النسب. غیر أن هنالک من الدلائل ما یشیر الی أن النسب أمر عرضی، الی جانب کونه أمراً طبیعیاً، إذ یدخل فیه الأفراد الذین یصاهرون القوم وینتسبون الیهم بالولاء ولو کانوا من قبائل أخری.

ویکون للعصبیة القبلیة قیمة أعظم من حیث الرباط الذی یجمع بین القبائل التی ترجع الی نسب واحد، إذا رفد رابط النسب رابط من المصلحة والجوار، وقد لا یکون للنسب شأن کبیر أحیاناً إذا تضارب مع المصلحة وحسن الجوار.

ویبلغ الشعور بوحدة النسب فی القبیلة درجة من القوة بحیث تعتبر أن کلّ من لا ینتمی إلیها إنما هو غریب، وأحیانا وفی ظروف معینة عدو، ذلک أن القبائل

---

۱- ۱ القلقشندی: نهایة الارب فی معرفة أنساب العرب:ص ۱۳- ۱۴، الآلوسی: بلوغ الارب فی معرفة أحوال العرب: ۳/ ۱۸۸- ۱۸۹، وراجع المنجد عن معانی کلّ کلمة من الکلمات التی تطلق علی مراتب الأنساب.

ص: ۲۷۲

العربية كانت تألف مجتمعاً يسوده التفكك وعدم الشعور بالروابط القومية الجامعة.

العناصر التى تتألف منها القبيلة:

والقبيلة تتألف فى العادة من عناصر كثيرة:

۱- الصرحاء: وهم أبناء القبيلة الذين يجرى فى عروقهم دمها النقى، كما أنهم ينحدرون من الجد الذى تنتسب إليه، وهؤلاء هم الذين يسودون القبيلة، ويؤلفون بيوتات الشرف فيها.

۲- ابناء القبيلة بالنقلة: فقد كان جائزاً نقل رجل نسبه من قبيلة الى قبيلة أخرى، فيصبح من أفرادها.

۳- أبناء القبيلة بالاستلحاق: فقد تُزوّج القبيلة عبداً من عبيدها امرأة من القبيلة، فيصبح مع الزمن فرداً من أفرادها يحمل نسبها. أما أولاد العربى من زواج غير شرعى أو من جواريه، فله الخيار فى أن يلحقهم بنسبه أو لا يلحقهم، وإذا فعل أصبحوا يحملون نسب القبيلة (۱).

۴- العبيد: وهم على نوعين: عرب وأجانب، ومصدر الرقيق العربى بين القبائل العربية، إذْ أن العربى الذى يقاتل فى الحرب ذوداً عن قبيلته، كان عليه أن يواجهإحدى حالات ثلاث: إمّا أن يُقتل أو يَفِر أو يُجرح، وحينئذ يؤسر فيُستَرَقّ.

أمّا الناس فغالباً ما كنّ يؤخذن أسيرات وسبايا فى عقب القتال. وربما كان هدف الغارة سبى النساء، وهذا ما كان يدعو القبائل إلى أخذ الحيطة الشديدة لحمايتهن.

وتمنح القبيلة من يقوم بهذه المهمة بشجاعة ألقاباً بطولية (كحامى الظعينة)، أو (فارس الظعينة)، وكثيراً ما كانت القبائل تبيع سبيها واسراها (أم عمرو بن العاص كانت سبيّة، ثم بيعت فى سوق عكاظ).

أما مصدر الرقيق الأجنبى فكان الشراء، حيث كان العرب يرتادون أسواق الروم وفارس، فيشترون الأرقاء الذين كانت كلّ من دولتى الروم والفرس

---

۱- ۱ د. فروخ: تاريخ الجاهلية:ص ۱۵۰.

ص: ۲۷۳

المتعاديتين تأسرهم من الأخرى اثناء الحروب الكثيرة، التى كانت تجرى بين الطرفين. كما كان العرب يعتبرون أبناء جواريهم، الذين لا يعترفون ببنونتهم رقيقاً لهم.

والرقيق أصناف يختلف ثمن العبد باختلافها، فهناك: الرقيق الأسود، وكان فى منزلة غاية فى الانحطاط بالنسبة للرقيق الأبيض، ذلك أن العرب كانوا يتعشّقون البياض ويحتقرون السواد، حتى ليطلقون على العبيد السود اسم (الاغربة) تشبيها لهم بطائر الغراب البغيض المشؤوم (۱).

أمّا الرقيق الأبيض فهو ذو مكانة أعلى وثمن أغلى وهو من جنسيات مختلفة:

فارسية أو بيزنطية أو من بعض الشعوب الأوربية.

وبالرغم من أن الرقيق قد اعتُبر كالآلة، يؤمر فيستجيب ويعمل، غير أن أثره كان عظيماً على أهل مكة من حيث كثرة أفراده إذْ ندر ما خلا دار من دور مكة من عبيد يقتنيهم رب الدار.

وقد استخدمهم مالكوهم، لما لهم من معرفة وخبرة ومهارة فنية، لا سيما الرقيق الأبيض فى الحرف المختلفة، كأعمال البناء والتجارة والتعدين وغيرها، يشتغلون لحساب أسيادهم، كما استخدموهم كحرس لهم ومشرفين على إدارة مبيعاتهم، وقد روى أن عاملًا رومياً عمل فى بناء الكعبة، فى حياة الرسول قبل البعثة.

كما رسم بعض العمال المسيحيينصوراً للأنبياء والملائكة ومريم العذراء، وغير ذلك من قصص الوحى الدينى على جدران الكعبة، حتى إذا فتح الرسولُ مكةَ طمسها مثلما حطم الأصنام، التى كانت هذه الصور قد أقحمت معها للزينة وربما تقديساً لها.

وكان لهؤلاء الأرقاء سهم فى إدخال بعض الألفاظ الفارسية والإغريقية والحبشية الى اللغة العربية، منذ عهد ما قبل الإسلام، كما استخدموا فى الترفيه من

---

۱- ۱ أحمد ابراهيم الشريف: مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول:ص ۳۷- ۳۹.

ص: ۲۷۴

رقص وغناء وضرب على الأوتار. وكان بوسع العبد أن يسترد حريته بأن يؤدى لسيده خدمة عظيمة، أو يظهر شجاعة فائقة فى موقعة حربية، أو يتفق مع سيده على أن يشترى حريته بمبلغ من المال، ويعرف ذلك باسم (المكاتبة). والرقيق الذى يتحرر بهذه الطريقة يعرف باسم (المكاتب) (۱).

۵- الموالى: وهناك أيضا الموالى، ويرجعون الى مصدرين:

الأول: أن الرقيق عندما يعتق يصبح من الموالى، إذا أراد البقاء فى القبيلة.

والثانى: أن يلتجئ فرد من إحدى القبائل الى قبيلة أخرى بسبب خلع قبيلته له، فيعتبر مولى من مواليها، ويطبق عليه التقليد المعروف باسم (الجوار)، وهو: إمّا جوار ضد عدو معين، أو جوار عام، وفى هذه الحالة يصبح للمستجير ما لأفراد القبيلة من حقوق، من حيث حمايته والأخذ بثأره إذا قتل، ويطلق عليه اسم (حليف) (۲). وقد يصل الأمر بالمجير أن يقتل أعزّ الناس إليه إذا قتل حليفاً مستجيراً، كما فعل أوفى بن مطر المازنى الذى قتل أخاه؛ لأنه فتك بمستجير به طمعاً فى زوجته الجميلة التى كانت ترافقه.

وقد ينزل رجلصريح من غير الحلفاء على زعيم قبيلة فيصبح حليفه ويعقد بين الاثنين عهد وميثاق، يشهد عليه الملأ، وينصّ على بنود تقول: «دمى دمك، وثأرى ثأرك، وحربى حربك، وسلمى سلمك، ترثنى وأرثك، وتطلب بى وأطلب بك، وتعقل عنى وأعقل عنك» (۳).

وللحليف واجبات: ألا- يسىء مادياً أو معنوياً الى القبيلة المجيرة وإلّا خلعته، وتحللت من التزاماتها نحوه، ومع ذلك لم يكن للحليف منزلة كمنزلة أبنائها الصرحاء، ذلك أن ديته نصف دية الفرد الصريح منها.

الخلع والخلعاء:

وفى مقابل ما يرفد القبيلة من عناصر خارجة عنها، هناك من التقاليد المعروفة عند العرب ما يقضى بأن القبيلة تستطيع أن تخلع أى فرد من أفرادها ولو

---

۱- ۱ أحمد إبراهيم الشريف/ المصدر نفسه/ص ۳۷- ۳۹.

۲- ۲ فى لسان العرب: الحليف هو من انضم الى شخص فعزّ بعزه وامتنع بمنعته.

۳- ۳ أحمد إبراهيم الشريف: المصدر نفسه:ص ۴۳- ۴۴.

ص: ۲۷۵

كانوا من الصرحاء، ويسمى هؤلاء بالخلعاء (مفردها خليع ويطلق عليه ايضا اسم لعين).

والخَلْع فى المجتمع القبلى شبيه باسقاط الجنسية عن المواطن فى عصرنا الحاضر، ويجرى الخلع لأسباب:

۱- إذا قتل فرد ما شخصاً آخر من قبيلة، ورفض ذوو المقتول قبول الدية، عندئذ تصبح القبيلة، بشخص زعيمها مضطرة لقتل القاتل، أو خلعه حفاظاً على وحدة القبيلة.

۲- لما كانت القبيلة مسؤولة عن أعمال أفرادها، تضطر أحيانا الى خلع من يسىء منهم اليها، بكثرة اعتدائه وجرائره ضد القبائل الأخرى، التى تَحْملُها أفعاله على شن الغارات الثأرية ضدها مفضلة أن تضحى بفرد بدلًا من جماعات منها.

۳- وتخلع القبيلة كلّ من يلحق بها العار بأعماله اللاأخلاقية والمشينة، التى تعتبرها لوثة فى جبينها.

يذاع الخلع بطرق عديدة فى المواسم والأسواق بالمناداة أو الكتابة. وكان الرجل يأتى بابنه الى المواسم ويقول: «ألا إنى قد خلعت ابنى هذا فإن جُرَّ (أى أخذ بجريرة) لم أضمن، وإن جُرَّ عليه (أى قتل) لم أطلب» (۱) فلا يؤخذ الأب بجرائر ابنه الخليع. ومن وقتها تصبح قبيلته فى حلّ من أعماله، وتسقط حقوقه عليها، ويحرم عليه البقاء فيها، فيذهب ملتجئاً الى غيرها.

وأما إذا كانت شروره ومآثمه كثيرة فنادراً ما يلقى مجيراً ويصبح الأمر خطيراً بالنسبة إليه، إذ يجد نفسه فى موقف حرج ووضع شاذ (۲).

وقد يتكتل الخلعاء، ويطلق عليهم أيضا اسم (ذُؤبان العرب) بضروب من الشجاعة والإقدام وعدم المبالاة بالحياة، بحيث كان بعض الرؤساء والزعماء يستخدمونهم للفتك بخصومهم، وقد انضم قسم منهم الى امرىء القيس الشاعر الكندى عندما نهض مع قبيلة بكر للأخذ بثأر أبيه من قبيلة أسد.

---

۱- ۱ الآلوسى: ۳/ ۲۷.

۲- ۲ أحمد إبراهيم الشريف: المصدر نفسه:ص ۳۱- ۳۶.

ص: ۲۷۶

کما کانوا متحللین من العصبیـة القبلیة، لا یفرّقون بین قبیلتهم وغیرها، من حیث الإغارة علیه والسـطو علی أموالها، وإن کانوا فی أغلب الأحیـان یؤثرون التمرکز فی المناطق المجاورة للأسواق التجاریـة أو طرق القوافل التجاریـة، بحیث یغیرون علیها، ویُعملون یـد السـلب والنهب فیها (۱).

وقد اشـتهر منهم عدد من الشـعراء الذین اطلق علیهم اسم (الشـعراء الصعالیک)، والذین مارسوا هذه الأعمال، مثل (الشنفری) و (عروة بن الورد)، الذی اشتهر بعلوّ الأخلاق والجود والکرم، ینفق مایسلبه علی الفقراء والمعوزین.

ومنهم (تأبط شرا) و (السلیک بن السلکة) و (جعفر بن علیة).

والشـعراء الصـعالیک کانوا علی العموم کرماء یتصـفون بالشـهامة والمروءة والأنفـة. وفی شـعر (للشـنفری) ما یبسط لنا بعض الصـفات الخلقیة لهؤلاء الشعراء، حیث یخاطب بنی قومه الذین آذوه، بأبیات من قصیدته المعروفة باسم (لامیة العرب) (۲).

الأسرة:

إن الوحـدة الاجتماعیـة فی البادیة والحضـر معاً هی القبیلة، ورکن القبیلة هی الأسـرة، والرجل هو عماد الأسـرة وربّها وصاحب نسـبها، والعلاقة الاجتماعیة بین أفراد الأسرة کانت قائمة علی أساس التضامن الوثیق بین أفرادها کتضامن أسر القبیلة ضد القبائل الأخری.

فالعلاقـات فی المجتمع العربی تقوم علی أساس التضامن المتسـلسل الصاعـد، اعتبارا من أفراد الأسـرة ثم الأفخاذ فالبطون فالعشائر، ثم الأحلاف، وللنسب دخل کبیر فی هذا التضامن، وهو الذی نسمیه بالعصبیة القبلیة.

الزواج:

کانت الأسـرة تقوم علی أساس الزواج بعقـد وبمهر معین، یدفعه الزوج بعد رضا أولیاء الفتاة ورضاها فی بعض الأحیان، وهو مایسـمی بزواج المهر، أو زواج

---

۱- ۱ جواد علی: المصدر السابق: ۱/ ۳۶۹.

۲- ۲ أقیموا بنی قومیصـدور مطیّکم فـإنی الی قوم سواکم لأمیـلُ فقـد خمّت الحاجات واللیل مقمر وشُـدّت لطیّات مطایا وأرحُلُ وفی الأرض منأی للکریم عن الأذی وفیها لمن خاف القلی متعزّلُ لعمرک مافی الأرض ضیق علی امرئ سری راغباً أو راهباً وهو یعقلُ

ص: ۲۷۷

البعولـة، وقـد يغالى بعض الآباء فى قيمـة المهر مغالاة شديدة، على أنه ذكرت الى جانب هذا أنواع أخرى من الزواج منها زواج السبى من نساء العـدو الأسـيرات، ولا يشترط فيه رضا الفتاة أو المهر، ثم زواج الإماء، ويكون بشـراء أمـة تكون هى وأولادها منه ملك يمينه إلّاإذا أعتقهم. وهذه الانواع من الزواج كان يقرّها المجتمع الجاهلى، وقد أقرّها المجتمع الإسلامى بعد ذلك مع شىء من التعديل، من حيث تحديد تعدّد الزوجات، والتشجيع على عتق الإماء.

ومن أنواع الزواج التى عرفت فى الجاهلية (زواج الشغار)، وذلك بأن يتفق رجلان على أن يتزوج كلّ منهما قريبة الآخر، ممن له عليها حقّ الولاية كالأخت أو الابنة، وبدون مهر (۱) وفى ذلك ما فيه من عدم احترام المرأة وحقوقها، ولم يكن شائعاً شـيوعاً كبيراً. وقريب منه (نكاح البدل) كأن ينزل رجلان كلّ منهما للآخر عن زوجته، وهو لا يقتضى المهر.

وقد عرف فى الجاهلية نكاح (الخدن) (المخادنة) كأن يتخذ رجلصديقة له (خليلة).

ومن انواع الزواج التى استهجنها المجتمع الجاهلى أيضـاً، (زواج المقت)، ويكون بـأن يرث الابـن الأـكبر زوجـة أبيه، إذا لم يكن لها أولاد منه، كما يرث المتاع، إلّا إذا افتدت نفسـها من الورثة برضا منهم، وإذا أراد زوّجها من أحد إخوته بمهر جديد، وما ذلك إلّالأن الزواج كان يعنى أن تقطع المرأةصـلتها بأبيها واخوتها، فإذا لم تكن ذات ولـد ساءت حالتها ولم تجـد من يعيلها (۲) والمعتقد أن هذا النوع من الزواج كان نادر الوقوع، ومقصوراً على فئات خاصة ضئيلة من السكان.

وقد سـمى باسم «زواج المقت» لأنه كان ممقوتاً، والولد الذى يكون ثمرته يسـمى (مقيت). أما الرجل الذى يخلف أباه على امرأته إذا طلقها أومات عنها أو يزاحم أباه على امرأته فكانوا يطلقون عليه اسم (الضيزن) أى الشريك أو المزاحم

---

۱- ۱ الآلوسى: مصدر سابق: ۲/ ۳- ۵.

۲- ۲ د. أحمد شلبى: التاريخ الاسلامى والحضارة الإسلامية: ۱/ ۷۹. د. جواد على: مصدر سابق: ۵/ ۲۷۴.

ص: ۲۷۸

عند الاستسقاء. وقد حرّم المجتمع الجاهلی زواج الاب بابنته، والزواج بالأمهات والأخوات والعمات والخالات وبنات الاخت وزوجات الأبناء. لکن زواج الرجل باختین تکونان معاً فی عصمته کان مباحاً.

ویضاف الی العادات التی کانت معروفة عند العرب فی الجاهلیة أن أحدهم إذا تقابل مع آخر من غیر قبیلته ومعه ظعینة قاتَلهُ علیها، وإن تمکّن أخذها منه، واستحلّها لنفسه.

کما أن الجاهلیین قد اعتبروا الاتصال الجنسی بین الرجل والمرأة بدون عقد ضرباً من الزنی، فیقولون للمرأة عندئذ إنها بغی وزانیة وفاجرة وعاهرة ومسافحة (۱).

ولم یکن عدد الزوجات محدّداً، بل کان للجاهلی أن یعدد من الزوجات ما یشاء، مدفوعاً الی ذلک بعوامل شتی، قد تکون شخصیة بحتة أو إنسانیة، کأن یدخل فی عصمته نساء لا معیل لهنّ، أو سیاسیة بأن یُصهر الی عدد کبیر من القبائل، تناصره عند الحاجة.

الطلاق:

کان الطلاق من حقّ الرجل یستعمله متی شاء، لأیّ‌سبب أو حتی بدون سبب. وکان العرف یقضی بأن الرجل إذا طلّق زوجته واحدة کان أحق الناس بها.

أما إذا استوفی الثلاث انقطع السبیل عنها، فالطلاق ثلاثاً معناه الفرقة التامة بین الزوجین (۲) علی ان هناک من النسوة من کنّ یشترطن عند الزواج أن یکون لهنّ الحق فی الطلاق إذا أردن.

وکانت المرأة إذا أرادت أن تطلّق زوجها غیّرت باب قبائها، فإن کان قِبَل المشرق جعلته قِبَل المغرب، فإذا رأی الزوج ذلک عرف أنها قد طلقته فلم یأتها، لکنّ ذلک لم یکن لیحصنهنّ من تطلیق أزواجهنّ لهنّ إذا أرادوا.

وإذا طُلقت الزوجة أو مات عنها زوجها أُلزمت بقضاء العدة حتی یتبیّن ما

---

۱- ۱ جواد علی: ۵/ ۲۵۴- ۲۵۸.

۲- ۲ الآلوسی: ۲/ ۴۹.

ص: ۲۷۹

إذا كانت حاملًا أم غير حامل، خوفاً من أن تختلط الأنساب فيما لو تزوجت قبل انقضاء العدة (۱).

العلاقات ضمن الأسرة:

لقد اختلف الباحثون المحدثون حول وضع المرأة الاجتماعی فی العهد الجاهلی، وقد استنتج بعضهم (۲) من الآيات القرآنية التی تدعو الی إحقاق حقوق المرأة، وعدم إمساكها ضراراً إذا طُلّقت- كقوله تعالی: وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهنّ (۳) ويا أيها الذين آمنوا لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهنّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنّ... (۴)

- أنها كانت مضطهدة، يُبْغی عليها ويستهان شأنها، بينما استنتج آخرون من اخبار الجاهلية التی وصلت إلينا فی كتب التاريخ والآداب القديمة، أنها كانت تتمتع بمكانة مرموقة فی المجتمع الجاهلی.

لكن الواقع أن موضوع مكانة المرأة فی العصر الجاهلی، يحتاج الی دراسة عميقة وشاملة، ولا يمكن للباحث أن يعطی أحكاماً مطلقة موجزة عنه فی ثنايا البحوث العامة. ومن الأخبار المتناثرة فی بعض كتب الأدب نلمس أن علاقة الرجل بالمرأة فی العهد الجاهلی كانت قائمة علی الاحترام المتبادل فی كثير من الأحيان، إذ كانت تستشار فی بعض الأمور وتشارك الرجل أكثر أعماله، وتتمتع بقسط من الحرية. وبعض الآباء يستشيرون بناتهم فی أمر زواجهنّ واختيار بعولتهنّ (۵).

لا نكران بأن الرجل فی الأسرة الجاهلية كان له المركز الممتاز، فهو قوام الأسرة وربّها والمسؤول عن حياتها ورزقها ومختلف شؤونها، والمحارب المدافع عنها، والمطالب بالثأر والغرامات، وصاحب الكلمة النافذة، والمرأة كانت تابعة له، ومنسوبة إليه، وتحت حمايته ومسؤوليته، غير أنها كانت تشاطر الرجل كثيراً من مسؤولياته. وإذا كانت لا تغنی غناء الرجل فی الحروب، والحروب هی أساس الحياة فی المجتمع الجاهلی، ولذلك تدنّت منزلتها عن منزلته، إلّاأنها كانت خير

---

۱- ۱ جواد علی: ۳/ ۲۷۳.

۲- ۲ محمد عزة دروزة: عصر النبی وبيئته قبل البعثة: ۱۳۱- ۱۳۵.

۳- ۳ البقرة: ۲۳۲.

۴- ۴ النساء: ۱۹.

۵- ۵ د. أحمد شلبی: مصدر سابق:ص ۷۷. والشيخ محمد الخضری: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: ۱/ ۱۷- ۲۰.

ص: ۲۸۰

رفيق له وخير عون، وكانت تجيد من الفنون ما يجعلها فى مستوى يلائمه، بالاضافة الى قيامها بواجباتها كأمّ ومربية للأطفال، وكانوا يسمونها ربة المنزل تكريماً لها (۱).

وفى الروايات القديمة أن المرأة مارست الكهانة والعرافة كالرجل، وكان الرجال يلجأون الى رأيها فى معضلات الامور.

والمرأة الجاهلية فوق ذلك كانت تشعر بسخصيتها وبمكانتها فى المجتمع، وتحرص على مكانتها من أن تُهان.

ومما تجدر الإشارة إليه أن العرب لم يكونوا يزوّجون بناتهم من غير العرب، وأن الفتيات البدويات لم يكنّ يُحبِبن الزواج فى الحضر، وأن المرأة المرغوب فيها هى الولود التى تنجب كثيراً من البنين؛ لأنهم عماد الأسرة العربية، التى اعتادت أن تعيش فى حراسة السواعد المفتولة والرماح السمهرية.

كان العربى يغار على نسائه، ويحرص عليهن، ويعتبر العرض أغلى من النفس والمال والولد (۲).

ولذلك كان الرجال يصطحبون نساءهم فى الغزوات والحروب، ويجعلونهن فى مؤخرة الجيش، خوفا من مباغتة العدو لهنّ فى مضارب القبيلة والرجال غائبون، وكى يدرك المحارب، بأن هزيمته ستجعل عرضه مباحاً لأعدائه فيستميت فى القتال؛ ليُجنّب نساءه السبى. وفضلًا عن ذلك فإن النساء فى المؤخرة كنّ يعنين بالمرضى ويضّمدن جراح المصابين، كما يشجعن المحاربين، ويأخذن بتلابيب الفارّين من ساحة القتال.

معاملة الأولاد:

إن أولوية الرجل فى الأسرة الجاهلية، قد جعلت للأب سلطة على أفراد عائلته، وقد تصل الى حدّ تجعل للآباء على أولادهم حقّ التصرف بمصائرهم، ففى بعض الأحيان، كانوا يجعلون أولادهم رهائن فى أيدى خصومهم، فيؤدى ذلك

---

۱- ۱ يقول أحدهم: يا ربة البيت قومى غيرصاغرة ضمّى إليك رحال القوم والقربا

۲- ۲ المعتقد أن الجاهليين يعاقبون الزانية بالرجم فجاء الإسلام وأقرّ ذلك.

ص: ۲۸۱

أحیانـا الی قتل هؤلاء لهم، وإذا اسـتثنینا هـذه الحالـة الشاذة، ومثلها ما کان من وأد البنات، فإن العربی کان یعامل أبناءه معاملـة تنطوی علی اللطف والحنان والمحبـة (۱) مع حرصه علی تربیتهم تربیة خشـنة، تؤدی بهم الی اسـتکمال أسـباب القوة، لیکونوا درعاً حصیناً له ولقبیلته. وکـان الآبـاء یتخیّرون لأبنـائهم الأسـماء التی تـدل علی الخشونـة، أو توحی بالتفـاؤل بـالظفر علی الأعـداء مثل: کلب، أسـد، فهر،صـخر، غلاب، ضـرار، حنظلة، حرب، بینما کانوا یتخیّرون لأرقائهم أسـماء جمیلة مثل: سـهیل، میسور، وهانیء، نجاح، فلاح ونحو ذلک.

کان الجاهلیون یُفضلون من المواليد البنین علی البنات، وقد دعاهم الی ذلک عوامل عدیدة، فالأولاد یصبحون فی المستقبل محاربین، تعتمـد علیهم القبیلـة فی الدفاع عن حوزتها، وفی الکسب، بینما تکون البنت عبئاً ثقیلًا تحتاج الی حمایة، أو قد تجلب العار الی قبیلتها، فیما إذا تعرّضت للسبی. تقول الآیة الکریمة: وإذا بُشّـر أحدهم بالأنثی ظلّ وجهه مسوداً وهو کظیم* یتواری من القوم من سوء ما بُشـر به أیمسکه علی هون أم یدسّه فی التراب ألا ساء ما یحکمون (۲)

.

وکـذلک جـاء فی قوله تعالی: وإذا بُشّـر أحـدُهم بما ضـرب للرحمن مثلًا ظلّ وجهه مسوداً وهو کظیم أَوَ مَن یُنَشَّؤا فی الحِلیـة وهو فی الخصام غیرُ مبین.. (۳) وإذا الموؤدة سئلت* بأی ذنب قُتلت (۴)

.

یتضـح لنـا من هـذه الآیات أن العرب کانوا یفضـلون البنین علی البنات، وأنهم کانوا یئـدون البنات، وقـد لمس الباحثون أسـباباً أخری للوأد منها الإملاق کما فی الآیة: ولا تقتلوا أولادکم من إملاق نحن نرزقکم وإیاهم (۵)

، وعدم القدرة علی إعالة الأولاد، أو الحرص علیصیانة العرض، وخشیة أن یلحق القبیلة عار من السبی.

وعلی کلّ حال لم یکن الوأد شاملًا، بل اقتصـر علی بعض الأوساط المتردیة مادیاً واجتماعیاً، ولا سیما فی سنی القحط والمجاعة، وفی البوادی القاحلة، ویروی

---

۱- ۱ کقول احد شعراء الجاهلیة: وانما أولادنا بیننا أکبادنا تمشی علی الارضِ

۲- ۲ النحل: ۵۸- ۵۹.

۳- ۳ الزخرف: ۱۷- ۱۸.

۴- ۴ التکویر: ۸- ۹.

۵- ۵ الأنعام: ۱۵۱.

ص: ۲۸۲

أنه قـد اقتصـر على بعض الحالات فی بعض بطون قبیلتی تمیم وأسد (۱)، کحالـة ولادة مولود مشوّه، أو إذا کان الوالـد فقیراً، أو کثیر العیال، أو کان مع فقره مئناثاً، وفوق ذلک لا یستطیع الدفاع عن حریمه لضعفه.

ومع ذلک کان هناک ما یحدّ من هذه العادة السیئة، کإقدام ذوی الشهامة والمروءة على تبنی أولاد لیسوا منصلبهم، یجعلون لهم مثلما لأولادهم من حقوق، وانقاذ المجتمع من عادة الوأد. فالشاعر الفرزدق کان یفتخر بأن جدّه (غالب بنصعصعة)، کان یُعرف فی الجاهلیة أنه محیی الموؤدات.

الإرث:

کـان الإرث من حقّ الرجل فقط، وقـد حُرمت منه المرأة والأولاد الصـغار والجواری والبنات. ویظهر أن هـذا الحق قـد خُصّ به الـذین یرکبون الخیل ویحملون السلاح، وقاعدتهم فی ذلک «لا یرث الرجلَ من ولده إلّامن أطاق القتال» (۲).

وللرجـال أن یرثوا من النسـاء، وأن یرثوهن أنفسـهن، کما یرثون المتاع (یرث الابن الأکبر زوجات أبیه). ومَن مات عن بنات ولم یکن له أبنـاء ذکور یرثه إخوته، وتحرم بنـاته من میراثه. ولکن یظهر أن حرمـان المرأة من المیراث، لم یکن عاماً فی جمیع القبائـل، بل إن بعضها کانت تعطی النساء الحق فی الإرث (۳).

الهوامش:

---

۱- ۱ محمد الخضری: مصدر سابق:ص ۲۱.

۲- ۲ د. جواد علی: مصدر سابق: ۲۷۴.

۳- ۳ د. جواد علی: مصدر سابق: ۶: ۳۲۸- ۳۲۹.

ص: ۲۸۳

ص: ۲۸۴

## معجم ما کتب فی الحجّ والزیارة و المعالم المشرفه فی الحجاز (۷)

ص: ۲۸۵

معجم ما کتب فی الحجّ والزیارة و المعالم المشرفه فی الحجاز (۷)

عبدالجبار الرفاعی

۱۱۶۳- الرحلة المکّیة

علیخان الصغیر بن مطلب بن علیخان الکبیر بن خلف بن عبد المطلب المشعشعی العویزی الموسوی

ظ: الذریعة ۱۰/ ۱۷۰- ۱۷۱

۱۱۶۴- (ارجوزة طویلة فیها بیان لرحلة المؤلف من هجر إلی مکّة وغیرها)

ناصر بن هاشم بن أحمد بن الحسین الموسوی الأحسائی (۱۲۹۱- ۱۳۵۸ ه)

ظ: الذریعة ۱۰/ ۱۷۱.

۱۱۶۵- الرحلة المکّیة المدنیة

معتوق مکی البعاج

النجف: مط الآداب، د. ت، ۳۵ص.

۱۱۶۶- الرحلة المکّیة والنخلة المسکیة

(ارجوزة فی ألف بیت أنشأها الناظم فی سفره إلی الحج ۱۲۹۲ ه، وذکر فیها ما جری علیه من خروجه من بغداد الی عودته إلیها، وکتب علیها مجموعة من العلماء والشعراء عدّة تقریضات)

ص: ۲۸۶

محمد حسن بن محمدصالح كبة البغدادى ت ۱۳۳۶ ه.

ظ: الذريعة ۱۰/ ۱۷۰.

۱۱۶۷- الرحلة النجدية

عاتق بن غيث البلادى

جدة: دار المجمع العلمى، ط ۱، ۱۵۷ص، ۲۴ سم.

۱۱۶۸- الرحلة الوهبية الى الاقطار الحجازية

(تحقيق مختصر حول سفر لفريضة الحج)

أحمد على شاذلى

۸۶ص.

۱۱۶۹- رحلة الوزير الشرقى الاسحاقى المغربى الى الحج

الوزير الاسحاقى الشرقى ت بعد ۱۱۴۳ ه.

العرب. س ۱۹: ع ۱۱- ۱۲ (۵، ۶/ ۱۴۰۵ ه/ ۲، ۳/ ۱۹۸۵ م)ص ۷۳۶- ۷۵۷.

س ۲۰: ع ۱- ۲ (۷، ۸/ ۱۴۰۵ ه/ ۴، ۵/ ۱۹۸۵)ص ۱۰۸- ۱۱۹.

ع ۳- ۴ (۹، ۱۰/ ۱۴۰۵ ه/ ۶، ۷/ ۱۹۸۵ م)ص ۲۶۴- ۲۷۲.

ع ۵- ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۰۵ ه/ ۸، ۹/ ۱۹۸۵ م)ص ۳۸۷- ۴۰۲.

ع ۷- ۸ (۱، ۲/ ۱۴۰۶ ه/ ۹، ۱۰/ ۱۹۸۵ م)ص ۵۲۸- ۵۳۸.

ع ۹- ۱۰ (۳، ۴/ ۱۴۰۶ ه/ ۱۱، ۱۲/ ۱۹۸۵ م)ص ۶۴۷- ۶۴۹ (حمد الجاسر).

۱۱۷۰- رد شبهات المستشرقين عن الحج

نذير حمدان

التضامن الإسلامى (مكة المكرمة) س ۳۳: ع ۹ (۴/ ۱۳۹۹ ه- ۳/ ۱۹۷۹ م)ص ۴۱- ۵۱.

۱۱۷۱- الرد على الاخنائى واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام

ابن تيمية (۶۶۱- ۷۲۸ ه)

القاهرة: المكتبة السلفية ومطبعتها، ۱۳۴۶ ه، ۴۰۰ص.

القاهرة: ط ۲، ۱۹۵۰ م، ۲۳۲ص (تحقيقات: عبدالرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى، عنى بنشره: عبدالملك بن إبراهيم ومحمد بن

ص: ۲۸۷

حسين نصيف).

القاهرة: المكتبة السلفية ومطبعتها، ۱۹۷۶ م.

۱۱۷۲- الرّد على الوهّابية

(فى تحريم بناء القبور)

عبدالكريم الزّين، ت ۱۳۶۰ ه.

ظ: تراثنا: ع ۱۷ (۱۴۰۹ ه)ص ۱۶۳، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۴۹۳.

۱۱۷۳- ردّ الفتوى بهدم قبور الأئمة فى البقيع

محمد جواد البلاغى، ت ۱۳۵۲ ه.

مطبوع

ظ: معجم المؤلفين العراقيين ۳/ ۱۲۴، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۴۹۳.

۱۱۷۴- رسائل فى تاريخ المدينة

جمعها ونشرها: حمد الجاسر.

وهى تتضمن:

۱- وصف المدينة المنورة فى مطلع القرن الرابع عشر، لعلى بن موسى.

۲- التحفة اللطيفة فى عمارة المسجد وسور المدينة الشريفة، لمحمد بن خضر الرومى.

۳- الوفا بما يجب لحضرة المصطفى، للسمهودى، على بن عبداللّه.

۴- حوادث تتعلق بالحجرة النبوية.

۵- بناء سور المدينة.

۶- وضع الأهله فوق القبة ومنائر الحرم النبوى

طبعت فى:

الرياض دار اليمامة ۱۹۷۲ م، ۲۴۵ص، ۲۴ سم (نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب ۱۶).

۱۱۷۵- رساله اركان حج وعمره

(بالفارسية)

محمود حسينى

سنندج: المؤلف، ۱۳۶۵ ش، ۱۵ص.

۱۱۷۶- رسالة اعلام العامة فيصحة الحج مع العامة

عبدالنبى العراقى

مطبوع سنة ۱۳۴۶ ه.

۱۱۷۷- رسالة أقانيم العلى فى أحوال أمّ القرى

(فى تاريخ مكة بالفارسية)

أحمد بن الحسين اليزدى المشهدى ت ۱۳۱۰ ه.

ص: ٢٨٨

ظ: الذريعة ١١/ ١٠١.

١١٧٨- رسالة الى قبر النبيّصلى الله عليه و آله

عبداللَّه بن السيد البطليوسى ت ٥٢١ ه.

ظ: فهرست ابن خير الاشبيلى ٤٢٠، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ٢/ ٤۴.

١١٧٩- رساله‌اى در آداب حج

(بالفارسية)

سلطان العلماء علاء الدين حسين ابن رفيع الدين محمد بن أمير شجاع الدين محمود الحسينى ت ١٠۶۴ ه.

١١٨٠- رساله‌اى در مناسك حج

(بالفارسية)

محمد إبراهيم بن محمد حسن خراسانى كرباسى ت ١٣۶٣ ه.

١١٨١- رساله‌اى در مناسك حج

(بالفارسية)

محمد بن أبى القاسم حبيب اللَّه واعظ اصفهانى

خ: ملى بتبريز، برقم ٧٢٢.

ظ: فهرس المكتبة ٣/ ٣٢٣٠.

١١٨٢- رساله‌اى در كفارات احرام حج

(بالفارسية)

محمد باقر بن محمد تقى المجلسى

خ: المرعشى بقم، ضمن مجموعة برقم ۴٢٩، ٢٢ ورقة.

١١٨٣- رسالة بشأن هل يجوز التوسل بجاه النبيصلى الله عليه و آله؟

سليمان بن عبداللَّه بن محمد بن عبدالوهاب النجدى ت ١٢٣٣ ه.

خ: جامعة الملك سعود ٣۴٢٢/ ١۵ م،صفحة ۵٠- ۵۵، سنة ١٣۴۵ ه.

ظ: الاعلام ٣/ ١٩١، مشاهير علماء نجد ٢٩، معجم المؤلفين ۴/ ٢۶٨، فهرس مخطوطات جامعة الملك سعود (اصول الدين والفرق الإسلامية) ۵/ ٧۵- ٧۶، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ٢/ ۴۴.

١١٨۴- رسالة تفسير آية: إنّ أوّل بيت وضع للناس للّذى ببكّة مباركاً

زين العابدين خان كرمانى ت ١٣۶٠ ه.

كتبها سنة ١٣۴۶ ه.

١١٨۵- رسالة تفسير آية: إنّ أوّل

ص: ٢٨٩

بيت وضع للناس للذى ببكّة مباركاً

كاظم الرشتى

١١٨٦- الرسالة الثانية فى حكم التوسل بالأنبياء والأولياء عليهم السلام

محمد حسنين مخلوف العدوى المالكى ت ١٣٥٢ ه.

القاهرة: مطبعة المعاهد، ١٣٤٨ ه، ٧٢ص.

١١٨٧- رسالة الحج

(بالفارسية)

مجهولة المؤلف

خ: آستان قدس رضوى، برقم ٨٢١٥، تاريخها ١٢١٣ ه.

١١٨٨- رسالة الحج

حسين الخوانسارى

خ: مدرسة آخوند بهمدان، برقم ١١٣١.

١١٨٩- رسالة حجية

(فى فقه الحج، بالفارسية)

المحقق الأردبيلى وأبو الحسن المطلبى

ميقات حج: ع ١٥ (بهار ١٣٧٥ ش)ص ٢٤- ٤٤.

١١٩٠- رسالة در احوال مكه معظمه ومدينه مشرفه

(بالفارسية)

آقا محمد على كرمانشاهى

ظ: مرآة الاحوال ١/ ١٣٥، ١٤٩.

١١٩١- رساله در افعال حج وعمره

(بالفارسية)

حبيب اللَّه شريف كاشانى ت ١٣٤٠ ه.

١١٩٢- رساله در حج

(بالفارسية)

محمد جعفر الاسترآبادى

خ: سيه سالار.

ظ: فهرست المكتبة، ۴/ ٨۶ م ٢.

١١٩٣- رسالة دفع الشدة بجواز تأخير الأناقى الحرام الى جدة

جعفر بن أبى بكر اللبنى الحنفى المكى

بغداد: مط الأمة، ١٩٧١ م، ۶ص.

١١٩۴- رسالة ذرع الكعبة المعظمة ومساحة المسجد الحرام

ديار بكرى ت ۹۶۶ ه.

خ: برلين.

مكتبة الاسكندرية.

دار الكتب العربية بالقاهرة.

ص: ٢٩٠

مكتبة الحرم المكى.

المحمودية بالمدينة المنورة.

ظ: المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (٣- ۴/ ١۴١٠ ه/ ١٠- ١١/ ١٩٨٩ م)ص ٢٠۵.

١١٩۵- رسالة رئيس منظمة الحج والزيارة الى وزير حج المملكة العربية السعودية

ميقات الحج: ع ٨ (١۴١٨ ه)ص ١۴١- ١۵۶.

١١٩۶- رساله شريفه توضيح المناسك يا دستور حج

(بالفارسية)

محمد حسينى الشاهرودى

قم: بهار، ط ١، ١٣٧٢ ش، ١٠٣ص، ١٧ سم.

١١٩٧- رسالة فى آداب الحج وكيفية وضع المسجد الحرام

محمد يوسف بن پهلوانصفر القزوينى

١١٩٨- رسالة فى إجزاء حج مَن أدرك المشعرين بحكم العامة

عبدالنبى الوفى العراقى

١١٩٩- رسالة فى إجزاء المشعر الحرام اضطراراً فى تمامية الحج

عبدالنبى الوفى العراقى

١٢٠٠- رسالة فى أدعية الطواف والسعى وطواف الوداع ودعاء عرفة وبهامشها مسائل الحج التى لابدّ منها إذا أراد ان يحرم

خ: الخديوية بمصر.

١٢٠١- رسالة فى اشتراط الرجوع الى الكفار فى الحج

ميرزا أبو المعالى

١٢٠٢- رسالة فى أقل المدة بين العمرتين

محمد إسماعيل المازندرانى الخاجوئى ت ١١٧٣ ه.

تحقيق: مهدى الرجائى

قم: دار الكتاب الإسلامى، ط ١، ١۴١١ ه (الرسائل الفقهية ١: ١٢٢- ١۵٣).

١٢٠٣- رسالة فى بيان العمارة الواقعة بعد سقوط الكعبة

على عبدالقادر الطبرى

ظ: المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (٣- ۴/ ١۴١٠ ه/ ١٠- ١١/ ١٩٨٩ م)ص ٢٠۵.

ص: ٢٩١

١٢٠٤- رسالة فى ترغيب سكنى المدينة

أحمد زرّوق

خ: عارف حكمت برقم ٥٦٧/ ٨٠ مجاميع

ظ: العرب. س ٢١: ج ٥، ٦ (١١، ١٢/ ١٤١٦ ه)ص ٣٤٩.

١٢٠٥- رسالة فى جواب الشيخ محمد عبدالقادر الهلالى الوهابى فى اعتراضه على الشيعة فى البناء على القبور وتجديدها والإسراج عليها وتجصيصها وزيارتها، وغير ذلك.

محمد حسين بن كاظم الكشوان الكاظمى النجفى، ت ١٣٥٦ ه.

ظ: الذريعة ١١/ ١٦٥، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/ ٤٩٩.

١٢٠٦- رسالة فى جواز التوسّل

(فى الرد على محمد بن عبدالوهاب)

مفتى فاس مهدى الوازنانى

ظ: التوسّل بالنبى لابن مرزوق ٢٥٢، تراثنا: ع ١٧ (١٤٠٩ ه)ص ١٦٤، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/ ٤٩٩.

١٢٠٧- رسالة فى الحج

صدرالدين الصدر

١٢٠٨- رسالة فى الحج

على بن الحسين الكركى ت ٩٤٠ ه.

تحقيق: محمد الحسون.

اشراف: محمود المرعشى.

قم: مكتبة السيد المرعشى، ط ١، ١٤٠٩ ه (رسائل المحقق الكركى ٢:

١٤٧- ١٦٥).

١٢٠٩- رسالة فى الحج

محمد على جعفر الكبيرت ١٢٦٨ ه.

١٢١٠- رسالة فى حكم الاستيجار للحج من غير بلد الميت

محمد إسماعيل المازندرانى الخاجوئى ت ١١٧٣ ه.

تحقيق: مهدى الرجائى

قم: دار الكتاب الإسلامى، ط ١، ١٤١١ ه (الرسائل الفقهية ١: ٢٢٧- ٢٣٢).

١٢١١- رسالة فى حكم التوسل بالأنبياء والأولياء

محمد حنين مخلوق

مطبوعة

ص: ۲۹۲

ظ: تراثنا: ع ۱۷ (۱۴۰۹ ه)ص ۱۶۵.

۱۲۱۲- رسالة فی ذكر ما جاء فی زيارة الرسولصلی الله عليه و آله

خ: فی الجامع الكبير بصنعاء ضمن مجموع.

ظ: المورد مج ۳: ع ۲ (۱۹۷۴ م)ص ۲۸۸.

۱۲۱۳- رسالة فی زيارة أهل القبور

(بالفارسية)

محمد باقر بن محمد تقی المجلسی

ظ: الذريعة ۱۲/ ۷۸، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۵۰۰.

۱۲۱۴- رسالة فی زيارة أولاد الأئمة والسادات والعلماء

محمد باقر بن إسماعيل الكجوری (۱۲۵۵- ۱۳۱۳ ه)

مطبوعة

ظ: الذريعة ۱۲/ ۷۸، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۵۰۰.

۱۲۱۵- رسالة فی زيارة قبر النبيصلی الله عليه و آله

الكمال بن الهمام محمد بن عبدالواحد ت ۸۶۱ ه.

خ: أوقاف بغداد برقم ۱۴/ ۱۰۰۱۰ مجاميع

ظ: معجم ما ألّف عن رسول اللّهصلی الله عليه و آله ۳۵۵، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ۲/ ۶۰.

۱۲۱۶- رسالة فی زيارة قبر النبيصلی الله عليه و آله وحكمها

محمد بن عبدالوهاب النجدی ت ۱۲۰۶ ه.

خ: فی أوقاف بغداد برقم ۵/ ۷۰۰۲ مجاميع

ط: معجم ما ألّف عن رسول اللّهصلی الله عليه و آله ۳۵۵، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ۲/ ۶۰.

۱۲۱۷- رسالة فی سياق العمل بالتمتّع بالعمرة الی الحج

جمال الدين عبداللّه بن علی بن زهرة الحلبی

۱۲۱۸- رسالة فيصفة حج النبی

محمود شويل بن علی

القاهرة: مكتبة المنار، ۱۹۳۱ م (مع:

ثلاث رسائل للمؤلف).

۱۲۱۹- رسالة فی العمرة المفردة

ص: ٢٩٣

لمستأجر الحج

محمد إسماعيل

١٢٢٠- رسالة فى فضل المدينة وأهلها

عبدالكريم بن عبداللّه العباسى الخليفتى المدنى ت ١١٣٣ ه.

خ: رضا برامبور فى الهند: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، برقم ٩٢٩/ ٤٢، ١٠ ورقة، مصورة عن النسخة اعلاه.

ظ: العرب. س ٣١: مج ٥، ٦ (١١، ١٢/ ١٤١٦ ه)ص ٣٤٩.

١٢٢١- رسالة فى فضل المدينة وساكنها

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى (٩٧٧- ١٠٦٩ ه) (فرغ منها سنة ٩٩٦ ه)

خ: المحمودية بالمدينة المنورة، برقم ٢٧٢٨ مجاميع.

ظ: العرب. س ٣١: ج ٥، ٦ (١١، ١٢/ ١٤١٦ ه)ص ٣٤٩.

١٢٢٢- رسالة فى الكلام على الحجر الأسود

أحمد بن أحمد الفيّومى ت ١١٠١ ه.

خ: الحرم المكى، تاريخ ٤٢/ ١.

ظ: معجم ما ألّف عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله ١٨، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ٢/ ٦٦.

١٢٢٣- رسالة فى مسألة الزيارة: فى الرد على ابن تيمية

محمد بن على المازنى

ظ: معجم المؤلفين ١١/ ٣١، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ٢/ ٦٦.

١٢٢٤- رسالة فى مناسك الحج

جعفر كاشف الغطاء ت ١٢٢٧ ه.

١٢٢٥- رسالة فى مناسك الحج

(بالفارسية)

محمد باقر المجلسى ت ١١١١ ه.

خ: سپه سالار.

ظ: فهرست المكتبة ٤/ ٢٨٥- ٢٨٦، ٣/ ١٣.

١٢٢٦- رسالة فى مواقيت الحج

(معها خريطة فى تعيين المواقيت)

محمد جواد البلاغى

ظ: الذريعة ٢٣/ ٢٣١.

١٢٢٧- رسالة فى نيّات حج التمتع وعمرته

ص: ۲۹۴

(بالفارسية)

خ: ملك بطهران، ضمن مجموع برقم ۲۱۴۷.

۱۲۲۸- رسالة فى هدم المشاهد

أبو تراب الخونسارى ت ۱۳۴۶ ه.

ظ: الذريعة ۲۵/ ۲۰۱، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۵۰۲.

۱۲۲۹- رسالة فى وصف المدينة المنورة

على بن موسى الأفندى، ألّفها سنة ۱۳۰۳ ه.

حققها: حمد الجاسر

ظ: رسائل فى تاريخ المدينة ۴۳، العرب. س ۳۱: ج ۵، ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۱۶ ه)ص ۳۵۰.

۱۲۳۰- رسالة فى وصف مكة والمدينة وبيت المقدس

العرب س ۸:ص ۳۲۴، س ۲۲:

ص ۳۸۲.

۱۲۳۱- رسالة فى الوصية بالحج الواجب

محمد مولانا، ت ۱۳۶۰ ه.

۱۲۳۲- رسالة فى وقعة الحرّة سنة ۶۳ ه.

محمد بن عمر الواقدى (۱۳۰- ۲۰۷ ه)

ظ: العرب. س ۳۱: ج ۵، ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۱۶ ه)ص ۳۵۰.

۱۲۳۳- الرسالة المباركة

(تتناول جغرافية الحرمين، بالفارسية)

حاجى عبدالرحمن سمرقندى

ظ: الفهرس، المشترك ۳۹۸۲، العرب. س ۳۲: ج ۱، ۲ (۷، ۸/ ۱۴۱۷ ه/ ۱۱، ۱۲/ ۱۹۹۶ م)ص ۳۶.

۱۲۳۴- رسالة مختصرة فى مناسك الحج

ناصر الأحمد

البصرة: مط الأديب، د. ت.

۱۲۳۵- الرسالة المرضيّة فى الرد على مَن يُنكر الزيارة المحمدية

محمد السعدى المالكى

خ: شستربتى ضمن مجموعة برقم ۳۴۰۶، سنة ۸۳۰ ه.

ظ: المورد مج ۱، ع ۱، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ۲/ ۷۲.

۱۲۳۶- رسالة مفرحة الأنام فى

ص: ٢٩٥

تأسيس بيت اللّه الحرام

(بالفارسية)

زين العابدين بن نور الدين على حسينى كاشانى

به ضميمه گزارشى از مدينة وبقيع در سال ١٢٥٥

إسماعيل المرندى

إعداد: رسول جعفريان

ميقات مج س ٢: ع ٥ (پائيز ١٣٧٢ ش)ص ٩٥- ١٢٢. ١٢٣٧- رسالة المهدى الى أهل مكة

مجهولة المؤلف

خ: جامعة كمبريديج، برقم ٤٤ ق ق.

١٢٣٨- رسالة وجيزة فى واجبات الحج

أحمد بن محمد بن فهد الحلى (٧٥٧- ٨٤١ ه)

تحقيق: مهدى الرجائى، إشراف:

محمود المرعشى

قم: مكتبة السيد المرعشى، ط ١، ١۴٠٩ ه (الرسائل العشرص ٣٣١- ٣٣٧).

١٢٣٩- الرسول حول الكعبة

محمد السيد أحمد المسير

القاهرة، ط ١، ١٩٨۴، ١٧۶ص، (فلسفة السيرة، ٣).

١٢۴٠- الرسولصلى الله عليه و آله فى المدينة

على حسنى الخربوطلى

القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧٣ م، ٢٧٩ص، ٥/ ٢٣* ١٧ سم.

١٢۴١- الرسول فى المدينة

محمد حسن شمس

الهداية (البحرين) س ١٣: ع ١٥٣ (۶/ ١٩٩٠ م)ص ٨٥- ٨٩.

١٢۴٢- الرسولصلى الله عليه و آله فى المدينة

محمد المهدى الحسينى الشيرازى

النجف الأشرف: مطبعة الآداب، ١٩۶۶ م/ ١٣٨٥ ه، ١١۶ص، ٢١ سم، (سلسلة المنابع ٥٢ و ٥٣).

١٢۴٣- الرسول ويهود يثرب

الهداية (تونس) س ١٥: ع ٢ (٩/ ١٩٩٠ م)ص ٢٥- ٣١.

١٢۴۴- الرسولصلى الله عليه و آله يعلم الناس مناسكهم فى حجة الوداع

على حسب اللّه

القاهرة: مكتبةصبيح.

القاهرة: دار مطابع الشعب،

ص: ٢٩٦

١٩٦٦ م، ٧٩ص.

١٢٤٥- الرفيق الى البيت العتيق

محمد رأفت سعيد

القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٥ م، ٩٦ص.

١٢٤٦- رمضان فى الحرم المكى

عزة بدير

العربى (الكويت) ع ٤٥٨ (يناير ١٩٩٧ م)ص ٣٨- ٣٩.

١٢٤٧- رمضان فى مكة المكرمة والمدينة المنورة

صلاح أحمد البهنسى

المنهل (جدة) مج ٥٦: ع ٥٢١ (٩/ ١٤١٥ ه)ص ٨- ١٠.

١٢٤٨- ره‌آورد مجاز

(بالفارسية)

حبيب اللَّهصابرى

طهران: دار الكتب الإسلامية.

١٢٤٩- ره‌آوردى از ديار دوست

(بالفارسية)

محمد على مهدوى راد

ميقات حج: ع ٢٤ (تابستان ١٣٧٧ ش)ص ١٦٦- ١٨٠.

١٢٥٠- ره توشه حج مطابق با فتواى امام خمينى

(بالفارسية)

على محمد اسدى

قم: انتشارات جهان آرا، ط ١، ١٣٦٥ ش، ١٢٠ص، ٢١ سم.

١٢٥١- رهنماى حج

(بالفارسية)

محمد آصفى

تبريز: مطبعة حافظ، ط ١، ١٣٦٦ ش، ٢٤٧ص، ١٧ سم.

١٢٥٢- رهنماى حج: براى حجاج افغان

(بالفارسية)

ع. ر. ف

ترجمة: ج. ر

كابل: وزارة العدل، ط ١، ١٣٥٩ ش.

١٢٥٣- رؤى الإمام الخمينى فى الحج الابراهيمى

محمد محمدی ری شهری

میقات الحج: ع ۱ (۱۴۱۵ ه)ص ۶۷- ۷۶.

۱۲۵۴- روائع مختارة من الحج

محمد حسن النائینی

۱۲۵۵- روافد الشعور عند المسلم

ص: ٢٩٧

الحاج

محمد على التسخيرى

التوحيد (طهران) ع ١١ (١١- ١٢/ ١۴٠۴ ه)ص ١١۴.

١٢۵۶- الروايات المشتركة: كتاب الحج

محمد قانصوه

التوحيد (طهران) ع ٢٣ (١١- ١٢/ ١۴٠۶ ه)ص ٢١، ع ٢۴ (١- ٢/ ١۴٠۶ ه)ص ٢٧، ع ٢۵ (٣- ۴/ ١۴٠١ ه)ص ٣٩، ع ٣٢ (۵- ۶/ ١۴٠٨ ه)ص ٢٣، ع ٣٣ (٧- ٨/ ١۴٠٨ ه)ص ٢٢.

١٢۵٧- روايت حج خونين

(بالفارسية)

اعداد: وزارة الثقافة والارشاد الإسلامى

انتشارات پيام آزادى، ط ١، ١٣۶٧ ش، ٣٢٠ص.

١٢۵٨- روزنامه سفر از تهران الى كربلا

(بالفارسية)

ناصر الدين شاه

(١٢۶۴- ١٣١٣ ه)

طهران: ١٨٧٠ م.

ظ: استورى ١/ ٣۴١، آثار ملى ١٨ «سفرنامه كربلا ناصر الدين شاه» فى ١٢٩٩ ه، فهرستواره منزوى ١/ ٨١.

١٢۵٩- روزنامه سفر عتبات

(رحلة ناصر الدين شاه فى محرم سنة ١٢٧٣ ه، وفيها ذكر مشاهداته بشكل يومى، بالفارسية)

عبدالعلى أديب الملك بن حاج ليخان حاجب الدولة

ط: نسخه‌ها ۶/ ۴٠٠۶، ملك ٩/ ٣۴٠ «سفرنامه عتبات» فهرستواره منزوى ١/ ٨٣.

١٢۶٠- روزنامه سفر مدينة السلام وبيت اللَّه الحرام

(بالفارسية)

معتمد الدولة فرمانفرماى فارس

ظ: به سوى ام القرى ١۵.

١٢۶١- روزنامه وقايع سفر كربلا/ سفرنامه كربلا

(رحلة الى كربلاء، سجل فيها مشاهداته وذكرياته عن علماء الشيعة، بالفارسية)

ص: ٢٩٨

مجهولة المؤلف

ظ: نسخه‌ها ۶/ ۴۰۰۷، مشار ۳/ ۳۰۲۵ «سفرنامه كربلا» ملى ۱/ ۳۸۶، فهرستواره منزوى ۱/ ۸۵.

۱۲۶۲- روشى نوين در بيان مناسك حج مطابق با فتواى امام خمينى

(بالفارسية)

على محمد احمدى

قم: دفتر انتشارات اسلامى، ط ۱، ۱۳۴۶ ش.

۱۲۶۳- الروضة الفردوسية والحضيرة القدسية فى أسماء من دفن بالبقيع

محمد بن أحمد بن أمية الأقشهرى (۶۶۵- ۷۳۳ ه)

انتهى من تأليفها سنة ۷۱۸ ه.

ظ: الاعلان بالتوبيخ ۲۷۵، التحفة اللطيفة ۳/ ۴۶۳.

العرب. س ۳۱: ج ۵، ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۱۶ ه)ص ۳۵۱- ۳۵۲.

۱۲۶۴- الروضة المستطابة فى من دفن فى البقيع من الصحابة

مجهول، من علماء القرن الحادى عشر.

خ: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فلمية، برقم ۶۲۳۵/ ۴، ۲۲ ورقة (۴۴ص).

ظ: العرب. س ۳۱: ج ۵، ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۱۶ ه)ص ۳۵۲.

۱۲۶۵- الروضة المقدسة

محمد جواد الطبسى

ميقات الحج ع ۱ (۱۴۱۶ ه)ص ۲۵۷- ۲۷۰.

۱۲۶۶- رياض الجنّة فى زيارات الأئمة

مجهول المؤلف

ظ: كشف الحجب والأستار ۲۹۹، مرآة الكتب ۳/ ۳۸، الذريعة ۱۱/ ۳۲۳، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۵۰۷.

۱۲۶۷- الرياض المستطابة فى فضل سكان طابة

جلال الدين بن الياس بن خير الدين المدنى، من علماء القرن العاشر

ظ: تحفة المحبين والأصحاب ۳۹، العرب. س ۳۱: ج ۵، ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۱۶ ه)ص ۳۵۲.

۱۲۶۸- الزائرية فى المزار

ص: ٢٩٩

(بالفارسية)

مير محمد مهدى الرضوى

فرغ منه سنة ٩٥۴ ه.

خ: الرضوية، وقف الخواجة شير أحمد.

ظ: الذريعة ١٢/ ١، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/ ٥١١.

١٢۶٩- زاد الحاج والمعتمر

عبداللَّه إبراهيم الأنصارى

الدوحة. دار إحياء التراث الإسلامى، ١٩٨٨ م، ١٨۶ص.

١٢٧٠- زاد الحاج من الأحكام والأدعية والزيارات

مصطفى قصير

بيروت: ١۴٠۴ ه، ١١٠ص، ١٧ سم.

١٢٧١- زاد الحجيج

(بالفارسية)

خ: مسجد گوهرشاد، برقم ٨٩٨ فى ١٠۶ ورقة.

١٢٧٢- زاد الحجيج

(بالفارسية)

على بن ميرزا محمد رشتى گيلانى

خ: مكتبة رشت برقم ٣٠۶، فى ١٥٧ ورقة.

١٢٧٣- زاد الزائرين

(مجموعة زيارات)

النجف الأشرف: المطبعة العلمية، ١٣۵۶ ه، ٣٢ص، حجرية.

١٢٧۴- زاد الزائرين

(بالفارسية)

عبداللَّه بن محمد رضا الشبر الحلّى الكاظمى

ظ: الذريعة ١٢/ ٢، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/ ٥١١.

١٢٧۵- زاد الزائرين فى الزيارات

عبدالوهاب بن محمد الرضوى الحسينى الطوسى

ظ: فهرس جامعة طهران ١/ ١٢، الذريعة ١٢/ ٢، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللَّه عليهم ٩/ ٥١١.

١٢٧۶- زاد الزائرين وجامع الزيارة

محمد حسن العسكرى السمنانى

خ: الرضوية، ٣٣۶٠

ظ: معجم ما كتب عن الرسول

ص: ٣٠٠

وأهل البيتصلوات اللَّه عليهم ٩/ ٥١٢.

١٢٧٧- زاد السفينة فى أحوال المدينة

(بالفارسية)

ظ: فهرست مشترک باکستان ١٠/ ٢۶.

العرب س ٣٢: ج ١، ٢ (٨٠٧/ ١۴١٧ ه/ ١١، ١٢/ ١٩٩۶ م)ص ٣۶.

١٢٧٨- زاد السفينة فى أسامى المدينة

(فى ذكر فضائل المدينة وعدد أسمائها، كتب فى سنة ١١٣٣ ه، بالفارسية)

محمد هاشم بن عبدالغفور تتوى

(١١٠۴- ١١٧۴ ه)

ظ: مشترک ١٠/ ٢۶ و ٢٩٢، تكملة مقالات ۵۶، پاكستان مين ٣/ ٨٠٩، فهرستوارى منزوى ١/ ٢٢٣.

١٢٧٩- زاد الناسكين

(مناسک الحج مطابقة فتاوى مراجع التقليد، بالفارسية)

حبيب اللَّه القمى ت ١٣۵٩ ه.

١٢٨٠- زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال

(رسالة فى تاريخ مكة والمدينة)

سعد الدين محمد بن محمد بن عمر ابن محمد الإسفرائينى

من علماء القرن الثامن

خ: الحرم المكى برقم ٣۴٩۶.

الجامعة الإسلامية، مصورة برقم ٧٧٠۵.

طوپ قپوسراى برقم ۶٠۶٧٨٢٩٩۴، فى ٨١ ورقة، تاريخها القرن العاشر الهجرى.

ظ: العرب. س ٣١: ج ۵، ۶ (١١، ١٢/ ١۴١۶ ه)ص ٣۵٢.

١٢٨١- زبدة الأقوال الشريفة فى أحوال مكة المنيفة

رحمة اللَّه الشاهجهانپورى

(كان حيّاً سنة ١٢۶٨ ه).

ظ: الثقافة الإسلامية فى الهند ٧۶.

١٢٨٢- زبدة الفكر فى زيارة سيد البشر

على خيرى الكوتاهيه‌وى الرومى الحنفى

(كان حياً سنة ١٠٣٧ ه).

ظ: ايضاح المكنون ١/ ۶١٢.

١٢٨٣- زبدة المناسک در بيان

ص: ٣٠١

واجبات ومحرمات حج

(بالفارسية)

محمد رضا عبدالحميدى

طهران: ١٣٥٢ ش، ٣٢ص.

١٢٨۴- الزحف الى مكة

تأليف: عبد الودود شلبى

رسالة الجهاد (باولا- مالطا) س ٩:

ع ٩٣ (١١/ ١٩٩٠)،ص ١١۴- ١٢٠.

١٢٨۵- الزراعة فى المدينة عوامل سقوطها وكيف نرقيها

حسين حسن

المنهل (جدة) مج ١: ج ٩ (٨/ ١٣٥۶ ه/ ١٠/ ١٩٣٧ م)ص ٣٧.

١٢٨۶- الزلف والقربة فى تعمير ما سقط من الكعبة

تاج الدين بن أحمد المصرى ت ١٠۴٠ ه.

ظ: المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴٧۵ (٣- ۴/ ١۴١٠ ه/ ١٠- ١١/ ١٩٨٩ م)ص ٢٠۵.

١٢٨٧- زمزم، طعام طعم وشفاء سقم

يحيى حمزة كوشك

جدة: دار العلم، ط ١، ١۴٠٣ ه.

١٢٨٨- زمزم فى الشعر العربى

ميقات الحج ع ٣ (١۴١۶ ه)ص ١۶١- ١۶٧.

١٢٨٩- زمزمه زمزم

(بالفارسية)

على قاضى عسكر

ميقات حج. س ٣: ع ١٠ (زمستان ١٣٧٣ ش)ص ٨۴- ١٠۵.

١٢٩٠- زهر الربا فى فضل مسجد قبا

محمد على بن علان الصديقى المكى ت ١٠۵٧ ه.

ظ: خلاصة الأثر ۴/ ١٨٧، حسن النبا ٢۶، العرب.

س ٣١: ج ۵، ۶ (١١، ١٢/ ١۴١۶ ه)ص ٣۵٢.

١٢٩١- زهر الرياض وزلال الحياض

الحسن بن على بن شدقم المدنى (٩۴٢- ٩٩٩ ه)

خ: المتحف البريطانى برقم ٩۴٣٧ ADD، ج ٣ فى ٣١٧ ورقة، ٩٩۵ ه.

الخزانة التيمورية، برقم ۶٣٧، جزء منه.

الرضوية، الجزء الثالث منه،

ص: ٣٠٢

برقم ۴۲۴۲.

مدرسة الفاضل الشريبانى بالنجف، ج ٣.

جامعة طهران.

ظ: إيضاح المكنون ١/ ۶١٨، هدية العارفين ١/ ٢٩٠، تاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ٣٣٧، الذريعة ١٢/ ٧٠، رياض العلماء ٢/ ٣۴، معجم المؤلفين ٣/ ٢٥١، العرب. س ٣١:

ج ۵، ۶ (١١، ١٢/ ١۴١۶ ه)ص ٣۵۶ (نقلًا عن حمد الجاسر).

١٢٩٢- الزهرة فى أعمال الحج والعمرة

محمد بن هبة اللَّه الطرابلسى

١٢٩٣- زهرة المزارات وعزّة الزيارات

محمد بن أحمد البصرى الكاظمى ت ١٢۴۶ ه.

ظ: الذريعة ١٢/ ٧۵، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللَّه عليهم ٩/ ۵١۶.

١٢٩۴- كتاب الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة

لتقى الدين الفاسى

أحمد على محمد

عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع ١ (١۴١٧ ه)

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴٧۵ (٣- ۴/ ١۴١٠ ه- ١٠، ١١/ ١٩٨٩ م)ص ٢٠۵.

١٢٩۵- كتاب الزيارات

أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن بن ذول القمّى، ت ٣۵٠ ه.

ظ: رجال النجاشى ٩٠، الذريعة ١٢/ ٧٧، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/ ۵١۶.

١٢٩۶- كتاب الزيارات

الحسن بن على بن فضّال الكوفى

ظ: رجال النجاشى ٣۶، الذريعة ١٢/ ٧٧، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللَّه عليهم ٩/ ۵١٧.

١٢٩٧- كتاب الزيارات

الحسين بن سعيد بن حمّاد بن مهران مولى على بن الحسين عليه السلام.

ظ: رجال النجاشى ۵٨، فهرست الطوسى ۵٨، ذكره باسم: كتاب المزار، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ٩/ ۵١٧.

ص: ٣٠٣

١٢٩٨- كتاب الزيارات

الحسين بن على الخزّاز القمّى، أبو عبداللّه

ظ: رجال النجاشى ۶۸، الذريعة ١٢/ ٧٧، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/ ٥١٧.

١٢٩٩- كتاب الزيارات

محمد بن على بن الفضل بن تمّام بن سُكين

ظ: رجال النجاشى ٣٨٥، الذريعة ١٢/ ٧٧، ٢٠/ ٣٢١، ذكره بعنوان المزار، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/ ٥١٧.

١٣٠٠- كتاب الزيارات

المنصور عبداللّه بن حمزة، ت ۶۱۴ ه.

خ: الجامع الكبير بصنعاء، برقم ۶۵۹، فى ١٠ ورقات، تاريخها ١١٩٨ ه.

ظ: معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/ ٥١٧.

١٣٠١- زيارات أولاد الأئمة والعلماء

(بالفارسية)

باقر الواعظ الكجورى

طبع بايران

ظ: الذريعة ١٢/ ٧٧، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/ ٥١٧.

١٣٠٢- كتاب زيارات قبور الأئمة عليهم السلام

الشيخ الصدوق محمد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّى، ت ٣٨١ ه.

ظ: رجال النجاشى ٣٩٠، الذريعة ١٢/ ٧٨، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/ ٥١٧.

١٣٠٣- الزيارات المخصوصة فى الأيام الشريفة

مرتبة على أربعة فصول

مجهولة المؤلف، تاريخها ١١٧۴ ه.

ظ: الذريعة ١٢/ ٧٨، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/ ٥١٨.

١٣٠۴- زيارات مفاتيح الجنان

عباس القمى

طهران: اقبال، ١٣٢٨ ش، ٣٥٠ص.

١٣٠۵- كتاب الزيارات منصحيح الروايات

ص: ٣٠٤

على بن أبى بكر الهروى

ظ: ايضاح المكنون ٢/ ٣٠١، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللّه عليهم ٩/ ٥١٨.

١٣٠٦- زيارات وأدعية الحرمين

نبيل شعبان

طهران: مؤسسة الهدى، ١٧١ص.

١٣٠٧- كتاب الزيارات والمناسك

أبو يعلى حمزة بن القاسم بن على بن حمزة بن الحسين بن عبيد اللّه بن العباس بن أمير المؤمنين عليهما السلام

ظ: رجال النجاشى ١٤٠، الذريعة ١٢/ ٧٨، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللّه عليهم ٩/ ٥١٨.

١٣٠٨- كتاب زيارات

(مجموعة زيارات الأئمة المعصومين عليهم السلام، بالفارسية)

خ: المرعشى ٧٣٩٨، ١٨٣ ورقة، سنة ١٢٣١ ه.

ظ: فهرس المرعشى ١٩/ ١٩٦، ١٩٧، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللّه عليهم ٩/ ٥١٨.

١٣٠٩- زيارت

(بالفارسية)

جواد محدثى

طهران: نشر مشعر، ط ١، ١٣٧١ ش، ١٦٨ص.

١٣١٠- زيارت

(بالفارسية)

محمد مهدى ركنى

مشهد: المؤتمر العالمى للإمام الرضا عليه السلام، ١٣٦۴ ه، ۴٠ص، ٢۴ سم.

١٣١١- زيارت حضرت رسولصلى الله عليه و آله وحضرت فاطمة عليها السلام وائمه بقيع

(بالفارسية)

اعداد: معاونيت التعليم والتحقيق فى بعثة السيد القائد.

طهران: نشر مشعر، ١٣٧١ ش، ٣۶ص.

١٣١٢- زيارت خرافه يا حقيقت

(بالفارسية)

غلام حسين رحيمى اصفهانى

طهران: شركت سهامى انتشار، ١٣۴٧ ش، ١٠۴ص (مع مقدّمة:

د. محمد مفتّح).

ص: ٣٠٥

١٣١٣- الزيارة الجامعة

طبعت فى:

تبريز: ١٣١٥ ه (جمع الشيخ النورى).

النجف الأشرف: المطبعة العلوية، ١٣٤٠ ه، ٣٢ص، ٢١ سم.

١٣١٤- الزيارة فى الكتاب والسنة

تحليل لمفهوم الزيارة وآثارها وأحكامها

جعفر السبحانى

[د. م]: [د. ن]، د. ت، ٨٨ص (على مائدة العقيدة، ٩).

١٣١٥- زيارة المراقد الشريفة فى سوريا وفلسطين

نبيل شعبان

طهران: الهدى، ١٣٦٨ ش، ١٠٠ص.

زيارة المصطفى المجاهد (القاهرة) س ٩: ع ٩١ (٧/ ١٩٨٨ م)ص ٣٧.

١٣١٦- الزيارة النبويّة عند دعاة السلفية

محمد علوى المالكى

الإسلام وطن (القاهرة) س ٣: ع ٣٦ (٣/ ١٩٩٠ م)ص ١٤- ١٥.

١٣١٧- الزيارة والبشارة

أحمد بن رضى الموسوى المستنبط

النجف الأشرف: مطبعة العزى الحديثة، ١٣٨١ ه، ج ١، ٢٦٠ص، ج ٢، ٤٥٢ص.

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹